

السيرة النبوية

لابن هشام

قدم لها وعلق عليها وضم إليها

عليه السلام

سائر الجليل

السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها ونبطها

عليه السلام

المجلد الأول

From The Library of
Isma'il Serageldin

دار الكتب
بيروت

طبعة جديدة
مضبوطة — منقحة

حقوق الطبع محفوظة

١٩٧٥

إهداء

بسم تبارك الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، والصلاة والسلام عليك سيدى يا رسول الله ، يامن بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وتركنتا على المحجة البيضاء .

سيدى يا رسول الله ، كلما ادلهمت ظلمات الأنفس واضطربت سكينه الأفئدة وضائق فجاج الأرض بما رحبت . . تتطلع القلوب المؤمنة إلى رحمة الله وتترقق في العيون دموع الرجاء ، وتختلج في الصدور زفرات الندم ، وإذا بشعاع الأمل يشرق بسنا طلعتك فيهدى الحيارى مثلبا اهتدت البشرية من قبل عندما نظرت الدنيا ترقب الأمل المشرق في سماءها ، قهادت أضواؤه تهادى الرجاء في القلوب الخائرة وشع لاألأؤه فارتسمت على صفحة الكون صورة الجلال وسطر في أفق الحياة اسم محمد بن عبد الله ، وأقبل الروح الأمين بهدية السماء إلى العالمين ، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ، .

سيدى يا رسول الله . . إن العالم اليوم أحوج مايكون إلى النظر في سيرتك ، وماأشد حاجة المسلمين اليوم إلى الأسوة الحسنة في روعة شخصيتك . . والافتداء بما تركته بين أيدينا ، حتى لايجرفنا تيارات الضلال ونزغات الهوى . .

فهل تأذن لى سيدى يا رسول الله ياخير مرسل ويا أفضل الخلق أن أقف ببابك وأجول بنظري وفكرى في جنبات سيرتك ومغازيك أبغى الهداية والعبرة والموعظة الحسنة ، وأهدى هذه الطبعة من [السيرة النبوية لابن هشام] إليك سيدى أبا القاسم ، يا علم الهدى ونبي الرحمة ، لعلها تكون يوم الحساب نورا يهدينى إلى الصراط المستقيم .

طه عبد الرؤوف سعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن مفهوم التاريخ عند العرب يتضح فيما جاء في روايات الأنساب من ذكر بعض أحداث وقعت وورد ذكرها في ثنايا حديث النساين ؛ ولعل هذه الفترة تكون قد سبقت مطلع الفجر الإسلامى، وإن كانت قد تجلت بصورة أوضح في مبدأ الدعوة، وإن كان قد بدا لنا أن أحدا من الصحابة لم يعن بجمع الأخبار فذلك لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد والفتوح ، والذى التفت إلى هذا هم فريق من التابعين الذين كانوا يعتمدون في جمع مادتهم على سؤال من شاهدوا الغزوات من الصحابة ومن صاحب الأحداث التى وقعت للسبلين في عهد صاحب الرسالة - صلى الله عليه وسلم .

ولكن الشكل التقليدى للتاريخ في أبسط صورته ظهر على تلك الصورة في العصر الأموى ، غير أن مؤرخى بنى أمية لم يعنهم من التاريخ إلا ما دعته إليه أسباب المحافظة على أركان الدولة من ثناء وإطراء بمن اشتهر منهم أو تحقيق لرواية نسب من الأنساب يكون فيها صالح لدولتهم ، وإن كان الدافع إلى ذلك فى أغلب الأحيان هو الرغبة فى العطاء .. وما يؤسف له أنه لم يصل إلينا من هذا التاريخ شئ إلا ما تناثر فى بطون بعض كتب الأدب نقلا عن الرواة ، وقد يرجع ذلك إلى أسباب الاضطرابات والفتن فى عصر بنى أمية ، ولعل العباسيين قد تعمدوا إزالة آثار الأمويين ، أو لعل الناس قد هجرت تلك الكتب وأهملتها مجاملة لرأى بنى العباس . على أن التاريخ الإسلامى فى حقيقة أمره لم يتمهد له السبيل إلا فى العصر العباسى حيث ظهرت بوادر التأليف فى التواريخ العامة والخاصة . وإن كان الواقع يهيب بنا أن نشير إلا أن أول كتاب ظهر وفيه لمحات تاريخية هو « القرآن الكريم » ، وقد تجلى ذلك فى استخراج العبرة من بعض الحوادث التى وردت فى آيات الله البينات .

وعندما أخذ علماء الإسلام في جمع القرآن الكريم وتفسيره وجمع الأحاديث ووجدوا أنفسهم في حاجة إلى تحقيق أماكن نزول الآيات وإيضاح حقائق الأحداث التي جرت، وكذلك بالنسبة لجمع الأحاديث، فكان لابد من الرجوع إلى جمع السيرة النبوية أولاً لأنها المنبت الحصب لذلك كله والمرجع الصادق في هذا الشأن .

مفهوم السيرة : ويراد بسيرة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه التعرف على حياته منذ ظهور الإرهاسات التي مهدت لرسالاته وما سبق مولده من سمات تلقى أضواء رحمانية على طريق الدعوة المحمدية ، ومولده ونشأته حتى مبعثه وما جاء بعد ذلك من دعوة الناس إلى الدين الحنيف ، وما تلقى في سبيل نشر الإسلام من معارضة، وما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين من عارضوه من صراع بالقول والسيف، وذكر من استجاب له حتى علت راية الحق وأضاءت شعلة الإيمان .

ولقد عرفت تلك الحروب والغزوات والسرايا وإن غلب عليها لفظ المغازي (أى غزوات ومناقب الغزاة ، مفردة مغزى : بمعنى الغزو وموضعه وزمانه) .

المروءة مع كتاب السير : من بين الأسماء الكثيرة التي عنت بكتابة وجمع السيرة «عروة بن الزبير بن العوام» المتوفى سنة ٩٣ هـ . ودأبان بن عثمان بن عفان، (١٠٥ هـ) و«شرحبيل بن سعد» (١٢٣ هـ) و«ابن شهاب الزهري» (١٢٤ هـ) في كتابه «المغازي» و«عبدالله بن أبي بكر بن حزم» (١٣٥ هـ) و«موسى بن عقبة» (١٤١ هـ) في كتابه المسمى أيضاً بالمغازي، وفي مكتبة برلين نسخة بهذا الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية، ومنها قطعة منتخبة طبعت في أوروبا سنة ١٩٠٤ م . و«معمر بن راشد» (١٥٠ هـ) و«محمد بن إسحاق بن يسار» (١٥١ هـ) و«زياد ابن عبدالله البكائي» (١٨٣ هـ) و«الواقدي» صاحب كتاب المغازي (٢٠٧ هـ) و«ابن هشام» (٢١٣ هـ) و«محمد بن سعد» صاحب كتاب الطبقات (٢٣٠ هـ) .

منهج السيرة : ابتدأت السيرة بسرد نسب النبي صلوات الله وسلامه عليه، وقد تطلب هذا إشارة إلى أنساب بعض أخيار العرب وأفاضلهم وذكر أخبارهم في الجاهلية

(و)

وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم ، وذكر الأحداث الهامة التي وقعت بينهم كإقامة
حضر بئر زمزم على يد عبد المطلب بن هاشم ، ومولد الرسول عليه الصلاة والسلام
ونشأته ومبعثه ومن استجاب لدعوته وآمن برسالته ، وما لقيه النبي عليه الصلاة
والسلام في سبيل نشر الدعوة من أذى وتعنت وما قاساه من نصب وإرهاق ، وما عاناه
المؤمنون من إيذاء الكفار لهم ، وهجرتهم الأولى والثانية إلى الحبشة فرارا بدينهم
وعرض رسول الله عليه الصلاة والسلام نفسه على قبيلة ثقيف وغيرها من القبائل
ليؤمنوا به ويتبعوا النور الذي أنزل معه ، حتى كان من حسن طالع أهل يثرب أن شرح
الله صدورهم للإيمان بدعوة رسوله فهاجر إلى المدينة هو والذين آمنوا معه ، وكذلك
ذكر ما وقع في المدينة بين الرسول وبين اليهود من مفاوضات ومحادثات ومعاهدات
نقضوها فدارت عليهم دائرة السوء وتطهرت منهم أرض يثرب وأعز الله المسلمين .

ومن المدينة المنورة انطلقت جحافل جيوش المسلمين تدعو إلى الحق وترفع لواء
الإيمان . . ومنها أرسلت الوفود تنادى بالسلام إلى الإسلام فجاء نصر الله والفتح
ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وبعد ذلك توالى أخبار أزواج النبي ثم مرض الرسول عليه الصلاة والسلام
وتمريضه في بيت عائشة رضي الله عنها وانتقاله إلى الرفيق الأعلى وأمر ثقيفة بنى ساعدة
واتفاق رأى المسلمين على اختيار الصديق خليفة لرسول الله ، وما كان من أمر تجهيز
الرسول عليه السلام ودفنه وراثاء حسان بن ثابت له .

ذلك هو النهج الذي سار عليه ابن هشام في كتابه السيرة النبوية . .

شراح الهجرة لقد تناول السيرة بعد ابن هشام فريقتان - بمن شرح الله صدورهم
للإيمان والعلم بما في سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام : من نور يهدي به
الله من عباده الذين اتبعوا رضوانه سبيل السلام ، فقام هؤلاء بتناول السيرة بالشرح
والتوضيح والتحقيق أو الاختصار أو التهذيب ، ونخص بالذكر من هؤلاء السهيلي
(٥٠٨ / ٥٨١ هـ) و « أبا ذر الحثني » (٥٣٥ / ٦٠٤ هـ) وهو : مُصَنَّب بن محمد بن

(ز)

مسعود بن عبد الله بن مسعود النخعي الحشني ، كان عالما بالعربية والحديث وعارفا بالآداب واللغات وأحد من قرض الشعر وكان له ناقد ، وكان طويل الباع في معرفة أخبار العرب وأحداثها وأشعارها ، وهو صاحب كثير من المؤلفات المشهورة ويعيننا منها كتابه في شرح الغريب من سيرة ابن اسحاق .

أما السهيلي ، فهو الذي قام بشرح سيرة ابن هشام في كتابه «الروض الأنف» ومنهجه كما ورد في مقدمة كتابه «إيضاح ما وقع في سيرة ابن إسحاق التي لخصها عبد الملك بن هشام من لفظ غريب ، أو إعراب غامض ، أو كلام مستغلق ، أو نسب عويص ، أو موضع فقه يذنبى التنبيه عليه ، أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته . . » وأما تفصيل الحديث عن جوانب هذه الشخصية الفذة فلا يسعنا إلا أن نفردها مكانا نترجم فيه لها .

نسخ وطبعات السيرة : إن النسخ المخطوطة من السيرة كثيرة ، يوجد أغلبها في معظم مكاتب أوروبا ، وهناك نسخة ناقصة بالمكتبة التيمورية ، أما النسخة الأصلية رواة ابن إسحاق فقد كان « كرابسيك karabacek » يظن أنه عثر على ورقة منها بين مجموعة البردى الخاصة بالارشيدوق « رينر . Rainer » والمحفوظة في مكتبة مدرسة كوبرلي باستانبول (دقر ١١٤٠) ، ولكن ظهر أنها نسخة من كتاب سيرة ابن هشام . ولا يزال كتاب المغازي باقيا حتى اليوم في بطون الكتب مثل ما جاء في كتاب الماوردي « الأحكام السلطانية » وفي الفقرات التي أوردها الطبري في تاريخه . وقد طبعت السيرة عدة مرات . .

١ — طبعة جوتنجن - وهي أصحها - بألمانيا سنة ١٨٦٠ م . بعناية وستفيلد المستشرق الألماني في مجلدين ، مبسطة بالشكل اللازم ، وألحقها بجزء ثالث فيه تعليقات وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن إسحاق نقلا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار . ونقل عن كتاب عيون الأثر لابن سيد الناس اليعفرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن إسحاق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة .

(ح)

- ٢ - وقد طبعت السيرة أيضا في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ هـ .
- ٣ - طبعة المطبعة الخيرية في مصر في ثلاثة مجلدات سنة ١٢٢٩ هـ .
- ٤ - طبعة ليبزج سنة ١٩٠٠ م .
- ٥ - 'طَبَعَتْ' علي هامش كتاب 'الروض الأنف' ، بمطبعة الجمالية سنة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م
- ٦ - وهناك طبعة علي هامش زاد المعاد في هدي خير العباد سنة ١٣٣٣ هـ .
- ٧ - طبعت في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده طبعتين: الأولى سنة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م . والثانية سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
- طبعت في مطبعة حجازي للمكتبة التجارية في أربعة أجزاء سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧ م

ترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة

٨٥ - ١٥١ هـ

نسبه ومثأته: كنيته أبو عبد الله - وقيل : أبو بكر - محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، وقيل : يسار بن كونان ، وفي « عيون الأثر » يقول « ابن سيد الناس » هو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار - ويقال : ابن يسار بن كوثان المدني . كان جده يسار أول سبي دخل المدينة من العراق حيث سباه خالد بن الوليد وأسره عام ١٢ هـ . (٦٣٣ م) في كنيسة بعين التمر (وهي بلدة قرب الأنبار بالعراق) ، وأصبح من موالى قبيلة عبد الله بن قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف القرشي ، ومن ثم فيقال : يسار المطلبى بالولاء المدنى بالمقام . وفي المدينة شب محمد بن إسحاق ، وكرس جهده لجمع الأخبار والقصص المتعلقة بحياة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان له أخوان من رواة الحديث هما عمر وأبو بكر .

مطامته عند العلماء : محمد بن إسحاق ثبتت في الحديث عند أكثر العلماء ، ولا تجهل إمامته في المغازى والسير ، قال ابن شهاب الزهري : من أراد المغازى فعليه

(ط)

بابن إسحاق ، وذكره البخارى فى تاريخه ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق ، وقال شعبة بن الحجاج : ابن إسحاق أمير المؤمنين (يعنى فى الحديث) ، وذكر الساجى أن أصحاب الزهرى كانوا يلجئون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهرى ، ثقة منهم بحفظه ، وحكى عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه .

قال المترجمانى : ومحمد بن إسحاق أول من جمع من مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفها .

أسانيدته ونصوصه : رأى ابن إسحاق أنس بن مالك وسعيد بن المسيب ، وسمع القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن على بن الحسن ابن على بن أبى طالب ، وأباسلة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ونافعا مولى ابن عمر ، والزهرى وغيرهم ..

وحدث عنه أئمة العلماء منهم يحيى بن سعيد الأنصارى ، وسفيان الثورى ، وابن جريج ، وشعبة ، والحمادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعى ، وسفيان ابن عيينة ومن بعدهم .

ومن رواة سيرته الراويتان الثقتان : يونس بن بكير (١٩٩ هـ) وزيايد بن عبد الله البكائى .

مؤلفاته : يبدو أن ابن إسحاق كان قد دون سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - فى كتابين :

١ - أحدهما هو كتاب المبتدأ ، أو د مبتدأ الخلق ، أو د كتاب المبدأ وقصص الأنبياء ، وهو تاريخ النبى حتى الهجرة ، ورواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله ابن نمير النخيلى المتوفى (٢٣٤ هـ) .

(ي)

٢ — والآخر « كتاب المغازي » وهو أهم مؤلفاته ؛ ولعل هذا الكتاب هو الذي كان يعتمد عليه الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية .

ولان إسحاق مؤلف آخر هو

٣ — « كتاب الخلفاء » ، وقد رواه عنه الأمامي ، وقد كان لظهور كتاب المغازي أثره على شهرة هذا الكتاب فيبدو أنه قد قلل من شأنه وأطفأ من بريقه .

رملة العنبرية عندما اصطدم ابن إسحاق بأئمة الحديث أصحاب الرأي السائد في المدينة حينذاك وعلى الأخص بمالك بن أنس . ترك ابن إسحاق وطنه ورحل إلى مصر ثم إلى العراق ، ولما كان مع العباس بن محمد بالجزيرة سمع منه أهلها ، وكان قد أتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكذب إياه المغازي فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب ، وأتى الري فسمع منه أهلها كذلك ، فرواه من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة ، وأتى بغداد فأقام بها إلى أن لقي ربه .

مطاعن علي بن إسحاق والرد عليها : قال الشاذكاني : كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع ، وكان قدريا ، وقال أحمد بن يونس : أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر ...

ويرد على ذلك « ابن سيد الناس في عيون الأثر » بقوله : أما ما رمى به ابن إسحاق من القدر والتشيع فلا يوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن .

وأما قول ابن نمير : أنه يحدث عن المجولين أحاديث باطلة ، فلم ينقل توثيقه وتعديله ، لتردد الأمر في التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالجمل فيها على المجولين المشار إليهم لا عليه .

وأما قول يحيى : إن ابن إسحاق ثقة وليس بحجة فحسبه التوثيق . . .

وإنما طعن مالك فيه - وإن كان ذلك مرة واحدة - فلأن ابن إسحاق كان يزعم أن مالكا من موالى ذى أصبح وكان مالك يزعم أنه من أنفسهم ، فوقع بينهما لذلك

مفاوضة ، فلما صنف مالك « الموطأ » ، قال ابن إسحاق : ائتوني به فأنا يبطأه (طبيب بعلة) ، فنقل ذلك إلى مالك فقال : دجال من الدجاجة يروى عن اليهود . وكان بينهما ما يكون بين الناس ، حتى عزم ابن إسحاق على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ وأعطاه مالك عند الوداع خمسين دينار ونصف ثمرة تلك السنة ، وعاد إلى ما يجب نحو ابن إسحاق ؛ لأنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم منه .

ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم - من أولاد اليهود الذين أسلبوا وحفظوا قصة خيبر وقرينة والنضير ، إلى غير ذلك من الغرائب من أسلافهم ، وما كان ابن إسحاق في تتبعه لذلك إلا ليزداد معرفة من غير أن يحتاج برأيهم .

وأما رواية ابن إسحاق عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهي زوج هشام بن عروة ابن الزبير وما زعمه ؛ أن هشام ذكره فقال العدو لله الكذاب يروى عن امرأتى ؛ من أين رآها ؟ ! فليس ذلك بمستنكر فقد كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يروون عن أزواجه ، فما منع ذلك أحد ، وقد يكون ابن إسحاق قد استأذن عليها فأذنت له ؛ فروى عنها من وراء ستار ، أو كان معها محرم ، وهي محجبة . ولعل هشام بن عروة لم يقل ذلك أصلا . .

وفاته : توفي ابن إسحاق ببغداد سنة ١٥١ هـ وقد قيل سنة ١٥٠ هـ أو ١٥٢ هـ أو ١٥٣ هـ وهناك رأى يقول أن وفاته كانت سنة ١٤٤ هـ وهو مستبعد والأول أصحها .

ودفن - رضوان الله عليه - في مقبرة باب الخيزران عند قبر أبي حنيفة بالجانب الشرقى ، وهي منسوبة إلى الخيزران أم هارون الرشيد لأنها مدفونة بها .

ترجمة : ابن هشام - الذى اشتهرت باسمه السيرة

هو : أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى المصافى البصرى ، والمصافى نسبة إلى المصاف بن يعفر ، قبيل كبير ينسب إليه خلق كثير بعضهم باليمن وعاصمتهم بمصر . وقد اختلف فى نسبته فقيل : قحطاني ، وقيل : عدنانى ، ولكن شهرته بالحميرية تجعلنا نرجح أنه حميرى من قحطان .

ولد بالبصرة وتلقى العلم فيها وتاريخ ولادته مجهول . رحل إلى مصر وأقام بها . وقد اشتهر بحمل العلم ، وتقدم فى علم النسب والنحو وله كتاب فى أنساب حمير وملوكها أسماء كتاب (التيجان) وهو يرويه بسنده عن وهب بن منبه ، طبع فى حيدر أباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ ، ويذكر أيضا من تأليفه شرح أخبار الغريب فى السيرة .

وان هشام هو الذى جمع سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المغازى والسير لابن إسحاق وهذبها ولخصها ، وهى الموجودة بين أيدي الناس والمعروفة بسيرة ابن هشام وبها اشتهر .

توفى - رحمه الله - فى القسطنطينية بمصر عام ٢١٣ هـ ، وقال أبو سعيد عبد الرحمن ابن أحمد بن يونس صاحب تاريخ مصر الذى جعله للغرباء القادمين على مصر : إن عبد الملك بن هشام توفى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة ٢١٨ هـ (مايو ٨٣٤ م) .

(م)

ترجمة السهيلي - أحد شراح السيرة

٥٠٨ - ٥٨١ م / ١١١٤ - ١١٨٥ م

هو : أبو القاسم وأبو زيد ، عبد الرحمن بن الخطيب ، أبي محمد عبد الله بن الخطيب
أبي عمر أحمد بن أبي الحسن ، أصبح بن حسين ، بن سعدون بن رضوان بن فتوح ،
وهو الداخِل إلى الأندلس ، قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية : هكذا امل على نسبته :
الخنعمي السهيلي الإمام المشهور .

وذكره الزركلي في الأعلام قال : عبد الرحمن عبد الله بن أحمد الخنعمي السهيلي .
والخنعمي نسبة إلى خنعم بن أنمار وهي قبيلة كبيرة وهو رأى مختلف فيه . والسهيلي
نسبة إلى سهيل وهي قرية بالقرب من مالقة (مدينة كبيرة بالأندلس) سميت باسم
الكوكب (سهيل) لأنه لا يرى في جميع بلاد الأندلس إلا من جبل مطل عليها .

ولد في مالقة سنة ٥٠٨ هـ الموافقة لسنة ١١١٤ م وكف بصره وعمره سبع عشرة سنة .

نشأ يبلده يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف ، ثم نبغ فاتصل خبره بصاحب
مراكش فطلبه إليها وأكرمه وأحسن إليه وأقبل بوجهه غاية الإقبال عليه ، فأقام
بمراكش نحو ثلاثة أعوام يصنف كتبه إلى أن توفي بها .

وهو مشهور في علم النحو وفنون الأدب ، وحافظ عالم باللغة والسير ، وأشعاره
كثيرة وتصانيفه ممتعة ، قال ابن دحية : أنشدني السهيلي وقال : إنه ماسأل الله تعالى
(بهذه الآيات) حاجة إلا أعطاه إياها ، وكذلك من استعمل إنشادها (وهي من
بحر الكامل) ومطلعها :

يا من يرى مافي الضمير ويسمع	أنت المسعد لكل مايتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها	يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كن	أمن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقرى إليك وسيلة	فلا افتقار إليك فقرى أدفع

(ن)

مالي سوى قرعى لبابك حيلة إن كان فضلك عن فقيرك يُمنع
حاشا لمجدك أن تُقنَّط عاصيا الفضل أجزل والمواهب أوسع
وقيل : إن الفرنجية أغاروا على سهيل وخربوه وقتلوا أهله وأقاربه ، وكان غائبا
عنهم فاستأجر من أركبه دابة وأتى به إلى سهيل ، فوقف يازائه فقال :

يادار أين البيض والآرام أم أين جيران عليّ كرام ؟
راب الحب من المنازل أنه حتى فلم يرجع إليه سلام
لما أجبني الصدى عنهم ولم يولج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنما بمقال صب والدموع سجام
يادار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام

والسهيلي الإمام المشهور صاحب كتاب (الروض الأنف) (*) أشهر كتاب في شرح
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كتاب ذا خريفوائد العلوم والآداب من أنساب
وفقه ونحو ، وقد استخرجه كما يقول من نيّف على مائة وعشرين ديوانا سوى ما أنتجه
من صدره ونفحه من فكره ، وكان بدء إملائه هذا الكتاب في شهر المحرم من
سنة ٥٦٩ هـ وكان الفراغ منه في جمادى الأول من ذلك العام .

وللسهيلي غير هذا الكتاب كتب كثيرة منها :

- ١ - التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام .
- ٢ - نتائج الفكر .
- ٣ - الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير القرآن الكريم .
- ٤ - مسألة رؤية الله تعالى في المنام ورؤية النبي - صلى الله عليه وسلم .
- ٥ - مسألة السر في عور الدجال .
- ٦ - شرح آية الوصية .
- ٧ - شرح الجمل ولم يكتمل ، ومسائل غير هذه كثيرة مفيدة
وتوفى - رحمه الله - بحضرة مرا كش يوم الخميس ودفن وقت الظهر في السادس
والعشرين من شعبان سنة ٥٨١ هـ الموافقة لسنة ١١٨٥ م

(*) انظر الطبعة الحديدة بتحقيقنا : الصادر عن مكتبة السكيات الأزهرية .

(مراجع المقدمات والتراجم)

- ١ - الأعلام قاموس تراجم لخير الدين الزركلي
- ٢ - بغية الملتبس للضبي
- ٣ - بغية الوعاة للسيوطي
- ٤ - تاريخ آداب اللغة العربية لجورج زيدان
- ٥ - تاريخ الأدب العربي لكارل بروككن
- ٦ - تاريخ بغداد - أو مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣ هـ
- ٧ - تراث الإنسانية (سلسلة) المجلد الأول العدد العاشر
- ٨ - دائرة المعارف الإسلامية
- ٩ - الروض الأنف للسهيلى
- ١٠ - ضحى الإسلام لأحمد أمين
- ١١ - عيون الأثر في فنون المغازى لابن سيد الناس
- ١٢ - الفلاكة والمفلكون
- ١٣ - الفهرست لابن النديم
- ١٤ - المطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية
- ١٥ - معجم الأدباء لياقوت الحموى
- ١٦ - المغرب في حلى المغرب أو وشى الطرس في حلى جزيرة الأندلس . . . الذى صنفه بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة : ستة من أهل الأندلس أولهم أبو محمد الحجارى وآخرهم على بن موسى بن سعيد الذى وجد الكتاب بخطوطا يده
- ١٧ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى
- ١٨ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أد، بكر بن خلكان

السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طاهر الرزوقي

الجزء الأول

دار الجيل

بيروت

صبعة جديلق

مضبوطه — منقحه

روجمت على بمموعة من الطبعات القديمه

حقوق الطبع محفوظه

١٩٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه نستعين)

الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين

ذكر سرد النسب الزكي

من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى آدم عليه السلام

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : هذا كتاب سيرة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . واسم عبد المطلب : شَيْبَةَ ^(١) بن هاشم . واسم هاشم :
عمرو ^(٢) بن عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة ^(٣) بن قصي ^(٤) ، بن كلاب ^(٥) .

(١) هكذا ذكر ابن إسحاق : أن اسمه شيبه - وهو الصحيح - وسمى بذلك لأنه ولد وفي
رأسه شيبه . وأما غيره من العرب عن اسمه شيبه ؛ فإنما قصد في تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل
لهم ببلوغ سن الحنكة والرأى ، كما سموا بهرم وكبير .

وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لدة عُبيد بن الأبرص الشاعر المشهور .
ويقال : إنه أول من خضب بالسواد . وقد ذكر أن اسمه عامر . (انظر الروض الأنف
بتحقيقنا طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ص ٧ ج ١) .

(٢) عمرو : اسم منقول من أحد أربعة أشياء : من العَمر الذي هو العُمر . أو من العَمر :
الذي هو من عمور الأستان . أو العُمر الذي هو طرف الكم . أو العَمر الذي هو القُطر .
(٣) المغيرة : منقول من الوصف ، والهاء فيه البالغة ، لئى أنه مغير على الأعداء . أو :
مغير ، من : أغار الجبل إذا أحكمه .

(٤) قصي : واسمه زيد ، وهو تصغير قصي أي بعيد ؛ لأنه بعد عن عشيرته في بلاد
قضاة حين احتملته أمه فاطمة مع زوجها ربيعة بن حرام .

(٥) كلاب : وهو منقول إما من المصدر الذي هو معنى المكالبة ، وإما من الكلاب جمع =

ابن مرة (١) ، بن كعب (٢) بن لؤى (٣) ، بن غالب ، بن فهر (٤) ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمه (٥) ، بن مدركة ، واسم مدركة : عامر ، بن الياس (٦) ، بن مضر (٧) ،

== كلب . لأنهم يريدون الكثرة . وقد قيل لأبي الرقيش الأعرابي : لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب ، وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو : مرزوق ورباح ، فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا ، وعبيدنا لأنفسنا . يريد أن الأبناء عدة الأعداء وسهام في نحورهم ، فاختاروا لهم هذه الأسماء .

(١) مرة : وهو منقول من وصف الحنظلة والعلقة . ويجوز أن تكون الهاء للبالغة ؛ فيكون منقولاً من وصف الرجل بالمرارة ، أو قد يكون من المسمين بالنبات فقد ذكر : أن المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت .

(٢) كعب : وهو منقول من الكعب الذى هو قطعة من السمن ، أو من كعب القدم ، يقولون : ثبت ثبوت الكعب . وكعب هو أول من جمع يوم العروبة ، ولم تسم العروبة إلا مذ جاء الإسلام وقيل هو أول من سهاها أجمعة . فكان يجمع قريش في هذا اليوم ويذكروهم بمبعث النبي — صلى الله عليه وسلم — ويعلمهم أنه من ولده ويأمرهم باتباعه .

(٣) لؤى : هو تصغير اللؤى ، وهو الثور الوحشى كما ذكر ابن الأنبارى ،

(٤) فهر : قيل : لأنه لقب ، والفهر من الحجارة الطويل ، واسمه قريش وقيل بل اسمه فهر ، وقريش لقب له .

(٥) خزيمه : تصغير خزيمة ، وهى المرة الواحدة من الخزم ، وهو شد الشيء وإصلاحه .

(٦) الياس . قال فيه ابن الأنبارى : إلياس بكسر الهمزة وجعله موافقاً لاسم إلياس النبي . وقيل فى اشتقاقه إنه إفعال ، من قولهم : رجل ألييس وهو الشجاع الذى لا يفر . قال العجاج :

ألييس عن حوياته سخي

أما غير ابن الأنبارى فقال : إنه الياس ، سمي بضد الرجاء ، واللام فيه للتعريف والهمزة همزة وصل .

(٧) مضر : قال فيه القتيبي . هو من المضيرة وهى شيء يصنع من اللبن فسلمى مضر لبناطه ، فقتيل : مضر الحمراء ، لأن العرب تسمى الأبيض أحمر .

ابن نزار (١)، بن معد (٢) بن عدنان (٣)، بن أدد (٤).

ويقال أدد، بن مُقَسَّوْم، بن ناحور، بن تيرسح، بن يعرب، بن يشجب (٥)، بن نابت، ابن إسماعيل (٦)، بن إبراهيم (٧) - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر (٨) - بن ناحور، بن ساروخ، بن راعو، بن فالخ (٩)، بن عيبر (١٠)، بن شالخ (١١)، بن أرغشذ (١٢)، بن سام، ابن نوح (١٣)، بن لمك، بن مَتَشُوشَ - لَمَخ (١٤)، بن أخنوخ وهو إدريس النبي - فيما يزعمون - والله أعلم. وكان أول بني آدم أعطى النبوة، وخط بالقلم - ابن يَرْد (١٥)، بن مهليل (١٦)،

-
- (١) نزار: واشتقاقه من النزر وهو القليل، وكان أبوه حين ولد له ونظر إلى النور بين عينيه وهو نور النبوة نحر وأطمع وقال: إن هذا كله نزر لحق هذا المولود.
- (٢) معد: أخذ من المعد وهو القوة.
- (٣) عدنان: فعنان من عدن إذا أقام.
- (٤) أدد: ويقال: أدد، قال ابن السراج: هو من الود وانصرف.
- (٥) ناحور: من النحر، وتيرح: من الترحمة. ويشجب: من الشجب.
- (٦) إسماعيل: تفسيره: مطيع الله.
- (٧) إبراهيم: معناه: أب راحم.
- (٨) قيل معناه: يا أعوج.
- (٩) ويقال فيه: فالخ.
- (١٠) عيبر: ويقال فيه عابر، وذكر الطبري: أن بين فالخ وعابر أبا اسمه قين أنبسط اسمه من التوراة لأنه كان ساحراً.
- (١١) شالخ: معناه الرسول أو الوكيل.
- (١٢) أرغشذ: تفسيره المصباح مضى.
- (١٣) نوح: واسمه عبد الغفار ويقال إنه سمي «نوحاً» لنوحه على ذنبه.
- (١٤) متوشلخ: وتفسيره مات الرسول لأن أباه كان رسولاً ومات ومتوشلخ في بطن أمه.
- (١٥) يرد: وتفسيره الضابط.
- (١٦) مهليل: وقيل مهلائيل: وتفسيره: الممدح.

ابن قَيْنَن (١) ، بن يَانَش (٢) ، بن شَيْث (٣) ، بن آدَم (٤) ، صلى الله عليه وسلم .
قال أبو محمد عبد الملك بن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي (٥) ، عن محمد بن إسحاق الملقب (٦) ،
بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى آدم عليه السلام ،
وما فيه من حديث إدريس وغيره . قال ابن هشام : وحدثني خلاد بن قررة بن خالد السدوسي ،
عن شكيان بن زهير بن شقيق بن ثور ، عن قتادة بن دعامه ، أنه قال :
إسماعيل بن إبراهيم - خليل الرحمن - ابن تارح - وهو آزر - بن ناحور بن أسرخ بن أرغو
ابن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن ملك بن مئثوشلخ بن أخنوخ بن يرد
ابن مهلائيل بن قاي بن أنوش بن شيث بن آدم - صلى الله عليه وسلم - .

مصرح ابن هشام في عرضه للسيرة : قال ابن هشام : وأنا - إن شاء الله - مبتدئ هذا الكتاب
بذكر إسماعيل بن إبراهيم ومن ولد رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من ولده ، وأولادهم
لأصلابهم ، الأول فالأول ، من إسماعيل إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وما يعرض
من حديثهم ، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة ؛ للاختصار ، إلى حديث سيرة
رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ،
مما ليس لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فيه ذكر ، ولا نزل فيه من القرآن شيء ، وليس
سبباً لشيء من هذا الكتاب ، ولا تفسيراً له ، ولا شاهداً عليه ، لما ذكرت من الاختصار ،
وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها ، وأشياء بعضها يشنع الحديث به ،
وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ، ومستقص - إن شاء
الله تعالى - ما سوى ذلك منه ببلغ الرواية له ، والعلم به .

(١) قَيْنَن : وقيل : قَيْنَان ، وتفسيره المستوى .

(٢) يَانَش : وقيل : أنوش ، وتفسيره الصادق .

(٣) شَيْث : وهو بالسريانية : شاث ، وتفسيره : عطية الله .

(٤) آدَم : وفيه ثلاثة أقوال : أنه اسم سرياني . أو هو أفعل من الأدمة وهي السمرة .
أو أخذ من لفظ الأديم ، لأنه خلق من أديم الأرض .

(٥) هو : أبو محمد زياد بن عبد الله البكائي الكوفي وهو محدث مشهور .

(٦) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار من المحدثين خاصة في المغازي والسير . توفي
ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة هجرية انظر تاريخه مفصلاً هو وابن هشام في مقدمة الكتاب .

سياقة النسب من ولد إسماعيل عليه السلام

تأويل إسماعيل عليه السلام :

قال ابن هشام : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق التميمي قال :
ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - اثني عشر رجلاً : نابتا - وكان أكبرهم - وقيدر
وأذبل ، ومنشا ، ومنسما ، ومائي ، ودما ، وأذر ، وطيا ، ويطورا ، ونبس ،
وقتيذما ، وأهم : بنت مضاض بن عمر الجرهمي . قال ابن هشام : ويقال : مضاض ، وجرهم
ابن قحطان - وقحطان أبو الين كلها ، وإليه يجتمع نسبها - ابن عامر بن شالح بن أرفخشذ
ابن سام بن نوح .

قال ابن إسحاق : جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالح ، ويقطن هو : قحطان بن عيبر بن شالح .
عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته : قال ابن إسحاق : وكان عمر إسماعيل - فيما ذكره -
مائة سنة . وثلاثين سنة ، ثم مات - رحمة الله وبركاته عليه - ودفن في الحجر^(١) مع أمه هاجر -
رحمهم الله تعالى .

قال ابن هشام : تقول العرب : هاجر وآجر ، فيبدلون الألف من الهاء ، كما قالوا : هراق
الماء ، وأراق الماء ، وغيره . وهاجر - من أهل مصر .

حديث الوصاة بأهل مصر وسببها : قال ابن هشام : حدثنا عبد الله بن وهب ، عن
عبد الله بن أبيه ، عن عمر مولى غفيرة^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قال :
« الله في أهل الذمة . أهل المدرة السوداء ، السحيم الجعادي^(٣) ، فإن لهم نسباً وصراً » .

(١) الحجر : هو حجر الكعبة وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه
السلام حينما ضاقت بهم النفقة وحجرت على الموضع ليعرف أنه من الكعبة .

(٢) غفيرة : أخت أو بنت بلال رضى الله عنه .

(٣) المدرة : البلدة . والسحيم : السود . والجعادي : يقال فلان جمع الشعر إذا كان

فيه تكسير .

قال عمر مولى غُفُرة : نسبهم : أن أم إسماعيل النبي - صلى الله عليه وسلم - منهم . وصهرهم ، أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تصرر فيهم (١) .

قال ابن لهيعة : أم إسماعيل : هاجر ، من دُأم العرب ، قرية كانت أمام الفَرَمَا (٢) من مصر . وأم إبراهيم (٣) : مارية (٤) سرية النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - التي أهداها له المقوقس من حفن (٥) ، من كورة أنصينا (٦) .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري : أن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، ثم السلمي ، حدثه : أن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : إذا فتحتم مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فإن لهم ذمة ورحاء . فقلت لمحمد بن مسلم الزهري : ما الرحم التي ذكر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لهم ؟ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم .

أصل العرب : قال ابن هشام : فالعرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وبعض أهل اليمن يقول : قحطان من ولد إسماعيل ، ويقول : إسماعيل أبو العرب كلها .

(١) تصرر الرجل : اتخذ أمة لفراشه .

(٢) الفرما : مدينة شرق مصر كانت ميناء كبيراً . وتعرف الآن بتل الفرما .

(٣) هو إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) مارية ومنها : البقرة الفتية إذا كان اللفظ مخففاً ، والملاء إذا كان اللفظ مشدداً

وهي التي أهداها إلى النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس واسمه جُريج بن ميناء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة وجبرا مولى أبي رهم الغفاري ، فقارب الإسلام وأهدى معهما أيضا بغلته التي يقال لها : دُلْدُل — القنفذ العظيم — وأهدى إليه قدحا من قوارير كان يشرب فيها . انظر الروض الآنف بتحقيقنا ج ١ ص ١٧

(٥) حفن : قرية بصعيد مصر وهي التي رفع عنها معاوية الخراج بواسطة الحسن بن علي رضي الله عنهم حفظا لوصية رسول الله ورعاية لحرمه صهره صلى الله عليه وسلم .

(٦) أنصنا : قرية بصعيد مصر ، يقال إنها كانت مدينة السحرة وشهرتها قائمة على وجود شجر البخ بها .

قال ابن إسحاق : عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح ، وثمود وجديس ابنا عابر
ابن إرم بن سام بن نوح ، وطسّم وعملّاق وأمّسيم بنو لاوذك بن سام بن نوح . عرب كلهم .
فولد نابت بن إسماعيل : يشجب بن نابت ، فولد يشجب : يعرب بن يشجب : فولد يعرب :
تيرج بن يعرب ، فولد تيرج : ناحور بن تيرج ، فولد ناحور : مقوم بن ناحور ، فولد مقوم
أدد بن مقوم ، فولد أدد : عدنان بن أدد . قال ابن هشام : ويقال : عدنان بن أد .

قال ابن إسحاق : فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام -
فولد عدنان رجلين : معد بن عدنان ، وعك بن عدنان .

قال ابن هشام : فصارت عك في دار اليمن ، وذلك أن عكا تزوج في الأشعرين ، فأقام
فيهم ؛ فصارت الدار واللغة واحدة . والأشعريون : بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن
هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن
قحطان . ويقال : أشعر : نبت بن أدد . ويقال : أشعر : بن مالك ، ومالك : مذحج بن أدد
ابن زيد بن هميسع . ويقال : أشعر : بن سبأ بن يشجب .

وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر ، وأبو عبيدة ، لعباس بن مرداس ، أحد بني سليم
ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ،
يفخر بعك :

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت في قصيدة له . وغسان : ماء بسد مأرب باليمن ، كان شرباً لولد مازن بن الأسد^(١)
ابن الغوث ، فسموا به . ويقال : غسان : ماء^(٢) بالمشلل قريب من الجحفة ، والذين شربوا منه
تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الأسد ، بن الغوث ، بن نبت ، بن مالك ، بن زيد ،
ابن كهلان ، بن سبأ ، بن يشجب ، بن يعرب ، بن قحطان .

(١) ويقال فيه الأزد أيضا .

(٢) واشتقاق غسان — اسم ذلك الماء — من الغس وهو الضعيف وبعد هذا البيت :

يا أخت آل فراس لئن رجل من معشر لهم في المجد بنيان

ذكر نسب الانصار

قال حسان بن ثابت الانصارى ، والانصار بنو الاوس والخزرج ، ابنتى حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ، بن حارثة ، بن امرئ القيس ، بن ثعلبة ، بن مازن ، بن الاسد ، ابن الغوث :

إما سألت فإنما معشر نجب الأسد نسبتنا والماء غسان
وهذا البيت فى أبيات له .

فقال الين ، وبعضك ، وهم الذين بخرامان منهم : عك بن عدنان بن عبد الله بن الاسد بن الغوث . ويقال : عدنان بن الديث بن عبد الله بن الاسد بن الغوث .

قال ابن إسحاق : فولد معد بن عدنان أربعة نفر : نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وكان قضاعة بكتر معد الذى به يكفى - فيما يزعمون - وقنص بن معد ، ولما ياد بن معد . فأما قضاعة فتيامنت لى حمير بن سبأ - وكان اسم سبأ : عبد شمس - وإنما سمى سبأ ؛ لأنه أول من سبى فى العرب - ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

قال ابن هشام : فقاتل الين وقضاعة : قضاعة بن مالك بن حمير . وقال عمرو بن مرة الجهنى (١) ، وجهينة بن زيد ، بن ليث ، بن سؤد ، بن أسلم ، بن الحاف ، بن قضاعة :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر فى الحجر المنقوش تحت المنبر (٢)

قنص بن معد ونسب النعمان بن المنذر : قال ابن إسحاق : وأما قنص بن معد فهلك بقتلهم - فيما يزعم نسب معد - وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة . قال ابن إسحاق :

(١) من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

له حديثان أحدهما فى أعلام النبوة ، والآخر : من ولى أمر الناس ، فسد بابه دون ذوى الحاجة والحلة والمسكنة ، سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة ، انظر الروض الأنف بتحقيقنا ١٠ ص ٢٣ .

(٢) الهجان الكريم . الأزهر : المشهور ويقال : إن هذا الشعر لأفح بن اليعسوب كما ذكر ذلك ذو الحسين عن الزبير . ويقال أن أول هذا الرجز قوله :

يا أيها الداعى ادعنا وأبشر
وكن قضاعيا ولا تنزر

حدثني محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري : أن النعمان بن المنذر كان من ولد قنص ابن معد . قال ابن هشام : ويقال : قنص .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن شيخ من الأنصار من بني زريق أنه حدثه : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين أتى بسيف النعمان ، ابن المنذر (١) ، دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي - وكان جبير من أنسب قريش لقريش ، وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب - فسلحه لإياه ، ثم قال : ممن كان يا جبير : النعمان بن المنذر؟ فقال : كان من أشلاء قنص بن معد .

قال ابن إسحاق : فأما سائر العرب فيزعمون أنه كان رجلاً من لخم ، من ولد ربيعة بن نصر ، فאלله أعلم أى ذلك كان .

لخم بن عمرو : قال ابن هشام : لخم : بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد ابن ميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : لخم : بن عدي بن عمرو بن سبأ . ويقال : ربيعة بن نصر (٢) بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر ، وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن .

(١) وإنما أتى بهذا السيف حين افتتحت المدائن ، وكانت بها خرائب كسرى وذخايره فأخذت نفائسه ومن جملتها خمسة أسياف ، أحدها : سيف كسرى أبرويز ، والثاني سيف كسرى أنوشروان وثالثها : سيف النعمان بن المنذر كان استلبه منه حير غضب عليه وقتله . ورابعها : سيف خافان ملك الترك ، وخامسها : سيف هرقل وكان تصير إلى كسرى أيام غلبته على الروم .
(٢) ويقال فيه : نصر بن ربيعة . وهو في قول أساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث ابن نمارة بن لخم ، وقال الزبير : نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة ابن لخم .

أمر عمرو بن عامر في خروجه من اليمن

وقصة سد مأرب

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن ، فيما حدثني أبو زيد الأنصاري ، أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء فيَصْرِفونه حيث شاءوا من أرضهم ، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك ، فاعتمزم على النُّقْلة من اليمن ، فكاد قومه ، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه ، أن يقوم إليه فيلطمه ، ففعل ابنه ما أمره به ، فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي ، وعرض أمواله ، فقال أشراف من أشراف اليمن : اغتتموا غصبة عمرو ؛ فاشتروا منه أمواله ، وانتقل في ولده وولد ولده . وقالت الأزد : لا تتخلف عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم ، وخرجوا معه ، فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان . لخاربتهم عك ، فكانت حربهم سجلاً . ففي ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذي كتبنا (١) ، ثم ارتحلوا عنهم ، ففرقوا في البلدان ، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر : الشام ، ونزلت الأوس والخزرج : يثرب ، ونزلت خزاعة : مرآ ، ونزلت أزد : السراة السراة ، ونزلت أزد : عمان عمان . ثم أرسل الله تعالى على السد سيل فهدمه ، ففيه أنزل الله - تبارك وتعالى - على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له . بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » .

والعرم : السد ، واحدته : عرمة ، فيما حدثني أبو عبيدة .

قال الأعشى : أعشى بن قيس ، ابن ثعلبة ، بن عكابة ، بن صعب ، بن علي ، بن بكر ، ابن وائل ، بن هنب ، بن أفصى ، بن جديلة ، بن أسد ، بن ربيعة ، بن نزار ، بن معد .

قال ابن هشام : ويقال : أفصى بن دُعْمَى بن جديلة ، واسم الأعشى : ميمون بن قيس ، ابن جندل ، بن شراحيل ، بن عوف ، بن سعد ، بن مُضَبِّعة ، بن قيس ، بن ثعلبة :

وفي ذاك للوئسى أسوة ومأرب عفى عليها العرم
رغم بنته لهم حمير إذا جاء موآره لم يرم
فاروى الزروع وأعابها على سعة ماؤهم إذ قسم

(١) وهو قوله :

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

فصاروا أيادى ما يقدرو ن منه على شرب طفل فطعم
وهذه الأبيات فى قصيدة له .

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى - واسم ثقيف : قَسِي بن منبّه ، بن بكر ، بن هوازن ،
ابن منصور ، بن عكرمة ، بن خصّفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، بن
معد ، بن عدنان :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ يبنون من دون سيله العرما
وهذا البيت فى قصيدة له . وتروى للتأبغة الجعدى ، واسمهُ: قيس بن عبد الله ، أحد بنى
جعدة ، بن كعب ، بن ربيعة ، بن عامر ، بن صعصعة ، بن معاوية ، بن بكر ، بن هوازن .
وهو حديث طويل ، منعنى من استقصائه ما ذكرت من الاختصار .

حديث ربيعة بن نصر ورؤياه

رؤيا ربيعة : قال ابن إسحاق: وكان ربيعة بن نصر ملك الين بين أضعاف ملوك التباغة،
فرأى رؤيا هالته ، وفظع بها ، فلم يدع كاهنأ ، ولا ساحرأ ، ولا عائفأ^(١) ، ولا منجما من أهل
ملكته إلا جمعه إليه ، فقال لهم : إني قد رأيت رؤيا هالتي ، وفظعت بها ؛ فأخبروني بها
وبتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى
خبركم عن تأويلها ، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقال له رجل منهم :
فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح^(٢) وشق^(٣) ، فإنه ليس أحد أعلم منهما ، فهما يخبرانّه
بما سأل عنه .

(١) العائف : من يزجر الطير .

(٢) وسمى سطيحا : لأنه كان جسما ملقى لا جوارح له ولا يقدر على الجلوس ، إلا إذا
غضب انتفخ فجلس . ويدكر أن وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ويدكر عن وهب
ابن منبه أنه قال : قيل لسطيح : أفى لك هذا العلم ؟ فقال : لى صاحب من الجن استمع أخبار
السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى موسى — عليه السلام — فهو يؤدى إلى من ذلك
ما يؤديه .

(٣) وسمى بذلك لأنه كان نصف إنسان ، له يد واحدة ؟ ورجل واحدة ، وعين واحدة .
وولد شق وسطيح فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة وهى بنت الخير الحيرية امرأة
عمرو بن عامر فنعت بشق وسطيح قبل أن تموت ففتلت فى فيها وأخبرت أنها سيخلفانها فى كهانتها .

واسم سطيج : ربيع بن ربيعة، بن مسعود، بن مازن، بن ذئب، بن عدى، بن مازن غسان .
وشق : بن صعب ، بن يشكر، بن رهم ، بن أفرك ، بن قسر، بن عتبة، بن أنمار،
ابن نزار . وأنمار أبو بجيلة وخشم .

نسب بجيلة : قال ابن هشام : وقالت الين : وبجيلة بنو أنمار ، بن إراش ، بن لحيان ،
ابن عمرو ، بن الغوث ، بن نبت ، بن مالك ، بن زيد ، بن كهلان ، بن سبأ . ويقال : إراش بن
عمرو ، بن لحيان ، بن الغوث . ودار بجيلة وخشم يمانية .

قال ابن إسحاق : فبعث إليهما ، فقدم عليه سطيج قبل شق ، فقال له : إني رأيت رؤيا
هائلي ، وفطعت بها ، فاخبرني بها ، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها .
قال : أفعل . رأيت حممة ، خرجت من ظلبة ، فوقعت بأرض تهمة ، فأكلت منها كل
ذات جمجمة ، (١) .

فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئا ياسطيج ، فاعندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين
الحرّتين من حشش ، لتبطن أرضكم الحبش ، فليملكن ما بين أبين إلى جرش (٢) ، فقال له
الملك : وأبيك ياسطيج ، إن هذا لنا لغائظ موجه ، فحق هو كائن ، أفى زمانى هذا . أم
بعده ؟ قال لا ، بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : أفيدوم
ذلك من ماكمهم أم ينقطع ؟ قال : لا ، بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ، ثم يقتلون ويخرجون
منها هارين . قال : ومن يلى ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى يزن (٣) ، يخرج.

(١) الحممة : الفحمة المحرقة والظلبة : الظلام ، يريد خروج عسكر الحبشة من أرض السودان
وأرض تهمة أى منفخضة وقوله : « أكلت منها كل ذات جمجمة » ، ولم يقل : كل ذى جمجمة لأنه
القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ، ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح .

(٢) بنو حبش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة . وأبين هكذارويت بفتح الهمزة وذكرها سيويه
بكسر الهمزة على مثل إصبع . وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير ،
أو من ابن حير سميت به البلدة . وذكروا الطبرى : أن أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان .
وجرش : مدينة باليمن .

(٣) المعروف أن اسمه : سيف بن ذى يزن ، ولكن جعله إرماء ، إما لأن الإرم هو العلم =

عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه ، أم ينقطع ؟

قال : لا ، بل ينقطع .

قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكى ، يأتيه الوحى من قبل العلى ، قال : ومن هذا النبي ؟

قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك فى قومه إلى آخر الدهر .

قال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيه

المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحق ما تخبرنى ؟ قال : نعم . والشفق والغسق ، والفلق

إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه شق ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتبه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان .

فقال : نعم ، رأيت 'حمّة' خرجت من ظُلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل

ذات نسمة .

قال : فلما قال له ذلك ، عرف أنهما قد اتفقا ، وأن قولها واحد .

إلا أن سطيحاً قال : « وقعت بأرض تهمة » ، فأكلت منها كل ذات جمجمة ، .

وقال شق : « وقعت بين روضة وأكمة » ، فأكلت منها كل ذات نسمة . .

فقال له الملك : ما أخطأت يا شق منها شيئاً ، فما عندك فى تأويلها ؟

قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طفلة

البنان^(١) ، وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال له الملك : وأبيك يا شق ، إن هذا لنا لناظر موجه ، فحق هو كائن ؟ أفى زمانى ، أم بعده ؟

قال : لا ، بل بعده بزمان ، ثم يستنقذك منهم عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ، ليس يدنى ، ولا مدنى^(٢) ، يخرج عليهم من

بيت ذى يزن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

== فدهه بذلك ، وإما شبهه بعاد إرم فى عظم الخلقة ، قال الله تبارك وتعالى : « ألم تركيف فعل

ربك بعاد . إرم ذات العماد . .

(١) الطفلة : الناعمة الرخصة . والبنان : الأصبع .

(٢) المدن : الذى جمع الضعف مع الدناءة .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسولٍ مرسل يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل . قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات ، يسمع منها الأحياء والأموات ، ويجمع فيه بين الناس للبيقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات .

قال : أحق ما تقول ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ، إن ما أنبأتك به لحق ، ما فيه أمض .

قال ابن هشام : أمض . يعنى شككاً : هذا بلغة حمير . وقال أبو عمرو . أمض أى : باطل . فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا ، فجهز بنيه ، وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له : سابور بن خُزرَاذ فأسكنهم الحيرة .

رأى آخر في نسب النعمان بن المنذر : فن بقية ولد ربيعة بن نصر : النعمان بن المنذر ، فهو في نسب الين وعلمهم : النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، ذلك الملك . قال ابن هشام : النعمان بن المنذر ، بن المنذر ، فيما أخبرني خلف الأحمر .

اسم تيلاه أبي كرب تيبان أسعد على ملك الين

وغزوه إلى يثرب

قال ابن إسحاق : فلما هلك ربيعة بن نصر ، رجع ملك الين كله إلى حسان بن تيبان أسعد (١) أبي كرب — وتبان أسعد هو : تبع الآخر ، ابن كلسكي كَرَب بن زيد ، وزيد هو تبع الأول بن عمرو ذى الأذعار (٢) ابن أبرهة ذى المنار (٣) ابن الرقيش — قال ابن هشام : ويقال : الرائش . قال ابن إسحاق : ابن عدى بن صيفي بن سبأ الأصغر ، بن كعب ، كهف الظلم ، ابن زيد

(١) اسمان جعلاً اسماً واحداً ، ويصح جعل الإعراب في الجزء الأول من الاسم وإضافة الاسم الثاني إليه ويحوز جعل الإعراب في الجزء الثاني من الاسم . وتبان : من التبانة وهى الذكاء والفطنة . يقال : رجل تبن وطبن .

(٢) وسمى ذا الأذعار ؛ لأنه أوغر في ديار المغرب وسبأ أمة ذات شكل غريب ؛ فذعر الناس منهم فسمى بذلك .

(٣) وسمى بذلك لأنه رفع نيراناً في جبال ليهتدى بها في إحدى غزواته .

ابن سهل ، بن عمرو ، بن قيس ، بن معاوية ، بن جشم ، بن عبد شمس ، بن وائل ، بن الغوث ، بن قطن ، بن عريب ، بن زهير ، بن أيمن ، بن الهميسع ، بن النمر بن نضج . والعرنجج : خير بن سبأ الأكبر ، ابن يعرب ، بن يشجب ، بن قحطان .

قال ابن هشام : يشجب : بن يعرب بن قحطان .

قال ابن إسحاق : وتبان أسعد أبو كرب الذي قدم المدينة ، وساق الخبرين من يهود المدينة إلى اليمن وعسرا البيت الحرام وكساه ، وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر .

قال ابن هشام : وهو الذي يقال له :

ليت حظي من أبي كرب أن يسد خير خبائه^(١)

تبان يغضب على أهل المدينة : قال ابن إسحاق : وكان قد جعل طريقه — حين أقبل من المشرق — على المدينة ، وكان قد مر بها في بداته ، فلم يهجم أهلها ، وخلف بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غيلة؛ فقدمها ، وهو جمع لإخراها ، واستئصال أهلها ، وقطع نخلها^(٢) ، فجمع له هذا الحى من الانصار ، ورئيسهم عمرو بن طلحة أخو بني النجار ، ثم أسد بن عمرو بن مبدول ، واسم مبدول : عامر ، بن مالك ، بن النجار . واسم النجار : تيم الله بن ثعلبة ، بن عمرو ، ابن الخزرج ، بن حارثة ، بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن عامر ،

عمرو بن طمة ونسب : قال ابن هشام : عمرو بن طلحة : عمرو بن معاوية ، بن عمرو ، ابن عامر ، بن مالك ، بن النجار ، وطلة : أمه : وهى بنت عامر بن زريق ، بن عامر بن زريق ، ابن عبد حارثة ، بن مالك ، بن كخصب ، بن جشم ، بن الخزرج .

(١) الخيل : الفساد . وقد لسب هذا البيت إلى الأعشى ولكن البرق لسبه إلى عجز من بني سالم ، قالته حين جاء مالك بن العجلان بخبر تبع . فدخل سراً ، فقال لقومه : قد جاء تبع خفاك العجز البيت .

(٢) يذكر القتي أنه لم يقصد غزوها ، وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها ، وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزولها معهم ، حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف بذلك يهود واستصاموم ، فاستقاموا بتبع ، فعند ذلك قدمها .

(٢ — السيرة النبوية . ج ١)

قُبِصَتْ مَقَاتِلُهُ نَبَاهَهُ الْهَرَبُ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَافِ يُقَالُ لَهُ : أَبْرَجٌ ، عَدَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ تَبَعِ حِينَ نَزَلَ بِهِمْ فَقَتَلَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَجَدَهُ فِي عَذْقٍ لَهُ يَجُودُهُ (١) فَضْرَبَهُ بِمَنْجَلِهِ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ : إِنَّمَا التَّمَرُ لِمَنْ أَبْرَهُ (٢) ، فَرَادَ ذَلِكَ تَبْعاً حَقّاً عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَاقْتَتَلُوا ، فَتَزَعَّمُ الْأَنْصَارُ أَنَّهُمْ كَانُوا يِقَاتِلُونَهُ بِالنَّهَارِ ، وَيَقْرُؤُونَ بِاللَّيْلِ ، فَيَحْجِبُهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، وَيَقُولُ : وَاللَّهِ إِنْ قَوْمَنَا لَكِرَامٌ !!

فَبَيْنَمَا تَبَعٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قِتَالِهِمْ ، إِذَا جَاءَهُ حَبْرَانِ مِنَ أَجْبَارِ الْيَهُودِ ، مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ وَقَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ وَالنَّجَّامِ وَعَمْرُو - وَهُوَ هَدَلٌ (٣) - بَنُو الْخَزْرَجِ بْنِ الصَّرِيحِ بْنِ التُّومَانِ (٤) ، بَنِي السَّبْطِ بْنِ الْيَسْعَ ، بَنِي سَعْدٍ ، بَنِي لَأْوِيٍّ ، بَنِي خَيْرٍ ، بَنِي النَّجَّامِ ، بَنِي تَنْحُومٍ ، بَنِي عَازِرٍ ، بَنِي عِزْرَئِيلَ ، بَنِي هَارُونَ ، بَنِي عِمْرَانَ ، بَنِي يَصْرٍ ، بَنِي قَاهِثٍ ، بَنِي لَأْوِيٍّ ، بَنِي يَعْقُوبَ - وَهُوَ إِسْرَائِيلُ - بَنِي إِسْحَاقَ ، بَنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ - عَالِمَانِ رَاسِخَانِ فِي الْعِلْمِ ، حِينَ سَمِعَا بِمَا يَرِيدُ مِنْ إِهْلَاكِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا ، فَقَالَا لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَيْبَتَ إِلَّا مَا تَرِيدُ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا ، وَلَمْ تَأْمَنْ عَلَيْكَ عَاجِلَ الْعُقُوبَةِ ، فَقَالَ لَهَا : وَلَمْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَا : هِيَ مُهَاجِرٌ نَبِيٌّ يَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْحَرَمِ مِنْ قَرِيشٍ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، تَكُونُ دَارُهُ وَقَرَارُهُ ، فَتَأْتِيهِ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَأَى أَنَّ لَهَا عَلِماً ، وَأَعْجَبَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُمَا ، فَانْصَرَفَ عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَأَتْبَعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا ، فَقَالَ خَالِدُ ابْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ غَزِيَّةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ غَنَمٍ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَارِ يَفْخَرُ بِعَمْرٍو بْنِ طَلْحَةَ أَصْحَابَا أُمِّ قَدْ نَهَى ذِكْرَهُ أُمُّ قُضَى مِنْ لَفْظِهِ وَطَرَهُ (٥)

(١) العَذْقُ : النَّخْلُ ، وَيَجُودُهُ : يَقْطَعُهُ .

(٢) أَبْرَ النَّخْلُ : لَقَحَهُ وَأَصْلَحَهُ .

(٣) هَدَلٌ : بِفَتْحِ الدَّالِ وَالْهَاءِ ، كَأَنَّهُ مُصْدَرٌ : هَدَلَ هَدَلًا إِذَا اسْتَرَخَتْ شَفْتُهُ ، وَذَكَرَهُ الْأَمِيرُ بْنُ مَآكُولَا عَنْ أَبِي عَبْدِ النَّسَابَةِ فَقَالَ فِيهِ : هَدَلَ بِسُكُونِ الدَّالِ .

(٤) التُّومَانُ : عَلَى وَزْنِ فَعْلَانٍ . كَأَنَّهُ مِنْ لَفْظِ الْتَوَمِّ ، وَهُوَ الدَّرُّ .

(٥) الذِّكْرُ : جَمْعُ ذِكْرِهِ . وَالْمُسْتَعْمَلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ذِكْرَى بِالْأَلْفِ وَقَلْبًا يَجْمَعُ فَعْلًا عَلَى فَعْلٍ وَإِنَّمَا يَجْمَعُ عَلَى فَعَالٍ ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ فِي هَذَا الْبَيْتِ جَمْعَ ذِكْرَى ، وَشَبَّهَ أَلْفَ التَّأْنِيثِ بِهَاءِ التَّأْنِيثِ ، فَلَهُ وَجْهٌ : قَدْ يَحْمِلُونَ الشَّيْءَ عَلَى الشَّيْءِ إِذَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ .

أم تذكرت الشباب ، وما ذكرك الشباب أو عَصْرَه (١)
لأنها حرب رِبَاعِيَّةٌ مثلها آتى الفتى عِبْرَه (٢)
فأسألا عمران ، أو أسدا إذ أتت عَدُوًّا مع الزُهْرَة (٣)
فيلق فيها أبو كَرِبٍ سُبْبَغٌ أبدانها ذَفِرَه (٤)
ثم قالوا : من نؤم بها أبني عوف ، أم النَجْرَه ؟ (٥)
بل بني النجار إن لنا فهِم قتل ، وإن تَرَه (٦)
فتلقتهُم — مُسَايِفَة مَدَّهَا كالغِيَةِ النَّثْرَة (٧)
فيهم عمرو بن طلة ملئى الإله قومه عُمرَه (٨)

(١) أو عَصْرَه ، أراد أو عَصْرَه وهما لغتان كما قال ابن جني ليس شيء على وزن فعيل يمتنع فيه فَعْمَلٌ . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٣٧ .

(٢) حرب رباعية . مثل . أى ليست بصغيرة ولا جذعة ، بل هى فوق ذلك ، وضرب سن الرباعية مثلاً ، كما يقال : حرب عوان ؛ لأن العوان أقوى من الفتية وأدرب .

(٣) يريد صبحهم بغلس : وهى ظلمة آخر الليل قبل مغيب الزهرة : وهى نجم معروف شديد اللعان .

(٤) سبغ : كاملة . والأبدان : الدروع . وذَفِرَة من الذفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة ، وأما الذفر ، فإنه فيما كره من الروائح ، ومنه قيل للدنيا أم ذفر .

(٥) النجرة : جمع ناجر ، والناجر والنجار : بمعنى واحد ، وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار ، وهم : تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الحزوج ، وسمى النجار ؛ لأنه نجر وجه رجل بتدوم فيما ذكر بعض أهل النسب .

(٦) فيهم قتل وإن تره : أظهر إن بعد الواو . أراد : إن لها قتل وترة ، والتره : والوتر انظر تفصيل ذلك فى الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٣٨ .

(٧) مسايقة : أى كتيبة مسايقة . والغية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ، وهى التى لا تمسك الماء .

(٨) ملئ . من قولهم . تملئته حيناً . أى عشت معه حيناً وهو مأخوذ من الملاوة والملاوين وفى القاموس . ملاك الله حبيبك تملية : متعلق به ، وتملى عمره . استمتع فيه ، والملا : الصحراء ، والملاوان : الليل النهار .

سيد سام الملوك ومن رام عمرا لا يكن قدّره
وهذا الخي من الانصار يزعمون أنه إنما كان حقيق تباع على هذا الخي من يهود الذين كانوا
بين أظهرهم ، وإنما أراد هلاكهم ، فنعمهم منه ، حتى انصرف عنهم ، ولذلك قال في شعره :
حنقا على سبطين حلا يثربا أولى لهم بعقاب يوم مفسد
قال ابن هشام : الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع ، فذلك الذي منعنا من إثباته (١) .

تبع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة : قال ابن إسحاق : وكان تبع وقومه أصحاب
أوثان يعبدونها ، فتوجه إلى مكة ، وهي طريقه إلى اليمن ، حتى إذا كان بين عُسفان ، وأمعج
أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ، فقالوا له : أيها الملك
ألا ندلك على بيت مال دائر ، أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب
والفضة ؟ قال : بلى ، قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما أراد الهذليون
هلاكه بذلك ؛ لما عرفوا من هلاك من أراد من الملوك وبغى عنده . فلما أجمع
لما قالوا ، أرسل إلى الحبرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القوم إلا
هلاكك وهلاك جندك . ما نعلم بيتا لله اتخذ في الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك
إليه ، لتهلكن ، وليلكن من معك جميعا ، قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا أنا قدمت
عليه ؟ قال : تصنع عنده ما يصنع أهله : تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق رأسك عنده
وتذل له ، حتى تخرج من عنده ، قال : فما يمنحك أتما من ذلك ؟ قال : أما والله إنه لبيت أبينا
إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله ،
وبالدماء التي يهرقون عنده ، وهم نجس أهل شرك - أو كما قالوا له - فحرف نصحبها وصديق
حديثها ففرب نفر من هذيل ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، ثم مضى حتى قدم مكة ، فطاف
بالبيت ، ونحر عنده ، وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام - فيما يذكرون - ينهر بها الناس

(١) على الرغم من زعم ابن هشام أن هذا البيت مصنوع فقد ذكره ضمن قصيد مطول في
كتاب التيجان . أوله :

ما بال عينك لا تنام ، كأنما كحلت ما أقيا بسم الاسود

ويعظم أهلها ، ويسقيهم العسل ، وأرى في المنام أن يكسوا البيت ، فكساه الخصف^(١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المعافر^(٢) ، ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه الملاء والوصلات^(٣) ، فكان تبع - فيما يزعمون - أول من كسا البيت^(٤) ، وأوصى به ولاته من جرهم ، وأمرهم بتطهيره وألا يقربوه دما ، ولا ميتة ، ولا مثلاتا - وهي المحايض^(٥) - وجعل له بابا ومفتاحا ، وقالت سبيعة بنت الأحب^(٦) ، بن زينة ، بن جذيمة ، بن عوف ، بن معاوية ، بن بكر ابن هوازن ، بن منصور ، بن عكرمة ، بن خَصَصَة ، بن قيس ، بن عيلان ، وكانت عند عبد مناف بن كعب ، بن سعد ، بن تيم ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤى ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، لابن لها منه يقال له : خالد : تعظم عليه حرمة مكة ، وتناه عن البغى فيها ، وتذكر تبعا وتذلل لها ، وما صنع بها :

(١) الخصف : جمع خصفة وهي شئ ينسج من الخوص والليف ، والخصف أيضا : الثياب الغليظة .

(٢) المعافر : ثياب يمنية .

(٣) الملاء : جمع ملأة ، وهي الملحفة . والوصلات : ثياب موصلة من ثياب اليمن . ويروى أن تبعا لما كسا البيت المسوح والاتطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه ، وفعل ذلك حين كساه الخصف ، فلما كساه الملاء والوصلات قبلها .

(٤) قال ابن إسحاق : أول من كسا الكعبة الديباج : الحجاج ، وذكر الدارقطني : أنها نثيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب ، كانت قد أضلت العباس صغيراً . فنذرت : إن وجدته أن تكسوا الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته . وقال الزبير النسابة : بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير .

(٥) لم يرد النساء الحيض ؛ لأن حائضا لا يجمع على عائض . وإنما هي جمع محيضة ، وهي خرقه المحيض ، ويقال للخرقة أيضا : مثلاة ، وجمعها : المآلى .

(٦) وقال أبو عبيدة : بنت الأجب - بالجيم - وقد قالت هذا الشعر في حرب كانت بين بني السباق بن عبد الدار ، وبين بني علي بن سعد بن تميم حتى تفانوا .

أُبْنَى : لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير
واحفظ عارها بِنَسَى ولا يغرنك الغرور
أبْنَى : من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
أبْنَى : يضرب وجهه وَيَلْجُ بخديه السعير
أبْنَى : قد جربتها فوجدت ظالمها يبور (١)
الله أمنها ، وما بنيت بعرضتها قصور
والله آمن طيرها والعصم تأمن في ثبير (٢)
ولقد غزاها تبع فكسا بنيتها الجبير (٣)
وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالندور
يمشى إليها حافيا بفنائها ألفا بعير
ويظل يطعم أهلها لحم المهارى والجزور (٤)
يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٥)
والفيل أهلك جيشه يرمون فيها بالصخور
والملك فى أقصى البلا دوفى الأعاجم والخزير (٦)
فاسمع إذا حدثت ، وافهم كيف عاقبة الأمور

قال ابن هشام : يوقف على قوافيها لاتعرب

أصل اليهودية باليمن : ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالجبين حتى
إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه ، حتى يحاكموه إلى النار التي
كانت باليمن .

(١) يبور : يهلك .

(٢) العصم : الوعول تعصم فى الجبال . وثبير : جبل بمكة .

(٣) بنيتها : الكعبة . والجبير : نوع موشى من ثياب اليمن .

(٤) المهارى : الإبل النجيبة .

(٥) الرحيض : المنق والمصنى .

(٦) الخزير : يريد الخزور وهم أمة من العجم .

قال ابن إسحاق : حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعت إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث : أن تبعاً لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا ، وقد فارقت ديننا ، ففدعاهم إلى دينه وقال : إنه خير من دينكم ، فقالوا : فهاكسنا إلى النار قال : نعم . قال : وكانت باليمن - فيما يزعم أهل اليمن - نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متقليديهما ، حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذمهم^(١) من حضرهم من الناس ، وأمروهم بالصبر لها ، فصبروا حتى غشيتهم ، فأكلت الأوثان وما قربوا معها ، ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما تترقب جباههما لم تضرهما ، فأصفت عند ذلك حمير على دينه ، فمن هنالك ، وعن ذلك ، كان أصل اليهودية باليمن .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني يحدث أن الخبرين ، ومن خرج من حمير ، إنما اتبعوا النار ليردوها ، وقالوا : من ردها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ، فذنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ، ودنا منها الخبران بعد ذلك ، وجعلا يتلوان التوراة وتكص عنهما ، حتى رداها إلى مخرجها الذي خرجت منه ، فأصفت^(٢) عند ذلك حمير على دينهما . والله أعلم أي ذلك كان .

هدم البيت المسمى رثام^(٣) : قال ابن إسحاق : وكان رثام يبتالهم يعظمونه ، وينحرون عنده ، ويسكبون منه ، إذ كانوا على شركهم ، فقال الخبران لتبع : إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه ، قال : ففشا كما به ، فاستخرجنا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلباً أسود فذبحناه ، ثم هدمنا ذلك البيت ، فبقاياها اليوم - كما ذكر لي - بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه .

(١) ذمهم : شجعهم وحضهم ليجدوا ،

(٢) أصفت : اجتمعت .

(٣) رثام : فعال من رثمت الأثني ولدها ترأه رثماً ورثاماً : إذا عطفت عليه ورحمته ؛ فاشتقوا لهذا البيت اسماً لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته ،

مُلْك حسان بن تَبان وقتله على يد أخيه عمرو

فلما ملك ابنه حسان بن تَبان أسعد أبي كرب ، سار بأهل اليمن ، يريد أن يظأ بهم أرضه العرب ، وأرض الأعاجم ، حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق - قال ابن هشام : بالبحرين ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم - كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم ، فكلّموا أخأ له يقال له عمرو ، وكان معه في جيشه . فقالوا له : اقتل أخاك حسان ، ونملكك علينا ، وترجع بنا إلى بلادنا ، فأجابهم ، فاجتمعوا على ذلك إلا ذا رُعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه . فقال ذو رعين (١) :

ألا من يشتري سهرأ بنوم سعيد من يبيت قرير عين (٢)

فأما حمير غدرت ، وخانت فعذرة الإله لذى رعين

ثم كتبها في رقعة ، وختم عليها ، ثم أتى بها عمراً ، فقال له : ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل ، ثم قتل عمرو أخاه حسان ، ورجع بن معه إلى اليمن . فقال رجل من حمير :

لاه عينا الذى رأى مثلى حسان قتيلًا في سالف الأحقاب (٣)

قتلته مقال خشية الحبس خداة قالوا : لباب لباب (٤)

مشتكم خيرنا وحكم ربنا علينا ، وكلكم أرباب

(١) ذو رعين : تصغير رعين ، والرعين : أنف الجبل ، ورعين : جبل باليمن وإليه ينسب ذو رعين .

(٢) معناه : آمن يشتري ، وحسن حذف ألف الاستفهام لتقدم همزة ألا . وفي البيت حذف تقديره : بل من يبيت قرير عين هو السعيد ، لحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه .

(٣) لاه : أراد الله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل ، وهذا حذف كثير . ولكنه جاز في هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة . مثل قول الفراء :

لهنك من برق على كريم

أراد : والله إنك . انظر هذا الموضوع مفصلاً في الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٤٣ .

(٤) الما قول : يريد الأقيال ، وهم الذين دون التبابعة واحدهم تيشل وأصله قيل مثل سيد واستعمل بالياء في إفراده وجمعه ، وإن كان أصله الواو ، لأن معناه : الذى يقول ويسمع قوله .

قال ابن إسحاق : وقوله : لَبَابِ لَبَابِ : لا بأس لا بأس بلغة حمير . قال ابن هشام : ويروى لِبَابِ لِبَابِ .

هولك عمرو وتغزو حمير : قال ابن إسحاق : فلما نزل عمرو بن تبارك بن تبارك من النوم ، وسلط عليه السير ، فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة^(١) من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم : إنه ما قتل رجل قط أخاه ، أو ذا رحمه بغياً على مثل ما قتلت أخاك عليه ، إلا ذهب نومه ، وسلط عليه السير ، فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشرف اليمن ، حتى خلص إلى ذي رعين ، فقال له ذو رعين : إن لي عندك براءة ، فقال وما هي ؟ قال : الكتاب الذي دفعت إليك ، فأخرجه فإذا البيتان ، فتركه ، ورأى أنه قد نصحه . وهلك عمرو ، فرج^(٢) أمر حمير عند ذلك وتفرقوا .

خبر الخنيفة وذى نواس

فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة ، يقال له : الخنيفة^(٣) ينوف ذوشناتر^(٤) ، فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمير للخنيفة .

تَقْتُلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَاتَهَا وَتَبْنِي بِأَيْدِيهَا لَهَا الذِّلَّ حَمِيرَ

تَدْمُرُ دُنْيَاهَا بِطَيْشِ حُلُومِهَا وَمَا ضِيعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ

كَذَلِكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بَظْلُهَا وَإِسْرَافُهَا تَأْتِي الشُّرُورَ فَتَنْصُرُ

فسير الخنيفة : وكان الخنيفة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك ، فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك . لتلايمك بعد ذلك ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا ، فجعله في فيه ، أى : فيمليهم أنه قد فرغ منه ، حتى يبعث إلى زُرعة ذى نواس بن تبارك أسعد أخى حسان ، وكان صليبا صغيرا حين قتل حسان ، ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل ، فلما أتاه رسوله ،

(١) الحزاة : المنجمون .

(٢) مرج : اختلط .

(٣) قال ابن جرير : هو من اللعج ، وهو استرخاء الجسم .

(٤) الشناتر الأصابع واحدا شُنْتَر .

غرف ما يريد منه ، فأخذ سكيناً حديداً لطيفاً ، فخبأه بين قدمه ونعله ، ثم أتاه ، فلما خلا معه وثب إليه فواثبه ذونواس ، فوجأه (١) حتى قتله ، ثم حزر رأسه ، فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذا نواس أرطب أم يباس فقال : « سل نحماس استرطبان ذونواس استرطبان لابس » ، قال ابن هشام : هذا كلام حمير . ونحماس : الرأس . فنظروا إلى الكوة فإذا رأس الخنيفة مقطوع ، فخرجوا في إثر ذى نواس حتى أدركوه ، فقالوا : ما ينبغي أن يملكنا غيرك ، إذ أرحتنا من هذا الخنيث .

ملك ذى نواس : فملكوه ، واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير وهو صاحب الأخدود ، وتسمى : يوسف ، فأقام في ملكه زماناً .

سبب وجود النصرانية بنجران : وبنجران بقايا من أهل دين عيسى ابن مريم عليه السلام على الإنجيل . أهل فضل واستقامة من أهل دينهم ، لهم رأس يقال له : عبد الله بن الثامر . وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، ولأهلها وسائر العرب كلها أهل أو ثمان يعبدونها ، وذلك أن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين يقال له : فيميون ، وقع بين أظهرهم ، فحملهم عليه ، فدانوا به .

مريت فيميون (٢) : قال ابن إسحاق : حدثني المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأخنس ، عن وهب ابن منبه اليماني أنه حدثهم : أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى ابن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل بين القرى ، لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها ، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه ، وكان بنساء يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد ، فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً . وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي . قال : وكان في قرية من قرى الشام

(١) وجأه : ضربه .

(٢) فيميون . وقال عنه السهيلي في الروض الأنف فيميون . وذكر أن النقاش قال : إن اسمه يحيى ، وكان أبوه ملكاً فتوفى ، وأراد قومه أن يملكوه بعد أبيه ، ففر من الملك ولزم السياحة .

يعمل عمله ذلك مستخفياً ، ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له : صالح ، فأجبه صالح جبا لم يحبه شيئاً كان قبله . فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون ، حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض - كما كان يصنع - وقد اتبعه صالح ، وفيميون لا يدرى ؛ فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه ، لا يحب أن يعلم بمكانه ، وقام فيميون يصلى ، فبينما هو يصلى إذ أقبل نحوه الثنين - الحية ذات الرؤوس السبعة^(١) - فلما رآها فيميون دعا عليها فأتت ، ورآها صالح ولم يدر ما أصابها ، تخافها عليه ، فعيل عولته ؛ فصرخ : يا فيميون ! الثنين قد أقبل نحوك ، فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ منها ، وأمسى ، فانصرف ، وعرف أنه قد عُرِف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه . فقال له : يا فيميون ! تعلم والله أنى ما أحببت شيئاً قط حبك وقد أردت محبتك ، والكينونة معك حيث كنت ، فقال : ما شئت ، أصرى كما ترى ، فإن هلت أنك تقوى عليه فنعم ، فله صالح ، وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشنى ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به ضر لم يأت ، وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنه لا يأتى أحد أدعاه ، ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك ، فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له : يا فيميون ، إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي إليه حتى تنتظر إليه فأشار طلك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال له : ما تريد أن تعمل في بيتك هذا ؟ قال : كذا وكذا ، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي^(٢) ، ثم قال له : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ؛ فدعا له فيميون ؛ فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة ، فناده منها رجل ، فقال : يا فيميون ! قال : نعم . قال : ما زلت أظرك ، وأقول : متى هو جاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم على فاني ميت الآن . قال : فأت ، وقام عليه حتى وراه ، ثم انصرف ، وتبعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدوا عليهما ، فاخطفتهما سيارة من بعض العرب ، فخرجا بهما ، حتى

(١) أى القرون السبعة .

(٢) انتشط الثوب : رفعه بسرعة .

باعوهما بنجران ، وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم ، لما عيد في كل سنة ، إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه ، وحلى النساء ، ثم خرجوا إليها ، فكفوا عليها يوماً .

فابتاع فيميون رجل من أشرفهم ، وابتاع صالحاً آخر ، فكان فيميون إذا قام من الليل - يتجعد في بيت له أسكنه إياه سيده - يصلي ، استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيده ، فأعجبه ما يرى منه ، فسأله عن دينه ، فأخبره به ، وقال له فيميون : إنما أتم في باطل ، إن هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ، ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبد ، لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له ، قال : فقال له سيده : فافعل ، فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما نحن عليه . قال : فقام فيميون ، فتطهر وصلى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله عليها ريحاً فجعلتها^(١) من أصلها فألقتها ؛ فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ، ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض ، فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث وهب بن مُسَيْبٍ عن أهل نجران .

خبر عبد الله بن الثامر

عبد الله بن الثامر وأبوه الواسع الأعظم : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران - ونجران : القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيميون - ولم يسموه لى باسمه الذي سماه به وهب بن منبه - قالوا : رجل نزلها - ابتقى خيمة بين نجران ، وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من سلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويستمع منه حتى أسلم ، فوحد

(١) جعلتها : أسقطتها .

الله وعبدته ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتبه إياه وقال له : يا ابن أخي ! إنك لن تحمله ، أخشى عليك ضمفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف النملان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى قداح (١) لجمعها ، ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ، ثم جعل يقدفها فيها قدحا قدحا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قدف فيها بقدره ، فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتبه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع ، قال : أي ابن أخي ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

عبد الله بن الثامر يدعو إلى التوحيد : لجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل بجران لم يلق أحدا به ضرا إلا قال : يا عبد الله ، أتوحد الله ، وتدخل في ديني ، وأدعو الله ، فيعافيك بما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويؤمن ، ويدعو له فيشفي ، حتى لم يبق بجران أحد به ضرا إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعاه فمضى ، حتى رفع شأنه إلى ملك بجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لا مثلن بك . قال : لا تقدر على ذلك . قال : لجعل يرسل به إلى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال له عبد الله بن الثامر : إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت ذلك ، سُلطت على قتلتي ، قال : فوحد الله تعالى ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا في يده ، فشججه شجرة غير كبيرة ، فقتله ثم هلك الملك مكانه ، واستجمع أهل بجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فنحن لك كان أصل النصرانية بجران ، والله أعلم بذلك .

(١) القداح : السهام .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي ، وبعض أهل نجران عن عبد الله ابن الثامر ، والله أعلم أى ذلك كان .

ذو نواس يدعو أهل نجرانه إلى اليهودية : فسار إليهم ذو نواس بجنوده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخبرهم بين ذلك والقتل ؛ فاختاروا القتل ، فخذلهم الأخدود^(١) ، فحرق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف ، ومثّل بهم ، حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده تلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم : « قَتَلِ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ ، النَّارُ ذَاتُ الْوُقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ » .

تفسير الأخدود : قال ابن هشام : الأخدود : الحفر المستطيل في الأرض ، كالخندق والجدول ونحوه ، وجمعه : أخاديد . قال ذو الرمة - واسمه : غيلان بن عقبة ، أحد بني عدى بن عبد مناف ابن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر :

من العراقة اللاتي يُحِيلُ لها بين الفلاة وبين النخل أخدود
يعنى : جدولا . وهذا البيت في قصيدة له . قال : ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد ، وأثر السوط ونحوه : أخدود ، وجمعه أخاديد .

نهاية عبد الله بن الثامر : قال ابن إسحاق : ويقال : كان فيمن قتل ذو نواس ، عبد الله ابن الثامر رأسهم وإمامهم .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث : أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حفر خربة من تخرب نجران لبعض حاجته ، فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعداً ، واضعا يده على

(١) روى ابن سنجر عن جبير بن نفير قال : الذين خددوا الأخدود ثلاثة : تبع صاحب الين ، وقسطنطين ابن هلاقي - وهى أمه - حين صرف النصراني عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب ، وبختنصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم في النار ، فكانت برداً وسلاماً عليهم .

ضربة في رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإن أخرت يده عنها تلبث دما ، وإذا أرسلت يده ردها عليها ، فأمسكت دما ، وفي يده خاتم مكتوب فيه : **درى الله** ، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب **يُخبر بأمره** ، فكتب إليهم عمر رضى الله عنه : **أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ، ففعلوا (١) .**

فرار دوس ذى ثعلبان من ذى نواس واستنجاهه بقيصر

قال ابن إسحاق : وأفلت منهم رجل من سبأ ، يقال له **دوس** ذو ثعلبان على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم ، فضى على وجهه ذلك ، حتى أتى قيصر ملك الروم ، فاستنصره على ذى نواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له : بعدت بلادك منا ، ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك ، وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره . **التجاشى بنصر دوسا** : فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر ، فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة ، وأمّر عليهم رجلا منهم يقال له : **أرياط** - ومعه في جنده أبرهة الأشرم - فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ، ومعه دوس ذو ثعلبان .

نهاية ذى نواس : وسار إليه ذو نواس في حير ، ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فلما التفتوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه ، وجه فرسه في البحر ، ثم ضربه ، فدخل به غقاض به **تخوضاح (١)** البحر ، حتى أفضى به إلى غمسه (٢) ، فأدخله فيه ،

(١) يصدق ذلك قوله تعالى : **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ...** وما وجد من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة ، كحمزة ابن عبد المطلب — رضى الله عنه — فإنه وجد حين حفر معاوية العين صحيحاً لم يتغير وأصابته الفأس أصبعه ، فدميت . وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام ، وعمر بن الجوح . وطلحة ابن عبيد الله ، استخرجته بنته عائشة من قبره حين أمرها في المنام بنقله فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير . وحدثني من لا أشك في قوله أنه رأى كثيراً من الشهداء في حرب فلسطين لم يتغيروا بعد السنين الطويلة .

(٢) **الضمضاح** من الماء : الذى يظهر قعره .

(٣) **الغمر** : الماء الكثير .

وكان آخر العهد به . ودخل أرياط اليمين ، فلكها^(١) .
 فقال رجل من أهل اليمين - وهو يذكر لنا ساق إليهم دوس من أمر الحبشة :
 « لا كدّوس ولا كأعلاق رحّله^(٢) »
 فهي مثل باليمن إلى هذا اليوم .

قول زوى جبره الحميري في هذه القصة : وقال ذو جدن الحميري :
 هونك^(٣) ليس يرد الدمع ما فاتا لا تهلكي أسفاً في إثر من ماتا
 أبعد كيشنون لا عين ولا أثر وبعد سلّحين بيني الناس أيباتا^(٤)
 بينون وسلمين وغمدان : من حصون اليمن التي هدمها أرياط ، ولم يكن في الناس مثلاً .
 وقال ذو جدن أيضاً :

دعني — لأبالك — لن تطيق^(٥) لَحَاكِ الله اقد أنزفت ريق^(٦)
 لدى عزف القيان إذ انتشيننا وإذ نُسقي من الخمر الرحيق^(٧)

(١) هذا ما ذكره ابن إسحاق وهناك رواية أخرى : أن ذا نواس أدخل الحبشة: صنعاء
 اليمن ، حين رأى أن لا قبل له بهم ، بعد أن استنفر جميع المقاومين ليكونوا معه يداً واحدة عليهم
 فأبوا إلا أن يحصى كل واحد منهم حوزته على حدته ، فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله
 على أن يسالموه ومن معه ، فكتبوا إلى النجاشي بذلك فقبل ، ثم كتب ذو النواس إلى كل موضع
 ببلاده أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فوجه النجاشي جيشاً إلى أبرهة وعليهم أرياط
 وأمره أن يقتل ذا نواس ، ويخرب تلك بلاده ويسبي تلك النساء والذرية ففعل ذلك أبرهة .
 (٢) الأعلاق : النفائس .

(٣) هونك : ترفق ، وقد روى عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام : هونكنا لن
 نزد . وهو من باب قول العرب للواحد : افعلنا .

(٤) أي لن تطيق صرفي بالعدل عن شأني .

(٥) أي أيبست ريق في فمي ، وقلة الرقيق من الحصر ، وكثرته من قوة النفس
 وثبات الجأش .

(٦) الرحيق : الخالص .

وشرب الخمر ليس على عارا
فإن الموت لا ينهيه ناه
ولا مترهب في أسطوان
وغمدان^(٣) الذي حدثت عنه
بهمته^(٤) ، وأسفله جرؤون
مصاييح السليط تلوح فيه
ونخلته التي غرست إليه
إذا لم يشكفي فيها رفيق
ولو شرب الشفاء مع النشوق^(١)
يناطح جذره بيض الأنوق^(٢)
بنوه مسممكا في رامن نيق^(٤)
وحر الموحل اللشق الذليق^(٥)
إذا يمسى كتوماض البروق^(٦)
يكاد البسشر يهصر بالعذوق^(٧)

(١) أى لو شرب كل دواء يستشفى به ، وتنشق كل لشوق يجعل في الأنف للتداوى به ، مانهى ذلك الموت عنه .

(٢) مترهب يجوز أن يكون معطوفا على لفظ (ناه) فيكون المعنى : لا ينهى الموت ناه ولا مترهب أى ولا دعاء مترهب . ويجوز أن يكون مرفوعاً على الفاعلية . أى . ولا ينجو منه مترهب .

والأسطوان : على وزن أفعال والنون فيها أصلية ؛ جمعه : أساطين ، وليس في الكلام أفاعين والأسطوان جمع أسطوانة ، وهى السارية ويقصد هنا المكان الذى يختل فيه الراهب .
والأنوق : الذكر من الرخم وهو لا يبيض .

(٣) غمدان : هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة .

(٤) مسمكا : مرفعاً : من قوله سملك السماء ، والنيق : أعلى الجبل .

(٥) المنهية : موضع الرهبان ، والراهب يقال له النهاى ويقال للنجار أيضاً : نهاى فتكون المنهية أيضاً على هذا موضع نجر . والجرون . جمع جرن ، وهو النقر ، من جرن الثوب : إذا لان . روى أبو الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى أيضاً ، وفى حاشية كتاب الوقشى أنها الحجارة السوداء . وحر : الخالص من كل شئ . والموحل : من الوحل . وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى : وحر الموجل وفسرها بأنها حجارة ملس لبنة . واللسق من اللشق وهو أن يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق ، والزليق الذى يزلق فيه . انظر الروض
الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٥٨ . (٦) البليط : الدهن .

(٧) مصر : يميل . العزوق : جمع عذق بفتح العين وهى النخلة .

(٣ - السيرة النبوية . ج ١)

فأصبح بعد جدته رَمَادَ وغَيَّرَ حسنه لُحِبَ الحريقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نَوَاسٍ مُسْتَكِينَا وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْقَ الْمُضْنِقِ.

قول ربيعة بن الرُّبَيْعِ الثَّقَفِيِّ فِي هَذِهِ الْقَهْصَةِ : وقال عبد الله بن الذئبة الثقفي في ذلك —
قال ابن هشام : الذئبة أمه ، واسمها : ربيعة بن عبد ياليل بن سالم بن مالك بن حُطَيْط بن جشم
ابن قسي .

لعمرك ما للفقى من مقر	مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفقى صخرة	لعمرك ما إن له من وَزَرٍ (١)
أبعد قبائل من حمير	أييدوا صبا حابذات العبير (٢)
بألف ألوف وحرابة	كثيل السماء قبيل المطر (٣)
يهم صياحهم المقربات	وينفون من قاتلوا بالذفر (٤)
سعالى مثل عديد الترا	ب تيبس منهم رطاب الشجر (٥)

(١) الصحرة : المتسع ؛ أخذ من لفظ الصحراء . والوزر : الملجأ ، ومنه اشتق الوزير
لأن الملك يلجأ إلى رأيه ، وقد قيل من الوزر ؛ لأنه يحمل عن الملك أثقالا ، لأن
الوزر : الثقل .

(٢) ذات العبر : أى ذات الحزن ، يقال : عبر الرجل إذا حزن ، ويقال لأمه العبير ، كما
يقال لأمه الدشكيل .

(٣) الحرابة : ذوو الحراب ، وقوله كثيل السماء أى كثلي السحاب لإسوداد السحاب
وظلمته قبيل المطر .

(٤) المقربات : الخيل العتاق التي لا تسرح في المراعى ولكن تحبس قرب البيوت
معدة للعدو .

والذفر : الرائحة الشديدة ، أى ينفون من قاتلوا بريهم وأنفاسهم ، وهذا إفراط في وصفهم
بالكثرة وقيل غير ذلك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٦٠ .

(٥) سعالى : الجين ، والمفرد سعلالة ويقال : بل هي الساحرة من الجن .

قولي عمرو بن معدى كرب الزبيدي في هذه القصة : وقال عمرو بن معدى كرب الزبيدي^(١) في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المراءى^(٢) ، فبلغه أنه يتوعده ، فقال يذكر حير وعزها ، وما زال من مُلكها عنها :

أتوعدني كأنك ذو رُمَعَيْن - بأفضل عيشة - أو ذو نواس
وكاننْ كان قبلك من نعيم وملك ثابت في الناس راسي
قديم عهده من عهد عاد عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأَمسى أهله بادوا ، وأَمسى يُحوّل من أناس في أناس

نسب زبيد ومرو : قال ابن هشام : زبيد بن سلة بن مازن بن مُنْشَبَّة بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج . ويقال : زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ، ويقال : زبيد بن صعب ابن سعد . ومرواد : يحابر بن مذحج .

لما قال عمرو بن معدى كرب هذا الشعر : قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة ، قال : كتب عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — إلى سلمان بن ربيعة الباهلي ، وباهلة بن يعصر ابن سعد بن قيس بن عيلان . وهو بآرمينية يأمره أن يفضّل أصحاب الخيل الغراب على أصحاب

(١) عمرو بن معدى كرب - رضى الله عنه - صحابي ، يكنى : أبا ثور تضرب الأمثال بفروسيته وبسألته . ومعنى معدى كرب : وجه الفلاح ، المعدى هو : الوجه ، والكرب هو : الفلاح .

(٢) ليس من مرواد ، وإنما هو حليف لها ، واسم مرواد : يحابر بن سعد العشيرة ابن مذحج ونسبه في بحيلة ثم في بني أحس ، وأبوه مكشوح اسمه : هشيرة بن هلال . ويقال : عبد يغوث ابن هبيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحس بن الغوث بن أنمار ، وأنمار هو : والد بحيلة وخشم ، وسمى أبوه مكشوحا ، لأنه ضرب بسيف علي كشحه (ما بين الحاضرة إلى الضلع الخلف) . ويكنى قيس : أبا شداد ، وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب هو وذُرِّيُّه وفيروز ، وكان قيس بطلا شجاعا قتل مع علي — رضى الله عنه — يوم صفين وله في ذلك اليوم وفي حروب الشام ضد الروم وقائع لم يسمع بمثلا عن أحد بعد خاله بن الوليد .

الخيل المَقَارِف^(١) في العطاء، فعرض الخيل، فر به فرس عمرو بن معدى كرب، فقال له سلمان: فرسك هذا مَقَرِفٌ، فغضب عمرو، وقال: هجين عرف هجيناً مثله، فوثب إليه قيس فتوعده، فقال عمرو هذه الآيات .

تصميمي قول شو وسطيح . قال ابن هشام: فهذا الذي عني سطيح الكاهن بقوله: « ليبطن أرضكم الحيش، فليملكن ما بين أبين إلى جمرش، والذي عني شق الكاهن بقوله: « لينزلن أرضكم السودان، فليغابن على كل طفلة البنان، وليملكن ما بين أبيين إلى نجران » .

النزاع على اليمن بين أبرهة وأرياط

قال ابن إسحاق: فأقام أرياط بأرض اليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، حتى تفرقت الحبشة عليهما، فأنحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم، ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس أرسل أبرهة إلى أرياط: إنك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض، حتى تفنيها شيئاً، فبرز إلىّ، وأبرز إليك، فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده، فأرسل إليه أرياط: أنصفت؛ فخرج إليه أبرهة — وكان رجلاً قصيراً لحياً، وكان ذا دين في النصرانية — وخرج إليه أرياط وكان رجلاً جميلاً طويلاً، وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له، يقال له: كَعْتَوْدَة^(٢)، يمنع ظهره، فرفع أرياط الحربة، فضرب أبرهة يريد يافوخه، فوقعت الحربة على جهة أبرهة، فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته، فبذلك سمى: أبرهة الأشرم، وحل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، وَوَدَى^(٣) أبرهة أرياط .

غضب النجاشي على أبرهة: فلما بلغ النجاشي غضب غضباً شديداً وقال: عدا على أميري، فقتله بغير أمرى، ثم حلف: لا يدع أبرهة حتى يطاء بلاده، ويجز ناصيته . خلق أبرهة رأسه

(١) المقارِف: جمع مقرف الذي داني الهجنة، وهو الذي أمه عربية وأبوه ليس بعربي فالإفراف من جهة الأب والهجنة من جهة الأم . انظر ذلك مفصلاً في الصحاح مادة قرف .

(٢) العتودة: الشدة في الحرب .

(٣) وداه: تحمل ديته .

رملًا جرابًا من تراب الين ، ثم بعث به إلى النجاشي ، ثم كتب إليه :
« أيها الملك ، إنما كان أرباط عبدك » ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكلُّ
طاعته لك ، إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة ، وأضبط لها ، وأسوس منه ،
وقد خلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك ، وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي ؛
ليضعه تحت قدميه ، فيبر قسمه في » .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت بأرض الين
حتى يأتيك أمرى ، فأقام أبرهة بالين .

« القليس ، أو كنيسة أبرهة : ثم إن أبرهة بن القليس^(١) بصنعاء ، فبنى كنيسة لم ير
مثلا في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي : أني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة
لم يُبْنِ مثلاً للملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب ، فلما تحدثت العرب بكتاب
أبرهة ذلك إلى النجاشي ، غضب رجل من النساء ، أحد بنى فقميم بن عدى بن عامر بن ثعلبة
ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

النساء : والنساء : الذين كانوا ينسبون الشهور على العرب في الجاهلية ، فيحلون الشهر من
الأشهر الحرم ، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، ويؤخرون
ذلك الشهر ، ففيه أنزل الله تبارك وتعالى : « إنما النسيء زيادة في الكفر يفضل به الذين
كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ؛ ليواطئوا عدة ما حرم الله » .

(١) القليس : وهي الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف حج العرب إليها وسميت بهذا
الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه أخذت القلائس لأنها تعلو الرأس ، وقلس طعاما : أى
ارتفع من معدته إلى فيه . وقد استدل أبرهة أهل الين في بنيان هذه الكنيسة وجشمهم أنواعا
من السخّر وكان ينقل إليها العدد من الرخام المجزّع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر
بلقيس وكان من موضع الكنيسة على فراسخ ، ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من
العاج والآبُسُوس وكان أراد أن يرتفع بها حتى يشرف منها على عدن . انظر قصة هذه الكنيسة
مفصلة في الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٦٣ .

قال ابن هشام : ليواطئوا : ليوافقوا ، والمواطأة : الموافقة ، تقول العرب : واطأتك على هذا الأمر ، أى وافقتك عليه ، والإيطاء فى الشعر : الموافقة ، وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد ، نحو قول العجاج - واسم العجاج (١) : عبد الله بن ربيعة أحد بنى سعد ابن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن اليأس بن مضر بن نزار .

فى أئعبان المنجنون المرسل (٢)

ثم قال : مد الخليج فى الخليج المرسل

وهذان البيتان فى أرجوزة له

أول من ابتزع النسى : قال ابن إسحاق : وكان أول من نسا الشهور على العرب ، فأحلت منها ما أحل ، وحرمت منها ما حرم : القلمس (٣) ، وهو حذيفة بن عبد بن فؤك بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمية ، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد ابن حذيفة ، ثم قام بعد عباد : قلكع بن عباد ، ثم قام بعد قلكع : أمية بن قلع ، ثم قام بعد أمية : عوف بن أمية ، ثم قام بعد عوف : أبو ثمامة ، جنادة بن عوف ، وكان آخرهم ، وعليه قام الإسلام (٤) ، وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه ، فحرم الأشهر الحرم الأربعة : رجباً ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم . فإذا أراد أن يحل شيئاً أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صغر

(١) وكنيته : أبو الشعثاء وسى العجاج بقوله : حتى يصج عندها من عجبها المرجع السابق ص ٦٥ .

(٢) الأئعبان ما يندفع من الماء من مشبه ، والمثعب : المجرى . والمنجنون : الدولاب التى يستقى عايبا . نفس المرجع هامش صفحة ٦٢ .

(٣) وسى القلمس لجوده ؛ إذ أنه من أسماء البحر .

(٤) وجد السبيل خبراً عن إسلام أبي ثمامة فقد حضر الحج فى زمن عمر ، فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى : أيها الناس : إني قد أجرتة منكم ، فخففه عمر بالدرة وقال : ويحك : إن الله أبطل أمر الجاهلية .

غرموه ؛ ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم . فإذا أرادوا الصَّدْر^(١) قام فيهم فقال : **واللهم**
إني قد أحللت لك أحد الصفرين ؛ الصفر الأول ، ونسأت الآخر للعام المقبل^(٢) . فقال في ذلك
عمير بن قيس ، **جذُلُ الطَّعْمان^(٣) ،** أحد بني فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة ،
يفخر بالنسأة على العرب :

لقد علمتُ معد أن قومي كرام الناس أن لهم كراما^(٤)
غأى الناس فاتونا بوثر وأى الناس لم تُعْلِكْ لجاما^(٥)
ألسنا الناسين على معد شهر الحل نجعلها حراما ؟

(١) الصدر هنا : الرجوع من الحج .

(٢) كان نسوهم على ضربين . أحدهما : ما ذكر ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر
لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثارات . والثاني : تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة
الشمسية ، فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا ، حتى يدور الدور إلى
ثلاث وثلاثين سنة ؛ فيعود إلى وقته ، ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع : **وإن الزمان**
قد استدار كهيثته يوم خلق الله السموات والأرض ، وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها
الحج إلى وقته ، ولم يحج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من المدينة إلى مكة غير تلك
الحجة ، وذلك لإخراج الكفار الحج عن وقته ، ولإطوافهم بالبيت عراة — والله أعلم — إذ
كانت مكة بحكمهم ، حتى فتحها الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم —

(٣) وكان عمير من أطول الناس ، وسمى جذل الطعان لشبابة في الحرب كأنه جذل شجرة
واقف ، وقيل : لأنه كان يستشفى برأيه ، ويسنحاح إليه ، كما تستريح البهيمة الجرباء إلى الجذل
«عود ينصب للهم الجرباء لتحتك به» .

(٤) أى : آباء كراما وأخلاقا كراما .

(٥) أى : لم يقدحهم ونكفهم ، كما يقدح الفرس باللجام . تقول : **أعطكت الفرس لجامه :**
إذا رددته عن تنزعه ، فضع اللجام كالسلك من نشاطه ، فهو مقدوح .

قال ابن هشام : أول الأشهر الحرم : المحرم . (١)

الكِنَانِي مُحَمَّدٌ فِي الْقُلَيْسِ : قال ابن إسحاق : فخرج الكِنَانِي حَتَّى أَقَى الْقُلَيْسَ فَقَعَدَ (٢) فِيهَا — قال ابن هشام : يَعْنِي أَحْدَثَ فِيهَا — قال ابن إسحاق : ثُمَّ حَرَجَ فَلَحِقَ بِأَرْضِهِ ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَبْرَهَةَ فَقَالَ : مَنْ صَنَعَ هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهُ : صَنَعَ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي تَحْجُّ الْعَرَبُ إِلَيْهِ بِمَكَّةَ لِمَا سَمِعَ قَوْلَكَ : « أَصْرَفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ » ، غَضِبَ لِحَاجَةِ ، فَقَعَدَ فِيهَا ، أَيْ أَنَّهَا لَيْسَتْ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ .

مُخْرُوجُ أَبْرَهَةَ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ : فغضب عند ذلك أبرهة وحلف : ليسيرن إلى البيت حتى يهدمه ، ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ، ثم سار وخرج معه بالفيء ، وسمعت بذلك العرب ، فأعظموه وفضّلوه به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم ، حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة . بيت الله الحرام .

أَشْرَافُ الْيَمَنِ يَرِافِعُونَ عَنِ الْبَيْتِ : فخرج إليه رجل من أشرف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذُو نَفَرٍ ، فدعا قومه ، ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهادهم عن بيت الله الحرام ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه إلى ذلك من أجابه ، ثم عرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصحابه ، وأخذ له ذو نفر ، فأقى به أسيراً ، فلما أراد قتله ، قال له ذو نفر : أيها الملك ، لا تقتلني فإنه عسى أن يكون بقائي معك خيراً لك من قتلي ، فتركة من القتل . وجلسه عنده في وثاق ، وكان أبرهة رجلاً حليماً .

(١) وقال غير ابن هشام : إن أولها ذو القعدة لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بدأ به حين ذكر الأشهر الحرم ، ومن قال المحرم أولها ، احتج بأنه أول السنة . وتظهر فائدة هذا الخلاف فيمن نذر صيام الأشهر الحرم . فيقال له على الأول : ابدأ بالمحرم ، ثم برجب ، ثم بذي القعدة ، وذي الحجة . وعلى القول الآخر : يبدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامه . في رجب من العام الثاني .

(٢) قعد : أى أحدث فيها — وهذا شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وأن ذلك للذاهب ، للتوضيحين .

خشمهم نجاههم أبرهة : ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ماخرج له ، حتى إذا كان بأرض خشم^(١) عرض له نُسَيْبُ بْنُ حَبِيبٍ الخشمي في قبيلَيْ خشم : شهران وناهس^(٢) ، ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نفيل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نفيل : أيها الملك ، لا تقتلني فأني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلَيْ خشم : شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فخلى سبيله .

وخرج به معه يده ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف .

نسب ثقيف^(٣) : واسم ثقيف : قسي بن النسيب بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفضى بن دُعَيْمِ بْنِ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدِ بْنِ عَدْنَانَ قال أمية بن أبي الصلت الثقفي^(٤) :

قومي إِيَادُ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ أَوْ : لَوْ أَقَامُوا فَتَهْزُلُ النَّعَمُ^(٥)
قَوْمٌ لَهِمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَمِيعاً وَالْقَطِ وَالْقَلَمُ^(٦)

(١) خشم : اسم جبل سمي به بنو عفرس بن خلف بن أفتل بن أنمار ، لأنهم نزلوا عنده ، وقيل : لأنهم تخشعوا بالدم عند حلف عقده بينهم أي تلمطخوا .

(٢) يقال إن خشم ثلاث : شهران وناهس وأكلب غير أن أكلب عند أهل النسب هو : ابن ربيعة بن نزار ، ولكنهم دخلوا في خشم ، وانقسموا إليهم .

(٣) اختلف النسابة في نسب ثقيف فبعضهم ينسبهم إلى إِيَادِ ، والبعض إلى قيس وقد نسبهم إلى ثمود أيضاً . وفي حديث رواه معمر بن راشد في جامعه : « أن أبا رغال من ثمود » .

(٤) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب .

(٥) الامم : القريب . أولو أقاموا : أي بالحجاز لأنهم انتقلوا عنها حين ضاقت عن مسارحهم فصاروا إلى ريف العراق .

(٦) القط ما قط من الكاغد والرق وذلك أن الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا إليها . وقد قيل لقريش : ممن تعلمم القط ؟ فقالوا : تعلمناه من أهل الحيرة ، وتعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار .

وقال أمية بن أبي الصلت أيضا :

فإِذَا تَسَالَى عَنِّي — لُبَّيْنِي — وعن نسي — أخبرك اليقينا

فإِنَا لِلنَّيْتِ أَبِي قَسِي — منصور بن يَفْدُومِ الاقدمينا .

قال ابن هشام : ثقيف : قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والبيتان الأولان والآخران في
قصيدتين لامية .

ثقيف تهادو أبرهة : قال ابن إسحاق : فقالوا له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك سامعون لك
مطيعون ، ليس عندنا لك خلاف ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد — يعنون اللات — إنما تريد
البيت الذي بمكة ، ونحن نبعث معك من يد لك عليه ، فتجاوز عنهم .

اللات : واللات : بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة .

قال ابن هشام : أنشدني أبو غبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفهري :
وقرت ثقيف إلى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر
وهذا البيت في أبيات له .

أبورغال ورجم قبره : قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال يده على الطريق إلى مكة
فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس^(١) ، فلما أنزله به مات أبو رغال هناك ،
فرجمت قبره العرب ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس ..

(١) المغمس : بفتح الميم الثانية على زنة اسم المفعول فكأنه من غمست الشيء إذا غطيته
وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بفضاء (شجر له شوك) فقد روى علي بن السكن
وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس ،
وهو على ثلث فرسخ من مكة .

أما على رواية كسر الميم الثانية بزنة اسم الفاعل فهو مشتق من الغميس وهو الغمير « ثبات
أنحضر ينبت في الحريف » .

الأسود بن مقصود إبراهيم مكة: فلما نزل أبرهة المخمس، بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود^(١) على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهتت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، فتركوا ذلك.

رسول أبرهة إلى مكة: وبعث أبرهة حُباطة الحيرى إلى مكة، وقال له: سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها، ثم قل له: إن الملك يقول لك: إنى لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تتعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لى بدمائكم، فإن هولم يرد حربى فأنتى به؛ فلما دخل حنطة مكة، سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل له: عبد المطلب بن هاشم، فجاءه، فقال له ما أمره به أبرهة، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وببيت خليله إبراهيم — عليه السلام — أو كما قال — فإن يمنع منه، فهو بيته وحرمة، وإن يُخَلَّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه. فقال له حنطة: فانطلق معى إليه، فإنه قدأ مرئى أن آتية بك.

أنيس يشفع لعبد المطلب: فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، حتى أتى العسكر، فسأل عن ذى نَفسر، وكان له صديقا، حتى دخل عليه وهو فى محبسه، فقال له: يا ذانفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما عناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا؟ ما عندنا غناء فى شىء مما نزل بك، إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لى، وسأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظم عليه حقك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك، فتكلمه بما بدالك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك. فقال: حسبي. فبعث ذو نفر إلى أنيس، فقال له: إن عبد المطلب سيد قريش، وصاحب عير مكة، يطعم الناس بالسهل، والوحوش فى رءوس

(١) وهو الأسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عمرو بن عيلة. ويقال فيه: عِلَته على وزن عمر — ابن خالد بن مذحج بعته النجاشى مع الفيلة والجيش، وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها إلا (محمود) فيل النجاشى لامتناعه عن التوجه إلى الكعبة.

الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير ، فاستأذن عليه ، وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل . فكلّم أنيس أبرهة ، فقال له : أيها الملك : هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة ، وهو يطعم الناس في السهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، فأذن له عليك فيكلمك في حاجته ، قال : فأذن له أبرهة .

الإبل إلى والبيت له ربّ يحميه : قال : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له : حاجتك ؟ فقال له ذلك الترجمان . فقال : حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي ، فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتي حين رأيته ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ، أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه ، لا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه ، قال : ما كان ليمتنع مني ، قال : أنت وذاك .

المؤثر المرافقي لعبد المطلب : وكان — فيما يزعم بعض أهل العلم — قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة ، حين بعث إليه حناطة ، يسمر بن ثفافة بن عدى بن الدثئل بن بكر بن مناة ابن كنانة — وهو يومئذ سيد بني بكر — وخويلد بن وائلة الهذلي — وهو يومئذ سيد هذيل — ففرضوا على أبرهة تلك أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم أكان ذلك ، أم لا . فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل التي أصاب له .

قريش تستنصر الله على أبرهة : فلما انصرفوا عنه ، انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز ^(١) في شمع الجبال ^(٢) والشعاب ^(٣)

(١) التحرز : التمتع .

(٢) شمع الجبال : رؤوسها .

(٣) الشعاب : المواضع الخفية بين الجبال .

تخوفا عليهم من معصرة^(١) الجيش ، ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

لاهُمَّ إِنْ الْعَبْدَ يَمْسُ نَعِ رَحْلَهُ فَاذْهَبْ حَلَالًا^(٢)
لَا يَنْفُلُ بَيْنَ صَلِيلِهِمْ وَمِحَالِهِمْ غَدَاً حَالًا^(٣)
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبْ سَلْتَنَا فَكَأْمَرْنَا بِدَالِكَ^(٤)

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها .

عكرمة بن عامر يرفعو على الأسود : قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي :

لاهُمَّ أَخْزِ الْأَسْوَدَ بِنَ مَقْصُودٍ الْآخِذِ الْهَجْمَةَ فِيهَا التَّقْلِيدُ^(٥)

(١) معرة الجيش : شدته ..

(٢) لا هم : أصلها : اللهم . والعرب تحذف منها الألف واللام . وكذلك تقول في : والله إنك : « لاهنك » وذلك لكثرة دور هذا الاسم على الألسنة . بل قد قالوا فيما هو دونه في الاستعمال : « لاجنك » أي « من أجل أنك » . والحلال في هذا البيت : الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء . والحلال أيضا : متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا .

(٣) غدوا : غدا ، والمحال : القوة والشدّة .

(٤) روى السهيلي بعد هذا البيت بيتا آخر هو :

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آل لك

(٥) الهجمة : هو ما بين التسعين إلى المائة من الإبل ، والمائة منها : هنيذة ، والمائتان : هند . قال بعضهم : والثلاثمائة أمانة . وأنشدوا :

تبين رويدا ما أمانة من هند

وكان اشتقاق الهجمة من الهجمة ، وهو : الثخين من اللبن ، لأنه لما كثرت لبنها لكثرتها ، لم يمزج بماء ، وشرب صرفا ثخيناً ، ويقال للقدح الذي يحلب فيه إذا كان كبيرا : هجشم . والتقليد : أي أن القلائد في أعناقها .

بين حيراء وثبير فالبيضد يحبسها وهي أثولات التطريد^(١)
فَضَمَّهَا إِلَى طَهَاظِمِ سَبُود أَخْفَرَهُ يَارِب وَأَنْتَ عَمُود^(٢)
قال ابن هشام : هذا ماصح له منها ، والطهاظم : الأعلام^(٣) .
قال ابن إسحاق : ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب السكبة ، وانطلق هو ومن معه من قریش
إلى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها .

أبرهة يهاجم السكبة : فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة ، وهيا فيسله ، وعي^(٤) جيشه — وكان
اسم الفيل عمودا — وأبرهة جمع لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن . فلما وجها الفيل إلى مكة ،
أقبل نفيل بن حبيب^(٥) حتى قام إلى جنب الفيل ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك^(٦) عمود ، أو ارجع
راشدا من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام ، ثم أرسل أذنه . فبرك الفيل ، وخرج نفيل بن
حبيب يشدد حتى أصعد في الجبل ، وضربوا الفيل ليقيم فلبى ، فضربوا في رأسها الطبرزين^(٧) ؛

(١) حراء وثبير : جبلان بالحجاز .

(٢) أخفره : أى انقض عزمه وهدده فلا تؤمنه .

(٣) الأعلام : جمع علق — الرجل من كفار العجم .

(٤) يقال : عي الجيش بغير حمزة وعبا المتاع بالهمز . ، وقد حكى عيلت الجيش بالهمز
وهو قليل .

(٥) وقيل هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليظة بن أكلب
ابن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل ، وهو : خثعم . كذلك نسبة البرقي . ونفيل من المسلمين
بالتبات وهو تصغير نفل وهو نبت منهبط على الأرض .

(٦) الفيل لا يبرك ، ويحتمل أن يكون بروكة : سقوطه إلى الأرض لما جاءه من أمر
الله . أو يكون فعل فعل الباركة الذي يلزم موضعه ولا يبرح . ويقول السهيلي في الروض الأنف :
أنه سمع من يقول : إن في القيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجبل .

(٧) الطبرزين : آلة من الحديد .

ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجن ^(١) لهم في مِرَاقَتِهِ ^(٢) فبرغوه ^(٣) بها ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك .

عقاب الله لمُبرهته وجنده : فأرسل الله تعالى عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان ^(٤) ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه ، أمثال الحمص والعَدَس ^(٥) ، لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، - وليس كلهم أصابت - وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب
قال ابن هشام : قوله : « ليس الغالب » عن غير ابن إسحاق .
قال ابن إسحاق : وقال نفيل أيضا :

ألا حُييت عِسا يارُدِينا	نعمنا كم مع الإصباح عينا ^(٦)
ردينة لو رأيت - ولا ترينه	لذى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعدرتني وحدثت أمرى	ولم تأمسي على ما فات بينا
حدثت الله إذ أبصرت طيراً	ونخت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل	كان على الحببتان دينا

(١) المحاجن : جمع محجن - عصا معوجة .

(٢) المراق : أسفل البطن .

(٣) برغوه : أدموه .

(٤) الخطاطيف والبلسان : نوعان من الطيور .

(٥) في الشبكل فقط وليس في المقدار إذ ذكر البرقي أن ابن عباس قال : أصغر الحجارة ك رأس الإنسان ، وكبارها كالإبل . وكانت قصة النفيل أول المحرم من سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القرنين .

(٦) ردينا : اسم امرأة ، كأنها سميت بتصغير ردنة وهي التظلمة من البردن (الخبز) .
ونعمنا كم : أى : نعمنا بكم .

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك على كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة (١) : كلما سقطت أنملة ، أتبعها منه مدة تَمُثُّ (٢) فيحاً ودماء ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر ، فامات حتى انصدع صدره عن قلبه ، فيما يزعمون ،

قال ابن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة أنه حَدَّثَ : أن أول مارؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول مارؤى بها مرائر الشجر : الحرمل والحنظل والعُشْرَ ذلك العام .

الله - جل جلاله - يذكر هادئة الفيل ويعتق على قريش : قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان مما يَعُدُّ الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ، ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم ، فقال الله تبارك وتعالى : « ألم تركب فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف ما كول . » وقال : « لإيلاف قريش لإيلافهم . رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف . » أي لثلا يغير شيئاً من حالهم التي كانوا عليها ، لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه .

تفسير مفردات سورتي الفيل وقريش : قال ابن هشام : الأبابيل : الجماعات ، ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه (٣) ، وأما السجيل ، فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة أنه عند العرب : الشديد الصلب ، قال روبة بن العجاج :

ومستهم ما مس أصحاب الفيل^٤ ترميهم حجارة من سجيل^٥
ولعبت طيرهم أبابيل

(١) الأنملة : طرف الأصبع ، ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الأصبع ، أي : يبتثر : جسمه قطعة قطعة .

(٢) تمث : ترشح .

(٣) ذكر ابن هشام أنها لا واحد لها من لفظها : وقال غيره : واحدها : إِبَاله ، وإِبُول : هوزاد ابن عزيز : وإِبْسِيل .

وهذه الآيات في أرجوزة له .

ذكر بعض المفسرين أنهما كلتان بالفارسية ، جعلتهما العرب كلمة واحدة ، وإنما هو سَنَجٌ وجِلٌّ يعني بالسَّج : الحجر ، وبالجل : الطين ، يعني الحجارة من هذين الجلسين : الحجر والطين . والمصف : ورق الزرع الذي لم يُقَصَّبْ ، وواحدته عصف . قال : وأخبرني أبو عبيدة النحوي أنه يقال له : المَصَافَة والمَصِيفَة . وأنشدني لملقمة بن عبيدة أحد بني ربيعة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم :

تَسْقَى مَذَابٍ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتَا حَدُّورُهَا مِنْ أُنَى الْمَاءِ مَطُومٍ (١)

وهذا البيت في قصيدة له . وقال الراجز :

فَصُيِّرُوا مِثْلَ كَمَصْفٍ مَا كُول

قال ابن هشام : ولهذا البيت تفسير في النحر (٢) .

ولإيلاف قريش : لإفهم الخروج إلى الشام في تجارتهم ، وكانت لهم خرمجان : خرجة في الشتاء ، وخرجة في الصيف . أخبرني أبو زيد الأنصاري : أن العرب تقول : أَلِفَتِ الشَّيْءَ إِنَّمَا ، وآلفته لإيلافا ، في معنى واحد . وأنشدني لذي الرُّمَّة :

مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ الرَّمْلَ أَدْمَاءَ حُرَّةٍ شِعَاعُ الضُّحَى فِي لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال مطرود بن كعب الخزاعي :

الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرَحْلَةِ الْإِيلَافِ

وهذا البيت في أبيات له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى . والإيلاف أيضاً : أن يكون للإنسان ألف من الإبل ، أو البقر ، أو الغنم ، أو غير ذلك . يقال : آلف فلان إيلافا . قال الكُثَمَيْت بن زيد ، أحد بني أسد بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد :

(١) مذاب : مسایل . حدورها : ما انحدر منها ويروى جدورها : أي الحواجز التي

تحبس الماء . والآق : الماء يأتي من بعيد . والمطوم : الماء المرتفع .

(٢) تفسيره : أن الكاف تكون حرف جر ، وتكون اسماً بمعنى مثل وهي هنا حرف .

انظر ذلك مفصلاً في الروض الأنف للسبيل بتحقيقنا ج ١ ص ٧٥ .

(٤) — السيرة النبوية ، ج ١

يعام يقول له المؤلفون هذا المعجم لنا المُرَجَّلُ (١) وهذا البيت في قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن يصير القوم ألفا ، يقال ألف القوم إيلافا . قال الكميت بن زيد :

وآل مُزَيَقِيَاءَ غَدَاةً لَاقَوْا بنى سعد بن ضبة مؤلفينا
وهذا البيت في قصيدة له . والإيلاف أيضاً : أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه ، يقال : آلفته إياه إيلافا . والإيلاف أيضا : أن تصير مادون الألف ألفا ، يقال : آلفته إيلافا .

صهر قائل الفيل وسائسه : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : ولقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعينين مقعدين يستطمان الناس .

ما قيل في قصة الفيل من الشعر

قال ابن إسحاق : فلما رد الله الحبشة عن مكة ، وأصابهم بما أصابهم به من النعمة ، أعظمت العرب قريشا ، وقالوا : هم أهل الله ، قاتل الله عنهم وكفاهم مئونة عدوهم ، فقالوا في ذلك أشعاراً يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة ، وما رد عن قريش من كيدهم .

سهر عبد الله بن الزبيري : فقال عبد الله بن الزبيري بن عدى بن قيس بن عدى بن

سُعيد (٢) بن سهم بن عمرو بن هُصَيِّص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر :

تَنَكَّكَلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ ، كانت قديما لا يُرام حريمها
لم تخلق الشعري لبالى مُحَرَّمَت إذ لا عزيز من الأنام يرومها

(١) المؤلفون : جمع مؤلف . والمؤلف صاحب الألف من الإبل . والمعجم : من العيمة أى تجعل تلك السنة صاحب الألف من الإبل يعام (يشتاق) إلى اللبن . وترجله : فيمشى راجلا ، لعجف الدواب وهزالها .

(٢) نسب ابن إسحاق عبد الله بن الزبيري إلى عدى بن سُعيد بن سهم . والصواب : سعد بن سهم ، وإنما سُعيد : أخو سعد .

سائل أمير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبي الجاهلين عليها
ستون ألفا لم يشوبوا أرضهم ولم يعيش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرم قبلهم والله من فوق العباد يقيمها
قال ابن إسحاق : يعنى ابنُ الزبيرى بقوله :

. . . بعد الإياب سقيمها

أبرهة ، إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه ، حتى مات بصنعاء .

سمر بن الأوس : وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى ثم الخطمى ، واسمه : صيفى .
قال ابن هشام : أبو قيس : صيفى بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة
ابن مالك بن الأوس :

ومن صنّعه يوم فيل الحبو ش إذ كلما بعشوه رَزَمٌ^(١)
محاجنهم تحت أقرابه وقد شرّموا أنفه فانخرم^(٢)
وقد جعلوا سوطه مغشولاً^(٣) إذا يمموه قفا كلّم^(٤)
فولى وأدبر أدراجه وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا فلفهم مثل لف القزّم^(٥)
تحض على الصبر أحبارهم وقد ثأجوا كثنّاج الغنم^(٥)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لامية بن أبي الصلت .
قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس بن الأسلت :

(١) رزم : ثبت فى مكانه ولزمه لا يبرحه .

(٢) المحاجن : جمع محجن . عصا معوجة . والأقرباب : جمع قرب . الخصر ، شرموا
أنفه : شقوه .

(٣) المغول : سكين كبير . وكلم : جرح .

(٤) القزّم : صغار الغنم ، ويقال : رذال المال .

(٥) ثأج : صاح .

فقموا فصولا ربكم ، وتمسّحوا بأركان هذا البيت بين الأخشاب^(١)
 فعندكم منه بلاء مُصَدِّقْ غداة أبي يكسوم هادى الكتائب
 كتيبته بالسبل تُسمى ورَجُلُهُ على القاذفات فى رءوس المناقب^(٢)
 فلما أنا كم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب^(٣)
 فولّوا سراعا هاربين ولم يؤب إلى أهله ملجئ غير عصائب^(٤)
 قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله :

على القاذفات فى رءوس المناقب

وهذه الآيات فى قصيدة لأبى قيس ، سأذكرها فى موضعها إن شاء الله . وقوله : « غداة
 أبى يكسوم » : يعنى : أبرهة ، كان يكنى أبا يكسوم .

سمر طالب بن أبى طالب : قال ابن إسحاق : وقال طالب^(٥) بن أبى طالب بن عبدالمطلب :
 ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس وجيش أبى يكسوم إذ ملثوا الشعبا^(٦)
 فلولا دفاع الله لا شئ غيره لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا^(٧)
 قال ابن هشام . وهذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر ، سأذكرها فى موضعها إن شاء
 الله تعالى .

- (١) صلوا : ادعوا . والأخشاب : جبال مكة .
- (٢) القاذفات : أعالي الجبال . والمناقب : الطرق فى رءوس الجبال .
- (٣) الساف : الذى غطاه التراب . والحاصب : الذى أصيب بالحجارة .
- (٤) ملجئ : أى من الحبش . والعصائب : الجماعات .
- (٥) أكبر أولاد أبى طالب وهو أسن من عقيل بعشرة أعوام ، وعقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على — رضى الله عنه — بعشرة أعوام . ولم يذكر أنه أسلم .
- (٦) داحس : الفرس الشبيرة التى كانت حرب داحس والغبراء بسببها . والشعب : الطريق فى الجبل .
- (٧) السرب بفتح السين المال الراعى ، وبالكسر : القطيع من البقر والظباء ، ومن النساء أيضا .

شعر أبي الصلت الثقفي . قال ابن إسحاق : وقال أبو الصلت ^(١) بن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل ، ويذكر الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام . قال ابن هشام : تروى لامية بن أبي الصلت ابن أبي ربيعة الثقفي :

إن آيات ربنا ثاقبات لا يُمَارَى فيهن إلا الكفور
خلق الليل والنهار فكل مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم بمهابة شعاعها منشور ^(٢)
حبس الفيل بالمغمس ، حتى ظل يحبو كأبه مقبور
لازما حلقة الجران كما قُطِر من صخر كبكب محذور ^(٣)
حوله من ملوك كسدة أبطا ل ملاويث في الحروب صقور
خلّفوه ثم ابذعروا جميعاً كلهم عظم سافه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بور ^(٤)

شعر الفرزدق : قال ابن هشام : وقال الفرزدق - واسمه همام بن غالب أحد بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ، ويهجو الحجاج بن يوسف ، ويذكر الفيل وجيشه :

-
- (١) واسم أبي الصلت : ربيعة بن وهب بن علاج .
(٢) المهابة : اسم من أسماء الشمس ؛ سميت بذلك لصفائها . والمها من الأجسام : الصافي الذي يرى باطنه من ظاهره ، والمهابة : البلورة . والمهابة : الظبية .
(٣) الجران : العنق . وقطّر : رمى على قطره وهو الجانب . وككبب : اسم جبل . والمحدور : الذي حدر من جبل أى وقع .
(٤) الحنيفة : يريد الأمة الحنيفة أى المسلمة التى على دين إبراهيم الحنيف - صلى الله عليه وسلم - وذلك أنه حنف عن اليهودية والنصرانية ، أى : عدل عنهما . فسمى حنيفاً . أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه .

فلما طغى الحجاج حين طغى به غنى قال : إني مُرتق في السلام^(١)
فكان كما قال ابن نوح : سارتق إلى جبل من خشية الماء عاصم^(٢)
رمى الله في جثائه مثل ما رمى عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم هباء، وكانوا مُطرِخى الطراخم^(٣)
نُصرت كنصر البيت إذ ساق فيله إليه عظيم المشركين - الأعاجم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

بهر ابنه قيس الرقيات : قال ابن هشام : وقال عبد الله بن قيس الرقيات . أحد
بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة — وهو الأشرم — والفيل :
كاده الأشرم الذى جاء بالفيل — سل فول وجيشه مهزوم
واستهلك عليهم الطير بالجنه بدل حتى كأنه مرجوم^(٤)
ذاك من يفزه من الناس يرجع ، وهو قل من الجيوش ذميم^(٥)
وهذه الأبيات في قصيدة له .

ولما أبرهة : قال ابن إسحاق : فلما هلك أبرهة ، ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه
كان يكنى ، فلما هلك يكسوم بن أبرهة ، ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة .

(١) غنى : أى استغناء .

(٢) ابن نوح : واسمه : يام . وقيل : كنعان .

(٣) المطرخم : الممتلئ كبرا . والطراخم : جمع المطرخم .

(٤) قوله : « حتى كأنه مرجوم » وهو قد رجم ، فكيف شبهه بالمرجوم وهو مرجوم
بالحجارة ، وهل يجوز أن يقال فى مقتول : كأنه مقتول ؟ فنقول : لما ذكر استئلال الطير ، وجعلها
كالسحاب يستهل بالمطر ، والمطر ليس برجم ، وإنما الرجم بالأكف ونحوها ، شبهه بالمرجوم
الذى يرجمه الآدميون ، أو من يعقل ويتعمد الرجم من عدو ونحوه ، فعند ذلك يكون المقتول
بالحجارة مرجوما على الحقيقة ، ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك ، وإنما أمطروا حجارة فن
ثم قال : كأنه مرجوم . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٨١ .
(٥) الفل : المنهزم .

خروج سيف بن ذي يزن وملك وهرز على اليمن

سيف يشكو لقبصر : فلما طال البلاء على أهل اليمن، خرج سيف بن ذي يزن الحميري (١) وكان يكنى بأبي مرة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا إليه ما هم فيه، وسأله أن يخرجهم عنه، ويلهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يُششكهم.

العمامة يتشفع لسيف عذر كسرى : فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر (٢) - وهو عامل كسرى (٣) على الحيرة، وما يليها من أرض العراق - فشكا إليه أمر الحبشة، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وفادة في كل عام، فأقم حتى يكون ذلك، ففعل، ثم خرج معه فأدخله على كسرى، وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه، وكان تاجه مثل القنقش العظيم (٤)

(١) وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبَح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو : حمير بن سبأ.

(٢) النعمان : اسم منقول من النعمان الذي هو الدم .

(٣) وكسرى هذا هو : أنوشروان بن قُبَسَاذ، ومعناه مجدد الملك، لأنه جمع ملك فارس بعد شتات

(٤) القنقش مثل الذي شبه به التاج هو مكيال عظيم . قال الراجز يسف الكمأة :

مالك لا تجرفها بالقنقل لا خير في الكمأة إن لم تفعل

وفي الغريبين للهرى : القنقل : مكيال يسع ثلاثة وثلاثين مناً، والمن وزن رطلين، وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين استلب من يزيد جرد بن شهر يار، تصير إليه من قبل جده أنوشروان المذكور، فلما أتى به عمر رضى الله عنه، دعا سراقه بن مالك المدلجى، فخلاه بأسورة كسرى، وجعل التاج على رأسه، وقال له : قل : الحمد لله الذى نزع تاج كسرى، ملك الأملاك من رأسه، ووضع فى رأس أعرابي من بني مدلج، وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوة، وإنما خص عمر سراقه بهذا؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قال له : يا سراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك ولمساره في يدك، أو كما قال - صلى الله عليه وسلم .

- فيما يزعمون - يُضرب فيه اليافوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة، معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك ، وكانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب ، فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك ، إلا برك هيبة له ، فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك .

معاونة كسرى لسيف : قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن سيفاً لما دخل عليه طأطأ رأسه ، فقال الملك : إن هذا اللاحق يدخل على من هذا الباب الطويل ، ثم يطأطئ رأسه ؟ فقل ذلك لسيف ، فقال : إنما فعات هذا طمى ، لأنه يضيق عنه كل شيء .

قال ابن إسحاق : ثم قال له : أيها الملك ، غلبتنا على بلادنا الأخرية ، فقال له كسرى : أي الأخرية : الحبشة أم السند ؟ فقال : بل الحبشة ، فجتك لتصرفني ، ويكون ملك بلادى لك ، قال : بعدت بلادك مع قلة خيرها ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب ، لا حاجة لى بذلك ، ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة ، فلما قبض ذلك منه سيف خرج ، فجعل ينثر ذلك الورق للناس ، فبلغ ذلك الملك ، فقال : إن لهذا لشأناً ، ثم بعث إليه ، فقال : عمدت إلى جباة الملك تنثره للناس ، فقال : وما أصنع بهذا ؟ ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة - يرغبه فيها - فجمع كسرى مرازبته (١) ، فقال لهم : ماذا ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل : أيها الملك ، إن فى سجونه رجلان قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن يهلكوا كان ذلك الذى أردت بهم ، وإن ظفروا كان ملكاً ازددته ، فبعث معه كسرى من كان فى سجونه ، وكانوا ثمانمائة رجل .

انتصار سيف : واستعمل عليهم رجلاً يقال له وهريز ، وكان ذا سن فيهم ، وأفضلهم حسباً وبيتاً ، فخرجوا فى ثمان سفائن ، ففرقت سفينتان ، ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن (٢) ، فجمع سيف إلى وهريز من استطاع من قومه ، وقال له : رجلى مع رجلك حتى نموت جميعاً ، أو نظفر جميعاً . قال له وهريز : أنصفت . وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن ، وجمع إليه جنداً ، فأرسل إليهم وهريز ابناً له ؛ ليقاتلهم ، فيختبر قتالهم ، فقتل ابن وهريز ، فزاده ذلك

(١) مرازبته : وزراؤه .

(٢) وذكر ابن قتيبة أنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة ، وانضافت إليهم قبائل من العرب .

حنفا عليهم ، فلما تواقف الناس على مصافهم ، قال وهرز : أروني ملكهم ، فقالوا له : أترى رجلا على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ؟ قال : نعم ، قالوا : ذاك ملكهم ، فقال : اتركوه ، قال : فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال وهرز : بذت الحمار ؟ ذلّ وذل ملكه ، إني سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه لم يتحركوا ، فاثبتوا حتى أودنكم ، فإنني قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولا ثواب به ، فقد أصبت الرجل ، فاحلوا عليهم . ثم وترّ قوسه ، وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها ، وأمر بحاجبيه ، فعُصبا له ، ثم رماه ، فصك الياقوتة التي بين عينيه ، فتغلغلَّت النُشْابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ، ونكس عن دابته ، واستدارت الحبشة ولائت به ، وحلت عليهم الفرس ، وانهمزوا ، فقتلوا وهربوا في كل وجه ، وأقبل وهرز ، ليدخل صنعاء (١) ، حتى إذا أتى بابها ، قال : لا تدخل رايقي منكسة أبداً ، اهدموا الباب ، فهدم ، ثم دخلها ناصباً رايته .

شهر سيف بن ذي يزن في هذه الفصحة : فقال سيف بن ذي يزن الحميري :
يظن الناس بالملكيب من أنهما قد التأما (٢)

(١) وإنما كانت تسمى قبل ذلك أوال بفتح الهمزة وكسر ها .
قال ابن الكلبي : وسيت : صنعاء لقول وهرز حين دخلها . صنعة صنعة ، يريد أن الحبشة أحسكت صنعها ، قال ابن مقبل يذكر أوال :
عند الحداة بها لعارض قرية وكأنها سفن بسيف أوال
وقال جرير :
وشبهت الحدوج غداة قنّ سفين الهند رَوّح من أوالا
وقال الأختل :
خوص كان شكيمهن معلق بقنا ردينة ، أوجذوع أوال
وقد قيل إن صنعاء اسم الذي بناها ، وهو : صنعاء بن أوال بن هير بن عابر بن شالخ ، فكانت تعرف تارة بأوال ، وتارة بصنعاء .
(٢) التأما : اصطلاحاً .

ومن يسمع بلامهما فإن الخطب قد فُتِحَا (١)
قتلنا القيل مسروفا وروينا الكتيب دما (٢)
وإن القَيْلُ قِيلَ لنا س وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعا حتى يفى السبي والنسما (٣)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له . وأنشدني خلاد بن قرة السدوسي آخرها بيتا
لاعشى بن قيس بن ثعلبة في قصيدة له ، وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له .

شعر أبي الصلت : قال ابن إسحاق . وقال أبو الصلت بن أبي ريعة الثقفي ، قال ابن
هشام : وتروى لامية بن أبي الصلت .

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى وزن
يم قيصر لما حان رحلته
ثم أنثى نحو كسرى بعد عاشرة
حتى أتى بنى الأحرار يحملهم
لله درهم من عصبة خرجوا
ريم في البحر للأعداء أحوالا (٤)
فلم يجد عنده بعض الذى سالا
من السنين يهين النفس والمالا
لأنك عمرى لقد أسرعت قلقالا (٥)
ما إن أرى لهم في الناس أمثالا

(١) فقم : ازداد واشتد (٢) القيل : الملك (٣) المشعشع : الخمر الممزوجة بالماء .
(٤) ريم في البحر . أى : أقام فيه ، ومنه الروايم ، وهى الأثافي ، كذلك وجدته في حاشية
الشيخ التى عارضها بكتابتى (أبى الوليد الوقشى) ، وهو عندى غلط ، لأن الروايم من رأمت إذا
عطفت ، وريم ليس من رأم ، وإنما هو من الريم ، وهو الدرج ، أو من الريم الذى هو الزيادة
والانضال ، أو من رام يريم إذا برح ، كأنه يريد : غاب زمانا وأحوالا ، ثم رجع للأعداء ،
وارتقى في درجات المجد أحوالا إن كان من الريم الذى هو الدرج ، ووجدته في غير هذا
الكتاب : خثيم مكان ريم ، فهذا منه : أقام . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٨٤
(٥) عمرى . أراد : لعمرى وقد قال الطائى :

عمرى لقد نصح الزمان ، ولأنه لمن العجائب ناصح لا يشفق
وأمرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها ، وكقول الآخر : «قلقل يبغى العز كل مقلقل»
وهى شدة الحركة .

بيضاَ مرازية ، غُلَابَا أساورة
يرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُط
أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً
واشرب هنيئاً فقد شالت نعمتهم
تلك المكارم لاقعبان من لبن
قال ابن هشام : هذا ما صح له بما روى ابن إسحاق منها ، إلا آخرها بيتا قوله :
تلك المكارم لا قعبان من لبن

فإنه للنايفة الجعدى ، واسمه : رَحْبَان بن عبد الله بن قيس^(١) ، أحد بني جمعة بن كعب

- (١) غلبا : شدادا. والأساورة : الرماة. والغبيضات : جمع غبيضة الشجر الكثير الملتف .
(٢) د يرمون عن شُدُفٍ كأنها غُبُط ، الشُدُف : الشخص ، ويجمع على شُدُفٍ ، ولم يرد
هنا إلا القسي ، وليس شُدُفٍ جمعا لشُدُفٍ ، وإنما هو جمع شدوف ، وهو الشريط المرح يقال :
شدف ، فهو شدف ، ثم تقول : شدوف ، كما تقول مروح ، وقد يستعار المرح والنشاط للقسي
لحسن تأنيها وجودة رميها وإصابتها ، فيرمون عن شدف أى : يدفعون عنها بالرمي ، ويكون
الزحزح : القسي ، أو النبل ، والغبط : الهوارج ، والزحزح : القصب الفارسي .
(٣) غمدان أسسة : يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده ، واحتله : وائل بن خير بن سبأ ، وكان
ملكا متوجا كآبيه وجده .
(٤) شالت نعمتهم ، أى : هلكوا ، والنعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت ، ومن
هلك ارتفعت رجلاه ، وانتكس رأسه ، فظهرت نعامة . قدمه تقول العرب : تَنَعَّمْتُ إذا
مشيت حافياً ، قال الشاعر :

تَنَعَّمْتُ لما جاءني سوء فعلهم ألا إنما البأساء للتنعم

- (٥) ويروى أن اسمه : قيس بن عبد الله ، وقيل إن اسمه : حبان بن قيس بن عبد الله
ابن وحسوح ، والوحوح في اللغة : وسط الوادى ، قاله أبو عبيد وأبو حنيفة ، وهو أحد
النوابع ، وهم ثمانية ذكرهم البكري . والنايفة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها
في الجاهلية ، وقدمه على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنشاده إياه ، ودعاء النبي
— صلى الله عليه وسلم — ألا يَفُضَّ الله فاه مشهور .

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، في قصيدة له .

شعر عدى بن زهير : قال ابن إسحاق : وقال عدى بن زيد الحسيري ، وكان أحد بني
تميم . قال ابن هشام : ثم أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ، ويقال : عدى من العباد .
من أهل الحيرة (١) :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ولادة بلك جزل مواهبها
رفعها من بني لدى قزع الهمون وتندى مسكا محاربها (٢)
محفوفة بالجبال دون عرى الكائد ما تترقى غواربها (٣)
يأنس فيها صوت الشهام إذا جاوبها بالعشى قاصبها (٤)
سأقت إليه الأسباب جند بني أحرار فرسانها مواكبها

(١) العباد ، وهم من عبد القيس بن أفضى بن دُعَمَيْسٍ بن جديلة بن أسد بن ربيعة ،
قيل : لأنهم انتسلوا من أربعة : عبد المسيح ، وعبد كلال ، وعبد الله ، وعبد ياليل ، وكذلك
سائرهم في اسم كل واحد منهم : عبد ، وكانوا قدموا على ملك فلتسموا له ، فقال : أنتم العباد
فسمرا بذلك ، وقد قيل غير هذا . وفي الحديث المسند : أبعد الناس عن الإسلام الروم والعباد ،
وأحسبهم هؤلاء ؛ لأنهم تنصروا ، وهم من ربيعة ، ثم من بني عبد القيس ، والله أعلم . والذي
ذكره الطبري في نسب عدى بن زيد أنه ابن زيد بن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر
ابن عَصِيَّة بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم . وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة
في العباد . فلذلك ينسب عدى إليهم .

(٢) قزع المزن : السحاب المتفرق .

(٣) دون عرى الكائد ، يريد : عرى السماء وأسبابها ، ووقع في نسخة أخرى : عرى
بفتح العين ، وهى الناحية ، وأضافها إلى الكائد ، وهو الذى كادهم ، والبارى — سبحانه
وتعالى — كيده متين .

(٤) صوت النهام ، يريد : ذكر البوم ، وقاصبها : الذى يزمر في القصب .

وفُتَوِّزَتْ بالبغالِ توسق بالسحُف وتسمى بها توالها (١)
 حتى رآها الأقوال من طرف المَنَقَل مخضرة كتابها (٢)
 يوم ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلحن هارها (٣)
 وكان يوم باقي الحديث وزا لت إمة ثابت مراتها (٤)
 وبُدِّل الفيشج بالزرافة والأيا م جون جم عجاها (٥)
 بعد بني تبع نخاورة قد اطمأنت بها مرازها (٦)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ، وأنشدني أبو زيد الأنصاري ، ورواه لي عن المفضل الضبي . قوله :

يوم ينادون آل بربر واليكسوم

(١) فَتَوِّزَتْ بالبغال أى : ركبت المفاوز. تُوسق بالسحف ، أى : أوسق البغال الحتوف ، وتوالها : جمع تولب ، وهو ولد الحمار ، والتاء في تولب بدل من وار ، كما هي في توم وتولج وفي تورا على أحد القولين ، لأن اشتقاق التولب من الوالبة ، وهى ما يولده الزرع ، وجمعها : أوالب .

(٢) من طرف المَنَقَل أى : من أعالي حصونها ، والمنقال : الخرج ينقل إلى الملوك من قرية إلى قرية ، فكان المنقل من هذا ، والله أعلم . مخضرة كتابها . يعنى من الحديد ، ومنه الكتبية الخضراء .

(٣) ينادون آل بربر ؛ لأن البربر والخبشة من ولد حام . وقد قيل لأنهم من ولد جالوت من المالحق .

وقد قيل في جالوت إنه من الخزر ، وإن أفريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة ، وهى اختلاط الأصوات ، فقال . ما أكثر بربرتهم ! فسموا بذلك ، وقيل غير هذا .

(٤) الإمة : النعمة .

(٥) الفيشج : المنفرد في مشيته ، والزرافة الجماعة من الناس .

(٦) النخاورة : السكرام . والمرازبة : الوزراء .

وهذا الذى عنى سطيح بقوله : د يليه لرم ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك
أحداً منهم باليمن ، ، والذى عنى شق بقوله : د غلام ليس بدنى ولا مُدُن ، يخرج عليهم من
بيت ذى يزن ، .

ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن

مرة مكث الحبشة باليمن : قال ابن إسحاق : فأقام وهرز والفرس باليمن ، فن بقية ذلك
الجيش من الفرس : الأبناء الذين باليمن اليوم . وكان ملك الحبشة باليمن ، فيما بين أن دخلها
أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة ، اثنتين وسبعين سنة ، توارث
ذلك منهم أربعة : أرياط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة .

أمر الفرس باليمن : قال ابن هشام : ثم مات وهرز ، فأمر كسرى^(١) ابنه المرزبان بن
وهرز على اليمن ، ثم مات المرزبان ، فأمر كسرى ابنه التينجنجان بن المرزبان على اليمن ،
ثم مات التينجنجان ، فأمر كسرى ابن التينجنجان على اليمن ، ثم عزله وأمر باذان ، فلم يزل باذان
عليها حتى بعث الله محمداً النبي — صلى الله عليه وسلم .

محمد (صه) يتنبأ بموت كسرى : فبلغنى عن الزهرى أنه قال :

كتب كسرى إلى باذان : أنه بلغنى أن رجلاً من قريش خرج بمكة ، يزعم أنه نبي . فسير

(١) كسرى هذا هو : أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، ومعنى أبرويز بالعربية :
المظفر ، وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله : د ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهو
الذى عُرض على الله فى المنام ، فقال له : سلم ما فى يدك إلى صاحب المراوة ، فلم يزل
مدعوراً من ذلك ، حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور — النبي صلى الله عليه وسلم —
بتهامة ، فعلم أن الأمر سيصير إليه ، حتى كان من أمره ما كان ، وهو الذى كتب إليه النبي
— صلى الله عليه وسلم — وحفيده : يزجرد بن شريار بن أبرويز ، وهو آخر ملوك الفرس ،
وكان سلب ملكه ، وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ، ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان ،
وجد مستخفياً فى رحي فقتل وطرح فى قناة الرحى ، وذلك بمرور من أرض فارس .

إليه فاستتبّه ، فإن تاب ، وإلا فابعث إلى برأسه ، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا »^(١) ، فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر ، وقال : إن كان نبياً ، فسيكون ما قال ، فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال ابن هشام : قتل على يدي ابنه شيرويه ، وقال خالد بن حقيق الشيباني : وكسرى إذ تقسمه بنوه بأسيا ف كما اقتسم اللحم تمنحنت المنون له يوم أتى ، ولكل حاملة تمام^(٢)

إسلام باذانه : قال الزهري : فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه ، وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقالت الرسل من الفرس لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى من نحن يا رسول الله ؟ قال : « أنتم منا وإلينا أهل البيت » . قال ابن هشام : فبلغني عن الزهري أنه قال : فن ثم قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

قال ابن هشام : فهو الذي عني سطيح بقوله : « نبي زكي ، يأتيه الوحي من قبل العلي » . والذي عني شق بقوله : « بل ينقطع برسول مُرسل ، يأتي بالحق والعدل ، من أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل » .

(١) وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء عشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة ، وأسلم باذان باليمن في سنة عشر ؛ وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبناء الفرس الذين استوطنوا اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فمن الأبناء : وهب بن مُنْبَه بن سَيْحَج ابن ذُكْبَار ، وطاووس وذادويه وفيروز اللذان قتل الأسود العنسي الكذاب ، وقد قيل في طاووس : إنه ليس من الأبناء ، وإنه من حمير ، وقد قيل : من فارس ، واسمه : ذكوان بن كيسان ، وهو مولى بجير بن ريسان ؛ وقد قيل : مولى الجعند ، وكان يقال له : طاووس القراء الجماله .

(٢) تمنحنت : حملت ، والمتون : المنية ، وهو أيضاً من أسماء الدهر ، وهو من منلت الجبل إذا قطمته ، وأنى : أى حان .

كتاب الحجر الذي في اليمامة : قال ابن إسحاق : وكان في حَجَر باليمن - فيما يزعمون - كتاب بالزبور كتب في الزمان الأول : ولمن مُلِكَ ذِمَار (١) ؟ لمخير الأخيار (٢) ، لمن ملك ذِمَار ؟ للحبشة الأشرار (٣) ، لمن ملك ذِمَار ؟ لفارس الأحرار (٤) ، لمن ملك ذِمَار ؟ لقريش التجار .
وذِمَار : اليمن أو صنعاء ، قال ابن هشام : ذِمَار : بالفتح ، فيما أخبرني يونس .

الأعشى يذكر نبوءة سوطي : قال ابن إسحاق : وقال الأعشى — أعشى بني قيس ابن ثعلبة في وقوع ما قال سوطي وصاحبه :

ما نظرت ذات أشفار (٥) كنظرتها
حقا كما صدق الذئبي إذ سجعا
وكانت العرب تقول لسوطي : الذئبي ؛ لأنه سوطي بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب ، قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له .

(١) حكى ابن هشام عن يونس ذِمَار بفتح الذال ، فدل على أن رواية ابن إسحاق بالكسر ، فإذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف ؛ لأنه اسم لمدينة ، والغالب عليه التأنيث ، ويجوز صرفه أيضا ؛ لأنه اسم بلد ، وإذا افتحت الذال ، فهو مبنى مثل : رقاش وحذام .

(٢) وقوله : لمخير الأخيار ؛ لأنهم كانوا أهل دين ، كما تقدم في حديث فيميون وابن الثامر .
(٣) وأما قوله للحبشة الأشرار : فلما أحدثوا في اليمن من العيث والفساد والحرب البلاد ، حتى هموا بهدم بيت الله الحرام ، وسيدمونه في آخر الزمان إذا رفع القرآن ؛ وذهب من الصدور الإيمان . يشير بذلك إلى حديث : « اتركوا الحبشة ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة » . وقد رواه أبو داود بسند ضعيف .

(٤) وقوله : لفارس الأحرار ؛ فلأن الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت في زعمهم إلى أن جاء الإسلام ، لم يدينوا لملك من غيرهم ، ولا أدوا الإتاوة لذي سلطان من سواهم فكانوا أحراراً لذلك .

(٥) يريد : زرقاء اليمامة ، وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، وقبل البيت :

قالت : أرى رجلا في كفه كسف
أو يخصف النمل لهفي أية صنعاء
فكذبوها بما قالت ، فصببهم
ذو آل حسان يزجي الموت والسعلا

قصة ملك الحضر

قال ابن هشام : وحدثني سُلَاحِدُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ خَالِدِ السَّدُوسِيِّ عَنْ جَنْجَادٍ ، أَوْ عَنْ بَعْضِ
عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالنِّسْبِ : أَنَّهُ يَقَالُ : إِنَّ النِّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِ مِنْ وَلَدِ سَاطِرُونَ^(١) مَلِكِ الْحَضَرِ .
وَالْحَضَرُ : حَصْنٌ عَظِيمٌ بِالْمَدِينَةِ ، كَانَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ :

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةُ يُجْبِي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كَلْبَسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذِرَاهُ وَكَوْرُ
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَانَ السَّمْلَكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

والذي ذكره أَبُو ذُووَادٍ الْإِيَادِيُّ^(٢) فِي قَوْلِهِ :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحَضَرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطِرُونَ^(٣)

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إنها لخلف الآخر ، ويقال : لحماذ الراوية .

سابور يستولى على الحضر : وكان كسرى سابور ذوالاكتاف غزا ساطرون ملك
الحضر ، لحصره سنتين ، فأشرفت بنت ساطرون^(٤) يوما ، فنظرت إلى سابور ، وعليه ثياب ديباج ،
وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ ، وكان جميلا ، فهدست إليه : أتزوجني

(١) الساطرون بالسرمانية : هو الملك ، واسم الساطرون : الضَّيْزَنُ بْنُ مَعَاوِيَةَ . قال
الطبري : هو جُرْمُقَانِي ، وقال ابن الكلبي : هو قضاعي من العرب الذين تنخوا بالسواد ،
فسموا : تنوخ ، أى : أقاموا بها ، وهم قبائل شقي . ونسبه ابن الكلبي ، فقال : هو ابن معاوية
ابن عبيد ، ووجدته بخط أبي بحر : عُبَيْدُ بْنُ الْعَيْنِ بْنِ أَجْرَمَ مِنْ بَنِي سَلِيحِ بْنِ حُلُوانَ
ابن الحاف بن قضاعة ، وأمه : جَيْهَمَسَةُ ، وبها كان يعرف ، وهى أيضا قضاعية من بني يزيد
الذين تنسب إليهم الشيايب الزيدية .

(٢) واسم أبي داود : جارية بن حجاج ، وقيل : حنظلة بن شَسْرَقٍ .

(٣) وبعد هذا البيت :

صرعته الأيام من بعد مُلْكِ وَنَعِيمٍ وَجَوْهَرٍ مَكْنُونٍ

(٤) وتسمى النضيرة

إن فتحت لك باب الحضر؟ فقال: نعم. فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر، وكان لا يبيت إلا سكران، فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه، فبعثت بها مع مول لها ففتحت الباب، فدخل سابور، فقتل ساطرون، واستباح الحضر وخربه (١)، وسار بها معه فتزوجها، فبينما هي نائمة على فراشها ليلاً إذ جمعت تتلملح لا تنام، فدعا لها بشمع، ففتش فراشها، فوجد عليه ورقة آس؛ فقال لها سابور: أهذا الذى أسهرَكَ؟ قالت: نعم، قال: فما كان أبوك يصنع بك؟ قالت: كان يفرش لى الديباج، ويلبسى الحرير، ويطعمنى المخ، ويسقيني الخمر، قال: أفكان جزاء أبيلك ما صنعت به؟ أنت لى بذلك أسرع، ثم أمر بها، فربطت قرون رأسها بذهب فرس، ثم ركض الفرس، حتى قتلها (٢)، فففيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

قول أعشى قيسى فى قصة الحضر:

ألم تر للحضر إذ أهله	بنعسى، وهل خالد من نعم
أقام به شاهبور الجنو	د حولين تضرب فيه القدم (٣)

(١) وقال المسعودى: دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء إلى الحضر، فقطع لهم الماء، ودخلوا منه.

وقال الطبرى: دلته على طلسم كان فى الحضر، وكان فى علمهم أنه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء، وتغضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء، ثم ترسل الحمامة، فتزل على سور الحضر، فيقع الطلسم، فيفتح الحضر.

(٢) قال ابن إسحاق المستبجى للحضر سابور ذو الأكتاف، وجعله غير سابور بن أردشير ابن بابك، وقد تقدم أن أردشير هو أول من جمع ملك فارس، وأذل ملوك الطوائف، حتى دان الملك له، والذين: كان من ملوك الطوائف، فيبعد أن تكون هذه القصة لسابور ذو الأكتاف، وهو سابور بن هرمز، وهو ذو الأكتاف؛ لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل، وبينهم ملوك مسمونون فى كتب التاريخ، وهم: هرمز بن سابور، وبهرام بن هرمز، وبهرام بن بهرام، وبهرام الثالث، ونرمى بن بهرام، وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم.

(٣) شاهبور: معناه ابن الملك.

فلما دعا ربه دهوة أناب إليه فلم ينتقم
وهذه الأبيات في قصيدة له .

قول عمر بن زبير : وقال عدى بن زيد في ذلك :

والحضر صابت عليه داهية من فوقه أيَّدته مناكها (١)
ريثة لم تَوَقِّ والدها لحيثها إذ أضاع راقها (٢)
إذ غبته صباء صافية والخز وهل ييم شارها (٣)
فأسلمت أهلها بليتها تظن أن الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس إذ جسر الصبح دما . تجرى سبائها (٤)

(١) أيَّد : شديدة .

(٢) رَبِيَّةٌ لم تَوَقِّ والدها . يحتمل أن تكون فعيلة من ربت ، إلا أن القياس في فعيلة بمعنى مفعولة أن تكون بغير هاء ، ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء ، لأنها ربت في نعمة فتكون بمعنى فاعلة ، ويكون البناء موافقا للقياس ، وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد : ريثة بالهمز ، وسهل الهمزة فصارت ياء ، وجعلها ريثة ؛ لأنها كانت طليعة حيث اطلعت ، حتى رأت سابور وجنوده ، ويقال للطليعة ذكر آ كان أو أنثى : ريثة ، ويقال له : رباء على وزن فعال وأنشدوا :

رباء شماء لا يأوى لقاتها — البيت

وقوله أضاع راقها ، أى أضاع المرباة الذي يرقها ويحرسها ، ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى : أضاعها حافظها .

(٣) والخز وهل . يقال : وهل الرجل . وهلا وهلا إذا أراد شيئا ، فذهب وهمه إلى غيره . ويقال فيه : وهم أيضا يفتح الهاء ، وأما وهم بالكسر ، فعناه : غلط ، وأوهم بالالف معناه : أسقط .

(٤) جسر : ظهر ووضع . سبائها : السبائب جمع : سبيبة ، وهى كالعمامة أو نحوها ، ومنه السَّيب وهو : الخمار .

وخُرب الحضر، واستسبح ، وقد أحرق في خدرها مشاجها^(١)
وهذه الأبيات في قصيدة له .

ذكر ولد نزار بن معد

قال ابن إسحاق : فولد نزار بن معد ثلاثة نزار : مضر^(٢) بن نزار ، وربيعة بن نزار ،
وأثمار بن نزار .

قال ابن هشام : وإياد بن نزار . قال الحارث بن دوس الإيادي ، ويروي لابن دُوَاد
الإيادي ، واسمه : جارية بن الحجاج :

وَقُتِرُوا حَسَنَ أَوْجُهُم
من إياد بن نزار بن معد
وهذا البيت في أبيات له .

فأم مضر وإياد : سَوْدَة بنت عك بن عدنان ، وأم ربيعة وأثمار : شُعَيْبَة بنت عك
ابن عدنان ، ويقال : جُثَمَة بنت عك بن عدنان .

أورو أثمار : قال ابن إسحاق : فأثمار^(٣) : أبو خثعم وبجيلة . قال جرير بن عبدالله البجلي

(١) مشاجها . المشاجب : جمع مشجب ، وهو ما تعلق منه الثياب .

(٢) فأما مضر فقد تقدم ذكره في عمود نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكرنا أنه
أول من سن حُداء الإبل ، وسببه - فيما ذكروا - أنه سقط عن بعير ، فوثبت يده ، وكان
أحسن الناس صوتاً ، فكان يمشي خلف الإبل ، ويقول : وايدياه وايدياه ، يترنم بذلك فأعنت
الإبل ، وذهب كلالها ؛ فكان ذلك أصل الحداء عند العرب ، وذلك أنها تُنْفِط بِحْدَانِهَا
الإبل ، فتسرع .

(٣) وأما أثمار فسمى : بالانمار جمع نَمِر ، كما سماه بسباع وکلاب ، وأم بنيهِ : بجيلة
بنت صعب بن سعد العشيرة ولد له من غيرها أفتل وهو : خثعم ، وولدت له عبقر في خمسة
عشر ، سماهم أبو الفرج ، عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم : وداعة وخزيمة وصيبة والحارث
ومالك وشيبة وطريفة وفهشم والغوث وسمل وعبقر وأشل كلهم بنو أثمار . ويقال : إن
بجيلة حبشية - ضات أولاد أنمار الذين سَمَّينا ، ولم تحضن أفتل ، وهو : خثعم . فلم يُنسب إليها .

وكان سيد بجيلة ، وهو الذى يقول له القائل :

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى ، وبئست القبيلة !! (١)
وهو ينافر (٢) الفُرافصة (٣) الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي :
يا أقرع بن حابس يا أقرعُ إنك إن تَصْرَع أخاك تُصْرَعُ (٤)
قال :

ابنُ نزار انصرا أخاك إن أبي وجدته أباك
لن يُغلب اليوم أخ والاك
وقد تيامنت ، فلهقت باليمن .

قال ابن هشام : قالت الين : وبجيلة : أنمار بن لإراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت
ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : لإراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ، ودار بجيلة
وخشم : يمانية .

(١) قال لما سمع هذا : ما مُدح رجل هُجى قومه : وجرير هذا هو : ابن عبد الله بن
حابر ، وهو ، الشُّسَّيْثِل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن جذيمة .

(٢) ينافر : أى يحاكم . قال قاسم بن ثابت : لفظ المنافرة مأخوذ من النَّفَر ، وكانوا إذا
تنازع الرجال ، وادعى كل واحد منهم أنه أعز نفراً من صاحبه ، تحاكوا إلى العلامة ، فن
فضِّلَ منهما قيل : نفره عليه أى : فضِّلَ نفره على نفر الآخر : فن هذا أخذت المنافرة .
وقال زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نِفار أو سجلاء

(٣) الفُرافصة بالضم : اسم الأسد ، وبالفتح اسم الرجل ، وقد قيل : كل فُرافصة في
العرب بالضم إلا الفُرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فإنه بالفتح .

(٤) الأشهر في الرواية : إن يُصْرَع أخوك ، وإنما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب
الشرط ؛ لأنه في نية التقديم عند سيبويه . وهو على إضمار الفاء عند المبرد .

ولم يصغر : قال ابن إسحاق : فولد مضر بن نزار رجلين : الياس بن مضر ، وعيلان (١) ابن مضر . قال ابن هشام : وأمه : جزمية (٢) .

أولاد الياس : قال ابن إسحاق : فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر : مدركة بن الياس ، وطابخة بن الياس ، وقمعة بن الياس ، وأمه : خندف (٣) ، امرأة من الين . قال ابن هشام : خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن إسحاق : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً ، وزعموا أنهما كانا في إبل لها يرعيانها ، فافتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ ، فلاحق عامر بالإبل فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعمرو : أنت مدركة ، وقال لعمرو : وأنت طابخة (٤) .

(١) وأما عَمَيْلان أخو الياس ، فقد قيل : لأنه قيس نفسه لأبوه ، وسمى بفرس له اسمه : عيلان ، وكان يجاوره قيس كُتَيْبَة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه ، فَرَّقَ بينهما بهذه الإضافة ، وقيل : عيلان اسم كلب له .

(٢) وذكر ابن إسحاق أم الياس ، وقال فيها : امرأة من جرهم ، ولم يسمها ، وليست من جرهم ، وإنما هي الرباب بنت حَيْدَة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبري ، وقد قدمنا ذلك في نسب النبي — صلى الله عليه وسلم .

(٣) وخندف التي عُرِفَ بها بنو الياس . وهي التي ضربت الأمثال بحزنها على الياس ، وذلك أنها تركت بنها ، وساحت في الأرض تبكيه : حتى ماتت كدأ ، وكان مات يوم خميس ، وكانت إذا جاء الخميس بكى من أول النهار إلى آخره .

قال الزبير : وإنما نسب بنو الياس لامهم ، لأنها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم ، رحمهم الناس فقالوا : هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم ، وهم صغار أيتام ، حتى عرفوا ببني خندف .

(٤) وفي الخبر زيادة ، وهو أن الياس قال لامهم — واسمها ليلي ، وأمه : ضريئة بنت ربيعة بن نزار التي ينسب إليها : حمسى ضرية ، وقد أقبلت تُخْخندف في مشيتها : — مالك تخندفين ؟ فسميت : خندف ، والخندفة : سرعة في مشي ، وقال لمدركة :

وأما قَمْعَةٌ فيزعم نساب مضر : أن خزاعة من ولد عمرو بن لُحَيٍّ بن قعدة بن الياس .

حديث عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب

عمرو بن لحي يجر قصبه في النار : قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال :

محدث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « رأيت عمرو بن لُحَيٍّ يجر قَمْعِيَّتَهُ (١) في النار فسأله عن بني وبينه من الناس ، فقال : هلكوا ، » .

قال ابن إسحاق ، وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التميمي أن أبا صالح السمان حدثه أنه سمع أبا هريرة ، قال ابن هشام : واسم أبي هريرة . عبدالله بن عامر ، ويقال اسمه : عبدالرحمن ابن صخر - يقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أكثم بن الجوثن الخزاعي : « يا أكثم ، رأيت عمرو بن لحي بن قَمْعَةٍ بن خندف يجر قصبه في النار ، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به ، ولا بك منه . فقال أكثم : عسى أن يضرنى شُبُهه يا رسول الله ؟ قال : لا ، لأنك مؤمن وهو كافر ، إنه كان أول من غير دين لإسماعيل ، فنصب الأوثان ، وبحر البَحِيرَةِ (٢) وسيب السائبية ، ووصل الوصيلة ، وحَمَى الحامى ، » .

وأنت قد أدركتَ ما طلبنا

وقال لطائفة :

وأنت قد أنضجت ما طلبنا

وقال لقَمْعَةُ وهو عُمير :

وأنت قد قدمت فانقمنا

(١) قصبه : أمعاؤه .

(٢) وقد روى أيضاً أن أول من بحر البحيرة : رجل من بني مُدَلج كانت له ناقتان ، لجدع آذانهما ، وحرم ألبانها . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « فرأيت في النار يخبطان »

أصل عبادة الأصنام في أرض العرب : قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم أن عمرو ابن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره ، فلما قدم مآب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العالليق — وهم ولد عملاق . ويقال : عمليق بن لاوذين سام بن نوح — رأهم يعبدون الأصنام ، فقال لهم : ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا له : هذه أصنام نعيدها ، فنستمطرها فتمطرنا ، ونستنصرها فتنصرنا ، فقال لهم : أفلا تعطونني منها صنما ، فأسير به إلى أرض العرب ، فيعبدوه ؟ فأعطوه صنما يقال له : هُبَيْل ، فقدم به مكة ، فنصبه ، وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (١) .

سبب عبادة الأصنام : قال ابن إسحاق : يزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل ، أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم ، واتمسوا الفُسْح في البلاد ، إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم ، لحيثما نزلوا وضعوه ، فطافوا به كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ، حتى خلف الخثول ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدین إبراهيم وإسماعيل غيره ، فمبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات ، وفيهم على

= بأخفافهما ، ويسمّضانه بأفواههما . وقال عليه السلام : قد عرفت أول من سبب السائبة ، ونصب النصب : عمرو بن لحي رأيته يؤذى أهل النار بريح قُصْبِهِ ، رواه ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلًا .

(١) وكان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ، ونفت جرم عن مكة ، قد جعلته العرب رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة ؛ لأنه كان يطعم الناس ، ويكسو في الموسم ، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة ، وكسا عشرة آلاف حلة ، حتى ليقال : إنه اللات الذي : يات السوق للحجيج على صخرة معروفة تسمى : صخرة اللات ، ويقال إن الذي يات كان من ثقيف ، فلما مات قال لهم عمرو ، إنه لم يمت ، ولكن دخل في الصخرة ، ثم أمرهم بعبادتها ، وأن يبنوا عليها بيتا يسمى : اللات ، ويقال : دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة ؛ فلما هلك سميت تلك الصخرة : اللات مخففة التاء ، واتخذ صنما يعبد ، وقد ذكر ابن إسحاق ، أنه أول من أدخل الأصنام الحرم ، وحمل الناس على عبادتها .

ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهَدْمُ البُدن ، والإِهلال بالحج والعمرة ، مع إدخالهم فيه ما ليس منه . فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، لا شريك هو لك ، تملكه وما ملك » ، فيوحدونه بالتلبية ، ثم يدخلون معه أصنامهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله تبارك وتعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، أى ما يوحدوننى لمعرفة حقى إلا جعلوا معى شريكا من خلقى » (١) .

أصنام قوم نوح . وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها ، قص الله - تبارك وتعالى - خبرها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « وقالوا : لا تَذَرُنْ آهْنَكُم ، ولا تَدْرُونَ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ، وقد أضلوا كثيرا » (٢) .

(١) وكانت التلبية من عهد إبراهيم : لبيك ، لا شريك لك لبيك ، حتى كان عمرو بن لحي ، فبينما هو يلبى تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبى معه ، فقال عمرو : لبيك لا شريك لك ، فقال الشيخ : لا شريكا هو لك ، فأنكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ قل : تملكه وما تملك ، فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، فدانت بها العرب .

(٢) وتلك هى الجاهلية الأولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله : « ولا تَبْرَأْ جُنَّ تَبْرَجِ الجاهلية الأولى » ، وكان بدء ذلك فى عهد مهلايل بن قيسنان فيما ذكروا . وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال : « صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ، وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها أنصابا ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ؛ فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتَوَسَّخَ العلم عُصِدَتْ » . وذكر الطبرى هذا المعنى وزاد : أن سواعا كان : ابن شيث ، وأن يغوث كان : ابن سواع ، وكذلك يعوق ونسّر ، كلما هلك الأول صورت صورته ، وعُظِّمَت لموضعه من الدين ، ولما عبدوا فى دعائه من الإجابة ، فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلف ، وقالوا : ما عظم هؤلاء آبائنا إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر ، واتخذوها آلهة . وهذه أسماء سريانية =

القبائل العربية وأصنامها : فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسماعيل وغيرهم، وسما بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل : هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سواعا ، فكان لهم برهاط ^(١) . وكلب بن وبرة من قضاة ، اتخذوا وكعا بدومة الجندل ^(٢) .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك الأنصاري :

ونفسى اللات والعزى ووَدَّ^٣ ونسَلُهَا الفلاند والشنُوفَا ^(٣)

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله .

قال ابن هشام : وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة .

عباد يغوث : قال ابن إسحاق : وأنعم من طيء ، وأهل جُرَش من مذحج اتخذوا

يغوث بجرش .

قال ابن هشام . ويقال : أنعم . وطيء بن أدد بن مالك ، ومالك : مذحج بن أدد ،

ويقال : طيء بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عباد يعوق : قال ابن إسحاق : وخثيوان بطن من همدان ، اتخذوا يعوق بأرض همدان

من أرض اليمن .

= وقعت إلى الهند ، فسَمَّوْا بها أصنامهم التي زعموا أنها صور الدراري السبعة ، وربما كلتهم الجن من جوفها ففتنتهم ، ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي كما ذكر أو غيره ، وعلمهم تلك الأسماء ؛ وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا في عهد نوح .

(١) رهاط : من أرض ينبع .

(٢) ودومة هذه — بضم الدال — ذكروا أنها سميت بدؤمي بن إسماعيل كان نزلها ، ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ، ودومة — بفتح الدال — أخرى مذكورة في أخبار الردة ، كذا وجدته للبكري مقيدا في أسماء هذه المواضع . راجع الروض الاتف بتحقيقنا

ج ١ ص ١٠٣

(٣) الشنؤفا : مفردة شنف - القرط .

قال ابن هشام : وقال مالك بن نبط الهمداني (١) :

يريش الله في الدنيا ويسبى ولا يبرى يعوق ولا يرش (٢)
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : اسم همدان : أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك
ابن زيد بن كهلان بن سبأ . ويقال : أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار . ويقال : همدان
ابن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

عباد نمر : قال ابن إسحاق : وذو الكلاع من حمير ، اتخذوا نمرأ بأرض حمير .

عباد عيمانس : وكان لخولان صنم يقال له : عيمانس بأرض خولان ، يقسمون له من
أنعامهم وحروثهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم ، فما دخل في حق عيمانس من حق الله تعالى الذي
سموه له تركوه له ، وما دخل في حق الله تعالى من حق عيمانس ردوه عليه . وهم بطن من
خولان ، يقال لهم : الأديم ، وفيهم أنزل الله — تبارك وتعالى — فيما يذكر : وجعلوا لله
بما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم
فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ، ساء ما يحكون .

قال ابن هشام : خولان بن عمرو بن الحلاف بن قضاة ، ويقال : خولان بن عمرو
ابن مرة بن أدد بن زيد بن مهسح بن عمرو بن عكراب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال :
خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج .

(١) وهو : أبرثور ، يلقب : ذا المشعاع ، وهو من بني خارف ، وقد قيل : إنه من
يام بن أصى ، وكلاهما من همدان .

(٢) هو من رشت السهم وبريته ، استعير في النفع والضر . قال سويد :

فترشني بخير طالما قد برئتني
وخير الموالي من يرش ولا يبرى

عباد سعد : قال ابن إسحاق : وكان لبني مَلِكَان^(١) — بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر — صنم ، يقال له : سعد : صخرة بقلعة من أرضهم طويلة ، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مُؤَوَّبَةً ؛ ليقفها عليه ، التماس بركته — فيأيزعم — فلما رآته الإبل وكانت مرعية لا تُركَّب ، وكان يُهراق عليه الدماء نفرت منه ، فذهبت في كل وجه ، وغضب ربها الملكاني ، فأخذ حجراً فرماه به ، ثم قال : لا بارك الله فيك ، نفرت على إبل ، ثم خرج في طلبها حتى جمعها ، فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ، ليجمع شملنا فشتتنا سعد ، فلا نحن من سعد (٢)
وهل سعد إلا صخرة بتسوفة من الأرض لاتدعو لغى ولا رشد (٣)

دوس وصنمهم : وكان في دوس صنم لعمر بن حُصَمة الدوسي .
قال ابن هشام : سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله .
ودوس بن عُدْثَان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : دوس بن عبد الله بن زهران بن الأسد بن الغوث .

(١) مَلِكَان بن كنانة بكسر الميم . قال أبو جعفر بن حبيب النسابة : كل شيء في العرب فهو ملكان بكسر الميم ساكن اللام ، غير مَلِكَان في قضاة ، وملكاني السككون ، فإنهما بفتح الميم واللام فملكاني قضاة هو : ابن جَرْم بن زَبَّان بن حُلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاة ، وملكاني السككون هو : ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السككون ابن أشرس من كندة .

(٢) ويمتنع في العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر إلا مع تكرار : لا ، مثل : أن تقول لا زيد في الدار ولا عمرو ، وذكر سيويه قولهم : لا تَوَلُّك أن تفعل ، وقال : إنما جاز هذا ؛ لأن معناه معنى الفعل ، أي : لا ينبغي لك أن تفعل ، وكذلك ينبغي أن يقال في بيت الملكاني : أي : لم يقلها على جهة الخبر ، ولكن على قصد التبري منه ، فكان معنى الكلام : فلا تتولى سعداً ، ولا تدين به ، فهذا المعنى حسن دخول لا على الابتداء .

(٣) بتسوفة : بأرض جرداء .

عبدالله : قال ابن إسحاق : وكانت قريش قد اتخذت صنما على بشر في جوف الكعبة يقال له : هبيل (١) .

قال ابن هشام : سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه .

إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : واتخذوا إسافا ونائلة ، على موضع زمزم ينحرون عندهما ، وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم - هو : إساف بن بكفى ونائلة بنت ديك - فوقع إساف على نائلة في الكعبة : ففسخهما الله حجرين (٢) .

محدث عائشة عن إساف ونائلة : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنها قالت : سمعت عائشة - رضى الله عنها - تقول : ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم ، أحدثا (٣) في الكعبة : ففسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وحيث ينيخ الأشعرين ركابهم
بمضة ضى السيول من إساف ونائل (٤)

(١) وأما هبيل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت ، وهي - من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة .

(٢) وأخرجه رزين في فضائل مكة عن بعض السلف : ما أمهلما الله إلى أن يفجرا فيها ، ولكنه قبّلها ، ففسخا حجرين ، فأخرجا إلى الصفا والمروة ، فنصبا عليهما ، ليكونا عبرة وموعظة ، فلما كان عمر بن لحي نقلهما إلى الكعبة ، ونصبهما على زمزم ، قطاف الناس بالكعبة وبهما ، حتى عبدا من دون الله .

(٣) أرادت الحدث الذي هو الفجور كما قال - عليه السلام - : من أحدث حدثا ، أو آوى محدثا ، فعليه لعنة الله ، وقال عمر - حين كانت الزلزلة بالمدينة : أحدثتم . والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم .

(٤) هو ترخيم في ذير النداء لضرورة الوزن في البيت .

قال ابن هشام : وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

فعل العرب مع أصنامهم : قال ابن إسحاق : واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسح به ، فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله ، فلما بعث الله رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — بالتوحيد ، قالت غريش : « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ، إن هذا لشئ عَجَاب » .

الطواغيت : وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت ، وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سَدَنَةٌ وحجَّاب ، وتهدى لها كما تهدى للكعبة ، وتطوف بها كطوافها بها ، وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت لإبراهيم الخليل ومسجده .

العزى وسرنتها ومجابهها : فكانت لغريش وبني كنانة : العزى بنخلة ، وكان سدنتها وحجابه بنو شيبان من سليم ، حلفاء بني هاشم .

قال ابن هشام : حلفاء بني أبي طالب خاصة ، وسُلَيْم : سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس بن عيلان .

قال ابن إسحاق : فقال شاعر من العرب :

لقد أنكحتُ أسماءَ رأس بُقَيْرَةٍ من الأُدُمِ أهداها امرؤ من بني غنم
رأى قدعا في عينها إذ يسوقها إلى غَبِغْبِغِ العُزَّى فوسَّع في القَسَمِ (١)

(١) والقدع : ضعف البصر من إدمان النظر .

وقوله في الغبغب : وهو المنحر ومراق الدم ، كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ، ويجوز أن يكون مقلوباً من قولهم : بثر بُغْبِغ وبغْبِغ إذا كانت كثيرة الماء . قال الرازي : بُغْبِغ قصيرة الرشاء .

ومعنى هذا البيت : الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قربت أن يذهب بهرها ، فلا تصطح إلا للذبح والقسم .

وكذلك كانوا يصنعون إذا نَحَرُوا هديا قسموه في من حَضَرهم ، والغنَب : المنَحَر ،
ومُسْهَرَق الدماء .

قال ابن هشام : وهذان البيتان لأبي خراش الهذلي واسمه : خويلد بن مرة في أبيات له .

من هم السدنة : والسدنة : الذين يقومون بأمر الكعبة . قال رُقبة بن العجاج :
فلا ورب الآمات القسطن يعمرن أمناً بالحرام الأمان
بمحبس الهدى وببيت المسدد

وهذان البيتان في أرجوزة له ، وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه .

اللات وسرترها : قال ابن إسحاق : وكانت اللات لثقيف بالطائف ، وكان سدنتها
وحجابها بنو ممتتب من ثقيف .

قال ابن هشام : وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه .

مناة وسرترها : قال ابن إسحاق : وكانت مناة للأوس والخزرج ، ومن دان بدينهم
من أهل يثرب ، على ساحل البحر من ناحية المشكل بقُدَيْد .

قال ابن هشام : وقال الكيث بن زيد أحد بني أسد بن مدركة :
وقد آلت قبائل لا تُؤلِّيَ منناةً ظهورها متحرفينا
وهذا البيت في قصيدة له .

هرم مناة : قال ابن هشام : فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إليها أبا سفيان
ابن حرب فهدمها ، ويقال : على بن أبي طالب .

ذو الخلصة وعباده وهرم : قال ابن إسحاق : وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم
وبجيلة ، ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة .

قال ابن هشام : ويقال : ذو الخلصة . قال رجل من العرب :
لو كنت يا ذا الخلص الموتورا مثلى وكان شيخك المقبوراً
لم تنه عن قتل المُدادة زورا

قال : وكان أبوه قُتِل ، فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة ، فاستقسم عنده بالألزام ، فخرج السهم بنبيه عن ذلك ، فقال هذه الآيات . ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حُجر الكِنْدِي ، فبعث إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جرير بن عبد الله البجلي ، فهدمه^(١) .

فلس وعبارة وهمم : قال ابن إسحاق : وكانت فلس^(٢) لطيء ومن يليها بجلى طيء ، يعنى سَلَمَى وأجأ .

قال ابن هشام : خدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث إليها على بن أبي طالب فهدمها ، فوجد فيها سيفين ، يقال لأحدهما : الرُّسُوب ، وللآخر : المُخَنَذَم . فأتى بهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوهبهما له ، فهما سيفا على رضى الله عنه .

رئام : قال ابن إسحاق : وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنماء يقال له : رئام . قال ابن هشام : قد ذكرت حديثه فيما مضى :

رضاء وعبارة وهمم : قال ابن إسحاق : وكانت رضاء بنتا لبى ربيعة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، ولها يقول المستوغر^(٣) بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام :

(١) وذلك قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بشهرين أو نحوهما ، قال جرير : بعثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مائة وخمسين راكباً من أحسن إلى ذى الخلصة ، فقلت : يا رسول الله إني لأعجب على الخيل ، فدعألى ، وقال : واللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً .

(٢) هكذا وجدته مضبوطاً في القاموس . وضبطه ابن الكلبي بفتح فسكون ، وضبطه يافوت بضم الفاء واللام . وتروى في بعض المراجع : فاساً ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجأ اسم رجل بعينه ، وهو : أجأ بن عبد الحى ، وكان بحر بسلى بنت حام ، أو أثنهم بذلك ، فصُلِّباً في ذينك الجبلين ، وعندهما جبل يقال له : العوجاء ، وكانت العوجاء حاضنة سلمى - فيما ذكر - وكانت السفير بينها وبين أجأ فصُلِّبت في الجبل الثالث ، فسمى بها .

(٣) واسمه : كعب . قال ابن دريد : سمي مستوغرأً بقوله :

ولقد شددت على رضاء شدة فتركها قفراً بقاع أسحما
قال ابن هشام : قوله :

فتركها قفراً بقاع أسحما

عن رجل من بني سعد .

عمر المستوغر : ويقال : إن المستوغر عمر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة ، وكان أطول
مضر كلها عمرا ، وهو الذي يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة حداثتها بعدها مئتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي إلا كما قد فاتنا . يوم يمر ليلة تحدوننا
وبعض الناس يروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلابي (١) .

زور الكعبيات وعبادة : قال ابن إسحاق : وكان ذو الكعبيات لبكر وتغلب ابني وائل
وأياد يستنداد ، وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

= ينش الماء في الربلات منه نشيش الرضف في اللبن الوغير
والوغير : فعيل من وغرة الحزوهى شدته . وذكر القتيبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ ،
ومعه ابن ابنه ، وقد هرم ، والجد يقوده ، فقال له رجل : ارفق بهذا الشيخ ، فقد طال ما رفق
بك ، فقال : ومن تراه ؟ فقال : هو أبوك أو جدك ، فقال : ما هو إلا ابن ابني ، فقال : ما رأيت
كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة ! فقال : أنا المستوغر .

(١) وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن غُدرة
أو غُدرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة . وزهير هذا من المعمرين ،
وهو الذي يقول :

أبُنى إن أهلك فإنى قد بنيت لكم بنىيه
وتركتكم أولاد سادا ت زنادهم وريه
من كل ما نال الفقى قد نلته إلا التحيه

بين الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الكعبات من سِنداد^(١)
قال ابن هشام : وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي . نهشل بن دارم بن مالك بن زيد
ابن مناة بن تميم ، في قصيدة له ، وأنشدني أبو مُحَرَّرْ خَدَّافُ الأحمر :
أهل الخورنق والسدير وبارق والبيت ذى الشرفات من سِنداد

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى

رأى ابن إسحاق فيها : قال ابن إسحاق : فأما البحيرة فهي : بنت السائبة ، والسائبة :
النافقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سئبت فلم يُركب - ظهرها ، ولم يحز
وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقت أذنبا ، ثم خلى
سبيلها مع أمها ، فلم يركب ظهرها ، ولم يحز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فعل
بأما ، فهي البحيرة بنت السائبة . والوصيلة : الشاة إذا أنامت^(٢) عشر إناث متتابعات في خمسة
أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك
لذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء ، فيشتركوا في أكله ، ذكورهم وإناثهم .
قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنينهم دون بناتهم .

(١) الخورنق : قصر بناء النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ، ليكون ولده فيه عنده ،
وبناه بفيانا عجميا لم تر العرب مثله ، واسم الذى بناه له : سنار ، وهو الذى رُدِّي من أعلاه ،
حتى قالت العرب : جزافى جزاء سنار ، وذلك أنه لما تم الخورنق ، وعجب الناس من حسنه ،
قال سنار : أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت ، فقال له الملك :
أإنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا ؟ وغارت نفسه أن يبتقى لغيره مثله ، وأمر به فطرح من
أعلاه ، وكان بناءه في عشرين سنة .

ومعنى السدير بالفارسية : بيت الملك . يقولون له : سِهدلى ، أى : له ثلاث شعب ، وقال
البكرى : سى السدير ؛ لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه . فتسدر من علوه ، يقال :
سدر بصره إذا تحير . والكعبات : المربعة ، وكل بناء مربع فهو كعبة .

(٢) أنامت : جاءت باثنين في بطن واحد .

قال ابن إسحاق : والحامى : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهما ذكر ، حمى ظهره فلم يركب ، ولم يحز وبره ، وخُلِّسَ في إبله يضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك .

ابن هشام يخالف ابن إسحاق : قال ابن هشام : وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامى ، فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق . فالبجيرة عندهم : الناقة تشق أذننها فلا يركب ظهرها ، ولا يحز وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف ، أو يتصدق به ، وتهمل لآلهم . والسائبة : التي ينذر الرجل أن يسيبها إن برىء من مرضه أو إن أصاب أمراً يطلبه . فإذا كان أسباب ناقة من إبله ، أو جملاً لبعض آلهم ، فسابت فرعت لا ينتفع بها . والوصيلة : التي تلد أمها اثنين في كل بطن ، فيجعل صاحبها لآلته الإناث منها ، ولنفسه الذكور : فتلدها أمها ومعا ذكر في بطن ، فيقولون : وصلت أخاها ، فيسيب أخوها معها ، فلا ينتفع به .

قال ابن هشام : حدثني به يونس بن حبيب النحوى وغيره . روى بعض ما لم يرو بعض .

قال ابن إسحاق : فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمداً — صلى الله عليه وسلم — أنزل عليه : « ما جعل الله من بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون » .

وأنزل الله تعالى : « وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، ومحصرة على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم ، إنه حكيم عليم » .

وأنزل عليه : « قل : أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً ، قل : آله أذن لكم أم على الله تفترون » .

وأنزل عليه : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين . قل : آله كرهين حرماً ، أم الأنثى كرهين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، نبشوفى بعلم إن كنتم صادقين . ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين . قل : آله كرهين حرماً أم الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا . فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .

البحيرة-والوصيلة والهامى لغز : قال ابن هشام : قال الشاعر :
 حُولُ الوصائل في شُرَيْفِ حِقَّةٍ . والحاميات ظهورها والشَّيْبُ
 وقال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر بن صعصعة :
 فيه من الأخرج المربع قرقرة هَدَرَ الدِّيَافِ وسط الهجمة البُحْر^(١)
 وهذا البيت في قصيدة له . وجمع بحيرة : بحائر وبحر . وجمع وصيلة : وصائل ووصل .
 وجمع سائبة الأكثر : سوائب وسُيْدَب ، وجمع حام الأكثر : حوام .

عود إلى النسب

نسب هُرَاعَة : قال ابن إسحاق : وخزاعة تقول : نحن بنو عمرو بن عامر من الين .
 قال ابن هشام : وتقول خزاعة : نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر
 ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وخِندَف أمنا ، فيما
 حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم . ويقال : خزاعة : بنو حارثة بن عمرو بن عامر . وإنما

(١) يصف في هذا البيت حمار وحش يقول : فيه من الأخرج ، وهو : الظلم الذي فيه
 بياض وسواد ، والمربع : هو الفعل الذي يسكر بالإلقاء ، أى : فيه منه قرقرة أى صوت
 وهدر مثل هدر الدِّيَافِ أى : الفحل المنسوب إلى دِيَافِ بلد بالشام ، والهجمة من الإبل : دون
 المائة ، وجعلها بُحْرًا لأنها تأمن من الغارات ، يصفها بالمنعة والحماية ، كما تأمن البحيرة من أن
 تذهب أو تنحر . ورأيت في شعر ابن مقبل : من الأخرج المريع بالياء أخت الواو ، وفسره
 في الشرح من راع يريع إذا أسرع الإجابة ، كما قال طرفة : * تريع إلى صوت المهيب وتثق * .
 وقبل البيت في وصف روض :

بغازب التبت يرتاح الفؤاد له . وأد النهار لأصوات من النُغَرِ
 وبعد البيت الواقع في السيرة :

والأزرق الأخضر السربال منتصب . قيد العصا فوق ذئبال من الزهر

سميت خزاعة ، لأنهم تخزَعُوا (١) من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام ، فَنَزَلُوا بِمَرْ الظَّهْرَانِ ، فَأَقَامُوا بِهَا . قال عوف بن أيوب الأنصاري أحد بني عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة من الخزرج في الإسلام :

فلما هبطنا بطن مَر (٢) نخزعت خزاعة منا في خيول كَرَكَر (٣)
حمت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمرهفات البواتر
وهذان البيتان في قصيدة له .

وقال أبو المطهر إسماعيل بن رافع الأنصاري ، أحد بني حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الأوس :

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت خزاعة دار الآكل المتحامل
فَلَمَّتْ أَكَارِيسَا ، وَشَدَّتْ قَنَابِلَا عَلَى كُلِّ حَى بَيْنَ نَجْدٍ وَسَاحِلِ
كَفَسُوا جِرْهَامَ بَطْنِ مَكَّةَ ، وَاحْتَبَوْا بَعِزَّ خُرَاعِيٍّ شَدِيدِ الْكَوَاهِلِ
قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له ، وأنا إن شاء الله أذكر نفيها جرهما في موضعه .

أولاد مدركة وفزيمه : قال ابن إسحاق : فولد مدركة بن الياس رجلين : خزيمه
ابن مدركة ، وهذيل بن مدركة ، وأمهها : امرأة من قضاة . فولد خزيمه بن مدركة أربعة
نفر : كنانة بن خزيمه ، وأسد بن خزيمه ، وأسدة بن خزيمه ، والهُون بن خزيمه . فأُم كنانة :
عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر .
قال ابن هشام : ويقال الهون بن خزيمه .

أولاد كنانة وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد كنانة بن خزيمه أربعة نفر : النضر

(١) تخزَعُوا ، تأخروا وانقطعوا .

(٢) يريد : مر الظهران ، وسمى : مرأ لأن في عرق من الوادي من خير لون الأرض شبه
(الميم) الممدودة ، وبعدها (را) خلقت كذلك ، ويذكر عن كثير أنه قال : سميت : مرأ لمرارتها .
(٣) الخيول الكراكر : الجمعية .

ابن كنانة ، ومالك بن كنانة ، وعبد مناة بن كنانة ، ومالك بن كنانة (١) . فأم النضر : برة بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، وسائر بنيه لامرأة أخرى .

قال ابن هشام : أم النضر ومالك ومالك : برة بنت مر ، وأم عبد مناة : هالة بنت سويد ابن الغطريف من أزد شنوءة . وشنوءة : عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر ابن الأسد بن الغوث ، وإنما سماه شنوءة ؛ لشنآن كان بينهم . والشنآن : البغض .

من يطلق عليه لقب قرشي : قال ابن هشام : النضر : قرشي ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . قال جرير بن عطية أحد بني كليب ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان :
فا الأم التي ولدت قریشا بمقرقة النجار ولا عقيم (٢)
وما قرم بأنجب من أبيكم وما خال بأكرم من تميم (٣)
يعنى : برة بنت مر ، أخت تميم بن مر ، أم النضر . وهذان البيتان في قصيدة له .

ويقال : فهر بن مالك : قرشي ، فمن كان من ولده فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي ، وإنما سميت قریش قریشا من التقرش ، والتقرش : التجارة والاكتساب . قال رؤبة بن المعجاج :

قد كان يغنيهم عن الشغوش والخشيل من تساقط القروش
شحم ومحض ليس بالمغشوش

قال ابن هشام : والشغوش : قبح يسمى : الشغوش . والخشيل : رءوس الخلاخيل والأسورة ونحوه (٤) . والقروش : التجارة والاكتساب ، يقول : قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض ، والمحض : اللبن الحليب الخالص .

(١) وزاد الطبري في ولد كنانة : عامراً والحارث والنضير وغنم وسعداً وعوفاً وجرول والحدال وغزوان . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١١٥ .

(٢) المقرقة : اللثيمة . والنجار : الأصل (٣) القرم هنا : السيد من الرجال .

(٤) ويقال الخشيل : حل شجر الدوم . والقروش : ما تساقط من حثائه وتقشر منه .

وهذه الأبيات في أرجوزة له . وقال أبو جلدة اليشكري ، ويشكر : بن بكر بن وائل :
 إخوة قَرَّشُوا الذنوب علينا في حديث من عمرنا وقديم
 وهذا البيت في أبيات له .
 قال ابن إسحاق : ويقال . إنما سميت قريش قريشا : لتجمعها من بعد تفرقها .
 ويقال للتجمع : التقرش ^(١) .

أولود النضر وأسمائهم : فولد النضر بن كنانة رجلين : مالك بن النضر ، ويخلد بن
 النضر ، فأم مالك : عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ، ولا أدري أمى أم
 يخلد أم لا .

قال ابن هشام : والصلت بن النضر - فيما قال أبو عمرو المدني - وأمه جميعا : بنت سعد
 ابن ظرب العدواني . وعدوان : بن عمر بن قيس بن عيلان . قال كثير بن عبد الرحمن -
 وهو كثير عزة أحد بني مُسَلِّح بن عمرو ، من خزاعة :

ليس أبي بالصلت أم ليس لإخوتي	لكل هجان من بني النضر أزهر ^(٢)
رأيت ثياب المصَّب مختلط السدى	بنا وبهم والحضرمي المخصَّرا ^(٣)
فإن لم تكونوا من بني النضر، فانركوا	أراك بأذئاب الفوائج أخضرا ^(٤)

قال : وهذه الأبيات في قصيدة له .

والذين يسمون إلى الصلت بن النضر من خزاعة : بنو مُسَلِّح بن عمرو ، رهط
 كثير عزة .

-
- (١) النظر ما قيل في قريش مفصلا في الروض الألف بتحقيقنا ج ١ من صفحة ١١٥ - ١١٧
 (٢) الهجان : الكريم . والأزهر : المشهور .
 (٣) المصَّب : برود الين ، لأنها تصبغ بالمصَّب ، ولا يثبت المصَّب ولا الورس إلا بالين ،
 يريد : إن قدودنا من قدودهم ، فسدى أثوابنا ، مختلط بسدى أثوابهم . والحضرمي : النعال
 المنصهرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الحصرين .
 (٤) الفوائج : رؤوس الأودية .

أولاد مالك وفهر وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد مالك بن النضر : فهر بن مالك ،
وأمه : جندلة بنت الحارث بن مضاخ الجرهمي .

قال ابن هشام : وليس بابن مضاخ الأكبر .

قال ابن إسحاق : فولد فهر بن مالك أربعة نفر : غالب بن فهر ، ومحارب بن فهر ،
والحارث بن فهر ، وأسد بن فهر ، وأمهم : ليلي بنت سعد بن هذيل بن مدركة .

قال ابن هشام : وجندلة بنت فهر ، وهي أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة
ابن تميم . وأما : ليلي بنت سعد . قال جرير بن عطية بن الخطمي . واسم الخطمي : حذيفة بن بدر
ابن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة .

ولإذا غضبت رمى ورائي بالحصي أبناء جندلة كنخير الجنادل
وهذا البيت في قصيدة له .

أولاد غالب وأمهاتهم : قال ابن إسحاق : فولد غالب بن فهر رجلين : لؤي بن غالب ،
وتيم بن غالب ، وأمهما : سلمى بنت عمرو الخزاعي — وتسيم بن غالب الذين يقال لهم :
بنو الأذرم (١) .

قال ابن هشام : وقيس بن غالب ، وأمّه : سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعي ، وهي
أم لؤي وتيم ابني غالب .

(١) الأذرم : المدفون الكمين من اللحم ، يقال : امرأة ذرماء وكعب أذرم . قال الرازي :

قامت تربه خشية أن تُصرما ساقاً بَحْنَدَاةً وكعباً أدرما

وكفلاً مثل النقا أو أعظمًا

والأذرم أيضاً : المنقوض الذقن ، وكان تيم بن غالب كذلك ، فسمى : الأذرم ، قاله
الزبير . وبنو الأذرم هؤلاء هم : أعراب مكة ، وهم من قريش الظواهر (النازلون بظهر مكة) ،
لا من قريش البطاح ، (قبائل عبد مناف) وكذلك بنو عارب من فهر ، وبنو معيص بن عامر .

أولاد لؤى وأصهارهم : قال ابن إسحاق: فولد لؤى بن غالب أربعة نفر : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، وسامة بن لؤى ، وعوف بن لؤى ، فأم كعب وعامر وسامة : ماوية^(١) بنت كعب بن القين بن جَسْر ، من قضاة .

قال ابن هشام : ويقال : والحارث بن لؤى ، وهم : جُشم بن الحارث ، في هِزْان من ربيعة . قال جرير :

بني جشم لستم لهزان ، فانتسموا لأعلى الروابي من لؤى بن غالب
ولا تنسكحوا في آل ضور نساءكم ولا في سُكَيْسِ بئس مشوى الغرائب^(٢)

وسعد بن لؤى ، وهم بُنانة : في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل ، من ربيعة .

وبنانة : حاضنة لهم من بني القين بن جسر بن شَيْع الله ، ويقال : سبيع الله ، ابن الأسد ابن وَبَرَة بن ثعلبة بن حُلوان بن عمران بن الخاف بن قضاة . ويقال : بنت النمر بن قاسط ، من ربيعة . ويقال : بنت جَرْم بن رَبَّان بن حلوان بن عمران بن الخاف بن قضاة .

وخزيمة بن لؤى بن غالب ، وهم عائدة في شيبان بن ثعلبة ، وعائدة امرأة من اليم^(٣) ، وهي أم بني عبدة بن خزيمة بن لؤى .

وأم بني لؤى كلهم - إلا عامر بن لؤى : ماوية بنت كعب بن القين بن جَسْر . وأم عامر ابن لؤى : كُخْشِية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، ويقال : ليلي بنت شيبان بن محارب بن فهر .

(١) سميت بالماوية ، وهي : المرأة ، كأنها نسبت إلى الماء لصفاتها ، وقلبت همزة الماء واوا .
(٢) يقال إنهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف عير رُبِّي ، وكانوا ينتسبون إلى ربيعة فانتسبوا بعد إلا لقريش .

(٣) وقال غيره : هي بنت الخَمْس بن قحافة من خشم ولدت لمبيد بن خزيمة مالكا وحارثا ، فهم بنو خزيمة عائدة ، ومن بني خزيمة أيضا : بنو حرب بن خزيمة ، قتلهم المسوذة في قريتهم بالشام ، وهم يحسبونهم بني حرب بن أمية .

أمر سامة بن لؤى

هروب من أمية وموت : قال ابن إسحاق : فأما سامة بن لؤى فخرج إلى عمان ، وكان بها .
ويزعمون أن عامر بن لؤى أخرجه ، وذلك أنه كان بينهما شيء ، ففقد سامة عين عامر ، فأخافه
عامر ، فخرج إلى عمان . فيزعمون أن سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته ، إذ وضعت رأسها
ترتع ، فأخذت حية بمشفرها ، فصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ، ثم نهشت سامة فقتلته . فقال
سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون :

عين فابكى لسامة بن لؤى	علقت ما بسامة العلاء
لا أرى مثل سامة بن لؤى	يوم حلوا به قتيلا لناقته
بلغنا عامراً وكعباً رسولاً	أن نفسى إليهما مشتاقه (١)
إن تكن في عمان دارى ، فإنى	غالبى ، خرجت من غير فافه
رب كأس هزقت يا ابن لؤى	حذر الموت لم تكن مُمراهقه
رُمت دفع الختوف يا ابن لؤى	ما لمن رام ذاك بالختف طاقه
وخروس السرى تركت ردياً	بعد جحد وجدة ورشاقه (٢)

قال ابن هشام : وبلغنى أن بعض ولده أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فانتسب
إلى سامة بن لؤى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آ لشاعر ؟ فقال له بعض أصحابه :
كأنك يا رسول الله أردت قوله :

(١) بلغنا عامراً وكعباً رسولاً: يجوز أن يكون «رسولاً» مفعولاً: بلغنا إذا جعلت الرسول
بمعنى : الرسالة ، كما قال الشاعر :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ، ولا أرسلتهم برسول
أى : برسالة ، وإنما سموا الرسالة : رسولاً إذا كانت كتاباً ، أو ما يقوم مقام الكتاب من
شعر منظوم .

(٢) قوله : وخروس السرى تركت ردياً يريد : ناقة صموتا صبوراً على السرى ،
لا تنزعج منه ، فسراها كالآخرس ، والردى التى سقطت من الأعياء .

رب كأس هرت يا ابن لؤى حذر الموت لم تكن مهراقه
قال : أجل .

أمر عوف بن لؤى ونقلته

سبب انتماؤه إلى غطفان : قال ابن إسحاق : وأما عوف بن لؤى فإنه خرج — فيما يزعمون — في ركب من قريش ، حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، أبطىء به ، فانطلق من كان معه من قومه ، فأتاه ثعلبة بن سعد ، وهو أخوه في نسب بني ذبيان — ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان . وعوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ابن ريث بن غطفان — فحبسه وزوجه والتاطه^(١) وأخاه ، فشاع نسبه في بني ذبيان . وثعلبة — فيما يزعمون — الذى يقول لعوف حين أبطىء به ، فتركه قومه :

احبس على ابن لؤى جملك تركك القوم ولامة تركك لك

مطامير مرة : قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أو محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن حصين ، أن غمر بن الخطاب قال : لو كنت مدعيًا حيا من العرب ، أو ملحقهم بتاء ، لادعيت بنى مرة بن عوف ، إنا لنعرف فهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع ، يعنى : عوف بن لؤى .

نسب مرة : قال ابن إسحاق : فهو في نسب غطفان : مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان . وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب : ما ننكره ، وما نمجده ، وإنه لأحب النسب إلينا .

وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع — قال ابن هشام : أحد بنى مرة بن عوف حين — هرب من النعمان بن المنذر ، فلاحق بقريش :

(١) التاطه : ألصقه به وألحقه بنسبه .

فما قومي بشعلبة بن سعد
وقومي - إن سألت - بنولوى
سفنها باتباع بني بغيض
سفاهة مُخْلَفَ لَمَّا تروى
فلوطووعت - عمرك - كنت فيهم
وخش رواحة القرشى رحلى
ولا بفزارة الشعر الرقابا
بمكة علموا مضر الضرابا
وترك الأفربين لنا انتسابا
هراق الماء ، واتبع السرابا (١)
وما ألفت أنتجع السحابا (٢)
بناجية ولم يطلب ثوابا (٣)

قال ابن هشام ، هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها .

قال ابن إسحاق: فقال الحصين بن الحُصَيْن المرى، ثم أحدبني سهم بن مرة يرد على الحارث بن ظالم ، وينتمى إلى غطفان :

ألا لستم منا ، ولسنا إليكم
أقنا على عز الحجاز ، وأنتم
برئنا إليكم من لوى بن غالب
بمعتلج البطحاء بين الأخاشب (٤)

يعنى : قريشا ، ثم ندم الحصين على ما قال ، وعرف ما قال الحارث بن ظالم ، فانتمى إلى قريش ، وأكذب نفسه ، فقال :

ندمت على قول معنى كنت قلته
تبينت فيه أنه قول كاذب

(١) المخلف : المستقى الباء .

(٢) وما ألفت انتجع السحابا . أى : كانوا يغنونني برسيثهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب ، وارتياذ المراعى فى البلاد .

(٣) وخش رَواحة القرشى رحلى بناجية . أى : بناقة سريعة يقال : خش السهم بالريش ، إذا راشه به ، فأراد : راشنى وأصلح رحلى بناجية ، ولم يطلب ثوابا بمدحه بذلك . ورواحه هذا : هو رواحة بن مَنقذ بن مَعِيص بن عامر كان قد ربيع فى الجاهلية أى : رأس ، وأخذ ربيع الغنيمة .

(٤) بمعتلج البطحاء : أى حيث تعتلج السيول ، والاعتلاج عمل بقوة . والأخاشب : جبال مكة ، وقد يقال لكل جبل : أخشب .

فليت لساني كان نصفين منهما بكيم، ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كنانى بمكة قبره بمغليخ البطحاء بين الأخشاب
لنا الربع من بيت الحرام وِراثة وربيع البطاح عند دار ابن حاطب^(١)
أى أن بنى لوى كانوا أربعة : كعبا ، وعامرا ، وسامة ، وعوفا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرحال من
بنى مرة : إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم ، فارجعوا إليه .

أُشراف مرة : قال ابن إسحاق : وكان القوم أشرافا فى غطفان ، هم سادتهم وقادتهم .
منهم : هرم بن سنان بن أبى حارثة ، وخارجة^(٢) بن سنان بن أبى حارثة ، والحارث بن عوف ،
والحصين بن الحام ، وهاشم بن حرملة الذى يقول له القائل :

أحيا أباه هاشم بن حرملة^(٣)
يوم الهباءات ويوم اليعملة
ترى الملوك عنده مغربله^(٤)
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له

(١) قوله : لنا الربع بضم الراء ، يريد : أن بنى لوى كانوا أربعة : أحدهم : أبوم ،
وهو عوف ، وبنو لوى هم : أهل الحرم ، ولهم وراثة البيت .

(٢) خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ،
ونجاة نسله .

(٣) هاشم بن حرملة هو : جد منظور بن زُبَّان بن يسار الذى كانت بنته زوجة عند
ابن الزبير ، فهو جد منظور لأمه ، واسمها : قهْطِمْ بنت هاشم . كانت قهْطِمْ قد حملت بمنظور
أربع سنين ، وولدت بأضراسه ، فسمى منظورا لطول انتظارهم لإياه .

(٤) قيل معناه : منتفخة ، وذكروا أنه يقال : غرِبِلَ القتيل إذا انتفخ ، وهذا غير معروف ،
وإن كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف ، وأيضا : فإن الرواية بفتح الباء مغربة ، وقال
بعضهم : معناه : يتخير الملوك فيقتلهم ، والذى أراه فى ذلك أنه يريد بالذرية استقصاءهم وتقبيهم .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة هذه الأبيات لعامر الخصني : خصفه بن قيس بن عيلان :

أحيا أباه هاشم بن حرمه
يوم الهباءات ويوم اليشملة
تري الملوك عنده مُغْرِبُهُ
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له ١١
ورعه للوالدات ، مُشْكَلُهُ

وحدثني أن هاشما قال لعامر : قل في بيتا جيدا أثبك عليّ ، فقال عامر البيت الأول ، فلم يعجب هاشما ، ثم قال الثاني ، فلم يعجبه ، ثم قال الثالث ، فلم يعجبه ، فلما قال الرابع :
يقتل ذا الذنب ، ومن لا ذنب له ١١
أعجبه ، فأثابه عليه (١) .

قال ابن هشام : وذلك الذي أراد الكهيت بن زيد في قوله :
وهائم مرة المفنى ملوكا بلا ذنب إليه ومذنبينا
وهذا البيت في قصيدة له . وقول عامر : يوم الهباءات . عن غير أبي عبيدة
قال ابن إسحاق : قوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها ، فأقاموا على نسبهم ، وفيهم
كان البسّسل (٢) .

أمر البسّسل

تعريف البسّسل : والبسّسل — فيما يزعمون — لسيئتهم ثمانية أشهر حُرْم ، لهم من كل

(١) إنما أعجب هاشما هذا البيت ؛ لأنه وصفه فيه بالمر والامتناع ، وأنه لا يضاف حاكما يُستدري عليه ، ولا ترّة من طالب ثار .

(٢) البسّسل وهو الحرام ، والبسّسل أيضا : الحلال ، فهو من الاضداد ومنه : بُسّسله الرّاق ، أي ما يحل له أن يأخذه على الرقية ، وبسّسل في الدعاء بمعنى : آمين : قال الرازي :

لا خاب من نفعك من رجاك بسّسلا ، وعادى الله من عاصاك
وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء : آمين وبسلا ، أي : استجابة .

سنة من بين العرب ، قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ، ولا يدفعونه ، يسرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا ، لا يخافون منهم شيئا ، قال زهير بن أبى سلمى ، يعنى بنى مرة .

نسب زهير بن أبى سلمى : قال ابن هشام : زهير أحد بنى مُزَيْنَةَ بن أد بن طابخة ابن الياس بن مضر . ويقال : زهير بن أبى سلمى من غطفان ، ويقال : حليف فى غطفان .

تأمل ، فإن تُقْتَوِ الشَّمْرَ وَرَاة^(١) منهم وداراتها لا تُقْتَوِ منهم إذا نخل بلاد بها نادتهم وألقبهم فإن مُقْتَوِيا منهم فإنهم بسل أى : حرام . يقول : ساروا فى حرمهم .

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

أجارتكم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليها
قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له .

أولاد كعب وأصمهم : قال ابن إسحاق : فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر : مرة بن كعب ، وعدى بن كعب ، وهُصَيْنَص بن كعب . وأمهم : وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ابن مالك بن النضر .

أولاد مرة وأصمهم : فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر : كلاب بن مرة ، وتيم ابن مرة ، ويقظة^(٢) بن مرة .

(١) وقع فى بعض النسخ الموررات بناء ممدودة ، كأنه جمع مروّر ، وليس فى الكلام مثل هذا البناء ، وإنما هو المورواة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام ، فهو فَعْلَمَعَةٌ مثل صمحة ، والألف فيه منقلبة عن واو أصلية ، وهذا قول سيبويه جعله مثل : شَجْوَجَةٌ .
والمورواة اسم مكان كان فيه هذا اليوم .

(٢) يقظة بن مرة بفتح القاف ، وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مُدَح بها خالد بن الوليد ، فنها قول الشاعر :

فأم كلاب : هند بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن كنانة بن خزيمة . وأم يقظة : البارقية ، امرأة من بارق ، من الأسد من الين . ويقال : هي أم تيم . ويقال : تيم هند بنت سُرَيْر أم كلاب .

نسب بارق : قال ابن هشام : بارق (١) : بنو عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة ابن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث ، وهم في شُئْوَمة . قال الكمي ابن زيد (٢) :

وأزُد شئْوَمة اندروا علينا بِحُجْمٍ يحسبون لها قرونا (٣)
فا قلنا لبارق : قد أسأتم وما قلنا لبارق : أعجبونا
قال : وهذان البيتان في قصيدة له . وإنما سموا ببارق ؛ لأنهم تبعوا البرق .

ولدا كلاب وأصهما : قال ابن إسحاق : فولد كلاب بن مرة رجلين : قصي بن كلاب ، وزهرة بن كلاب . وأمهما : فاطمة بنت سعد بن سَيْل أحد بني الجُدْرَة ، من جُعثْمة الأزْد ، من الين ، حلفاء في بني الدَّيْل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

نسب جعثمة : قال ابن هشام : ويقال : جُعثْمة الأسد ، وجعثمة الأزْد ، وهو جعثمة ابن يشكر بن مبشر بن صعب بن دُهمان بن نصر بن زهران بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث . ويقال : جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب ابن نصر بن زهران بن الأسد بن الغوث .

== وأنت لخزوم بن يقظة جُعثْمة كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد
وأم مخزوم بن يقظة جد بني مخزوم : كلبة بنت عامر بن لؤي .

(١) سَمُّوا : بارق ؛ لأنهم اتبعوا البرق ، وقد قيل : لأنهم نزلوا عند جبل يقال له : بارق ، فسموا به .

(٢) هو ابن زيد أبو المستهل من بني أسد .

(٣) أي : يناطعون بلا عُدَّة ولا قوة كالكبش الجمل التي لا قرون لها ، ويحسبون أن لهم قوة .

ولما سُموا الجَدَرَة ؛ لأن عامر بن عمرو بن جُعثمة^(١) تزوج بنت الحارث بن مضاخ الجرهمي . وكانت جرم أصحاب الكعبة . فبنى للكعبة جداراً . فسمى عامر بذلك : الجادر ، فقيل لولده : الجدرَة لذلك^(٢)

قال ابن إسحاق : ولسعد بن سَيْكَل يقول الشاعر :

ما نرى في الناس شخصاً واحداً من علبناه كسعد بن سَيْكَل
فارساً أضبط ، فيه عُسرةٌ وإذا ما واقف القرن نزل^(٣)
فارساً يستدرج الخيل كما اسـ تدرج الحرُّ القطامى الحجل^(٤)
قال ابن هشام : قوله : كما استدرج الحر . عن بعض أهل العلم بالشعر .

نعم بنت كلاب وأمرها وولدها : قال ابن هشام : ونعم بنت كلاب ، وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤى ، وأما : فاطمة بنت سعد بن سَيْكَل .

أولاد قصي وأمرهم : قال ابن إسحاق : فولد قصي بن كلاب أربعة نفر وامرأتين : عبد مناف بن قصي ، وعبد الدار بن قصي ، وعبد العزى بن قصي ، وعبد قصي بن قصي ، ونخمر بنت قصي ، وبرة بنت قصي ، وأمرهم : حُبَي بنت حُلَيْل بن حَبْشية بن سُلُول بن كعب ابن عمرو الخزاعي .

قال ابن هشام : ويقال : حُبْشيه بن سُلُول .

أولاد عبد مناف وأمرهم : قال ابن إسحاق : فولد عبد مناف — وابنه : المغيرة بن قصي — أربعة نفر : هاشم بن عبد مناف ، وعبد شمس^(٥) بن عبد مناف ، والمطلب

(١) بعض النسخ زيادة خزيمة خطأ ، إنما هو : عمرو بن جُعثمة .

(٢) يروى أن السيل ذات مرة دخل الكعبة ، وصدع بنيانها ، ففرغت لذلك قريش ، وخافوا انهدادها إن جاء سيل آخر ، وأن يذهب شرفهم ودينهم ، فبنى عامر لها جداراً .

(٣) الأضبط الذي يعمل بكلتا يديه ، والعسرة : الشدة . والقرن : الشديد في الحرب .

(٤) الحر القطامى : الصقر .

(٥) وكان تلوا لهاشم ، ويقال : كانا توأمين ، فولد هاشم ، ورجله في جهة عبد شمس ملتصقة ، فلم يقدر على نزاعها إلا بدم ، فكانوا يقولون : سيكون بين ولدهما دماء ، فكانت تلك الدماء ما وقع بين بني هاشم ، وبين بني أمية بن عبد شمس .

(٧ — السيرة النبوية)

ابن عبد مناف ، وأمه : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن مُهْشَمَة
ابن سُلَيم بن منصور بن عكرمة ، ونوفل بن عبد مناف ، وأمه : واقدة بنت عمرو المازنية .
مازن : بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : فهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن مُسَيْب بن
مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة .

قال ابن هشام : وأبو عمرو ، وتماضر ، وقلابة ، وحَيَّة ، ورَيْطَة ، وأم الأختم ،
وأم سفيان : بنو عبد مناف .

فأم أبي عمرو : رَيْطَة ، امرأة من ثقيف ، وأم سائر النساء : عاتكة بنت مرة بن هلال أم
هاشم بن عبد مناف . وأما صفية بنت حَوْزَة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن
بكر بن هوازن . وأم صفية : بنت عبد الله بن سعد العشيرة ^(١) بن مَذْحِج .

أولاد هاشم وأمهاتهم : قال ابن هشام : فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، وخمس
نسوة : عبد المطلب بن هاشم ، وأسد بن هاشم ، وأبا صَيْفِيَّ بن هاشم ، ونضلة بن هاشم ،
والشَّفاء ، وخالدة ، وضيعة ، ورقية ، وحية . فأم عبد المطلب ورقية : سلبى ^(٢) بنت
عمرو بن زيد بن لبید بن خدّاش بن عامر بن غَنَم بن عدی بن النجار . واسم النجار :
تَعِيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

وأما : عُميرة بنت صخر بن حبيب بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار . وأم
عميرة : سلبى بنت عبد الأشهل التجّارية . وأم أسد : قَيْثَلَة بنت عامر بن مالك الخزاعي .
وأم أبي صَيْفِيَّ وَحَيَّة : هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية . وأم نَضْلَة والشَّفاء :
امرأة من قضاة . وأم خالدة وضيعة : واقدة بنت أبي عدی المازنية .

(١) في هذا الكلام وهم لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج
إلا أقلها ، فيستحيل أن يكون في عصر هاشم من هو ابن له لصلبه ، ولكن هكذا رواه البرقي
عن ابن هشام ورواه غيره : بنت عبد الله من سعد العشيرة ، وهي رواية الغساني .
(٢) وأما : عُميرة بنت صخر المازنية ، وابنها : عمرو بن أُحَيَّة بن الجلاح ،
وأخوه : معبد ، ولدتها لأحبيحة .

أولاد عبد المطلب بن هاشم

أولاد عبد المطلب وأسماؤهم : قال ابن هشام : فولد عبد المطلب بن هاشم عشرة نفر ، وست نسوة : العباس ، وحزمة ، وعبد الله ، وأبا طالب — واسمه . عبد مناف (١) — والزبير (٢) ، والحارث ، وجحلا (٣) ، والمقوم (٤) ، وضرارة ، وأبا لهب (٥) — واسمه عبد العزى — وصفية ، وأم حكيم البيضاء ، وعاتكة ، وأمية ، وأروى ، وبرّة .

(١) وله يقول عبد المطلب :

أوصيك يا عبد مناف بعدى بمؤتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

(٢) الزبير ، وهو أكبر أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو الذي كان يُرقص النبي — صلى الله عليه وسلم — وهو طفل ، ويقول :

محمد بن عبدكم عشت بعيش أنعم
في دولة ومغم دام سجين الأزل

وبنته : ضباعة كانت تحت المقداد . وعبد الله ابنه : مذكور في الصحابة — رضى الله عنهم — وكان الزبير — رضى الله عنه — يكنى أبا الطاهر بابنه : الطاهر ، وكان من أطرف فتيان قريش ، وبه سُمي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ابنه الطاهر . وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة أنه مات ، فقال : بأى عقوبة كان موته ؟ فقيل : مات حنفاً لله ، فقال : وإن ، فلا بد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ، ففي هذا دليل على إقراره بالبعث .

(٣) جحلا : بتقديم الجيم على الحاء ، هكذا رواية الكتاب . وقاله الدارقطني هو : جحل بتقديم الحاء .

(٤) المقوم لم يعقب إلا بنتاً اسمها : هند .

(٥) واسمه : عبد العزى ، وكنى : أبا لهب لإشراق وجهه ، وكان تسمية من الله — تعالى — لمصار إليه من الذهب ، وأمه : لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بني ضاطرة بضاد منقوطة .

فأم العباس وضار : تكتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مائة
ابن عامر — وهو الضحيان — بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النخعير بن قاسط بن هنب
ابن أفضى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار. ويقال : أفضى بن دُعَمَى بن جديلة .

وأم حمزة والمقوم وجحشل — وكان يلقب بالفيداق لكثرة خيره ، وسعة ماله —
وصفية : هالة بنت أميب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ،

وأم عبد الله ، وأبي طالب ، والزبير ، وجميع النساء غير صفية : فاطمة بنت عمرو بن
عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأما : صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب
بن فهر بن مالك بن النضر .

وأم صخرة : تخمس بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن
فهر بن مالك بن النضر .

وأم الحارث بن عبد المطلب : سمراء بنت جندب بن جُحَير بن رماح بن حُبَيْب بن
شؤابة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة .

وأم أبي لهب : لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن كُصَاطِر بن حُبَشِيشة بن سلول بن كعب
ابن عمرو الخزاعي .

أصم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسرهما : قال ابن هشام فولد عبد الله بن عبد
المطلب : رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سيد ولد آدم ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
صلوات الله وسلامه وبركاته عليه وعلى آله .

وأمه : آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة^(١) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

(١) في المعارف لابن قتيبة : أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة ، وهذا منكر غير
معروف ، وإنما هو اسم جدم — كما قال ابن إسحاق : والزهرة في اللغة : إشراف في اللون ،
لأن لون كان من يباين أو غيره .

وأما : برة بنت عبد المُرزى بن عثمان بن عبد الدار بن هصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأما برة : أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأما أم حبيب : برة^(١) بنت عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله — صلى الله عليه وسلم — أشرف ، وله آدم حسبا ، وأفضلهم نسبا من قبل أبيه ، وأمه — صلى الله عليه وسلم .

حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

امتنع زمرم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : وكان من حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما حدثنا به زياد بن عبد الله الكاكي ، عن محمد بن إسحاق المطلبى : بينما عبد المطلب بن هاشم قائم في الحِجر ، إذ أتى فأمر بحفر زمزم ، وهى دفن بين صنمى قريش : لِساف ونائلة ، عند منحر قريش . وكانت جرم دفنتها حين ظنوا من مكة ، وهى : بئر إسماعيل بن إبراهيم — عليهما السلام — التى سقاها الله حين ظمى وهو صغير ، فالتفت له أمه ماء فلم تجده ، فقامت إلى الصفا تدعو الله ، وتستغيثه لإسماعيل ، ثم أتت

(١) ذكر فى آخر أمهاته صلى الله عليه وسلم : برة بنت عوف بن عُبيد بن عُويج بن عدى ومن كلهن قرشيات ؛ ولذلك وقف فى برة ، وإن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا : أم برة ، وأم أمها ، وأم أم الأم ، ولكنهن من غير قريش ، قال محمد بن حبيب : وأم برة : قِلابة بنت الحارث بن مالك بن طابخة بن صمصمة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل ، وأم قِلابة : أميمة بنت مالك بن غَسَنم بن لحيان بن غادية بن كعب ، وأم أميمة : دببة بنت الحارث بن لحيان بن غادية ، وأمها : بنت كهف الظلم من ثقيف ، وذكر الزبير قِلابة بنت الحارث ، وزعم أن أباه الحارث كان يكنى : أبا قِلابة ، وأنه أقدم شعراء هذيل .

المروءة فعلت مثل ذلك . وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام ، فهبز له بعقبه^(١) في الأرض ، فظهر الماء ، وسمعت أمه أصوات السباع تخافها عليه ، فجاءت تشتد نحوه ، فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت شدة ويشرب ، فجعلته حسياً^(٢)

امر جرهم ودفن زمزم

ولاية البيت من ولد إسماعيل : قال ابن هشام : وكان من حديث جرهم ، ودفنها زمزم ، وخروجها من مكة ، ومن ولي أمر مكة بعدها إلى أن حفر عبد المطلب زمزم ، ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي ، قال : لما توفي إسماعيل بن إبراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن إسماعيل — ما شاء الله أن يليه — ثم ولي البيت بعده : مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجرهمي .

(١) ولذلك زمزم تسمى : همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي ، ويقال فيها أيضاً : همزة جبريل ، لأنها همزة (أى نقرة) في الأرض ، وحكى في اسمها : زُمَازِمُ وزمزم . حكى ذلك عن المطرز ، وتسمى أيضاً : طعام طعم ، وشفاء سقم . وقال الجرجاني : سميت زمزم ، بزمزة الماء ، وهى صوته ، وقال المسعودي : سميت زمزم ؛ لأن القُرس كانت تخرج إليها في الزمن الأول ، فزمزمت عليها . والزمزة : صوت تخرجه القُرس من خياشيمها عند شرب الماء ؛ وقد كتب عمر — رضى الله عنه — إلى عماله : أن انهوا القُرس عن الزمزة ، وأنشد المسعودي :

زمزمت القُرس على زمزم وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقي عن ابن عباس — رضى الله عنه — أنها سميت : زمزم لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً ، ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء . وقال ابن هشام : والزمزة عند العرب : الكثرة والاجتماع .

(٢) الحسى : الحفيرة الصغيرة ، أو هو ما يختفى في الرمل ، فإذا نبش ظهر .

بنى جرهم وقطوراء: قال ابن إسحاق: وبنو إسماعيل، وبنو نابت مع جدهم: مضاض ابن عمرو وأخوالهم من جرهم^(١)، وجرهم وقطوراء^(٢) يومئذ أهل مكة، وهما ابناعم، وكانا ظعنا من الين، فأقبلا سيارة، وعلى جرهم: مضاض بن عمرو، وعلى قطوراء: السميديع^(٣) رجل منهم. وكانوا إذا خرجوا من الين لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم. فلما نزلوا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجر، فأعجبهما فنزلا به. فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم بأعلى مكة بقعة مسمية مان، فها حاز. ونزل السميديع بقطوراء، أسفل مكة بأجشيد، فها حاز: فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها، وكان السميديع يعشر من دخل مكة من أسفلها، وكل في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه. ثم إن جرهم وقطوراء بنى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مضاض يومئذ: بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دوز السميديع. فصار بعضهم إلى بعض، فخرج مضاض بن عمرو من قيعقان في كتيبته سائراً إلى السميديع، ومع كتيبته عُدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب، يقعق بذلك معه، فيقال ماسمي قيعقان: بقيعقان إلا لذلك^(٤). وخرج السميديع من أجيداء، ومعه الخيل والرجال:

(١) هو قحطان بن عامر بن شاخ بن أرخشذ بن سام بن نوح، ويقال: جرهم بن عابر، وقد قيل: لأنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة، وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تلم إسماعيل العربية. وقيل إن الله تعالى أنطقه بها إنطافاً، وهو ابن أربع عشرة سنة.

(٢) هو قطوراء: بن كركر.

(٣) هو السميديع بن هوثر — بناء مثلثة — قيدها البكري — ابن لاي بن قطورا بن كركر بن حلاق، ويقال: إن الزباء المملكة كانت من ذريته، وهى بنت عمرو بن أذينة ابن ظكرب بن حسان، وبين حسان وبين السميديع آباء كثيرة، ولا يصح قول من قال: إن حسان ابنه لصلبه، لبعده من الزباء من السميديع.

(٤) وقيل إنما سمي بهذا الاسم حين نزل ثبج مكة، ونحر عندها وأطعم، ووضع سلاحه وأسلحته جنده بهذا المكان، فسمى: قيعقان بقمعة السلاح فيه.

فيقال : ماسمى أجياد : إلا لخروج الجياد^(١) من الخيل مع السמידع منه . فالتقوا بفاضح ، واقتتلوا قتالا شديداً، فقتل السמידع ، وفوضت قطوراء . فيقال : ماسمى فاضح : فاضحا إلا لذاك . ثم إن القوم تداعوا إلى الصلح ، فساروا حتى نزلوا المطابيح : شعبا بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض . فلما أُجمع إليه أمر مكة ، فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم ، فأطبخ الناس وأكلوا ، فيقال : ماسميت المطابيح إلا لذلك . وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابيح ، لما كان تُسبغ نحر بها ، وأطعم ، وكانت منزله . فكان الذى كان بين مضاض والسמידع أول بنى كان بمكة فيما يزعمون .

انتشار ولد إسماعيل : ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة . وأخوانهم من جرم ولادة البيت والحكام بمكة ، لا يمتازهم ولد إسماعيل في ذلك لختواتهم وقرابتهم ، وإعظاما للحرمة أن يكون بها بنى أو قتال . فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل انتشروا في البلاد ، فلا يناوئون قوما إلا أظهرهم الله عليهم - بدينهم - فوطنهم .

بغى جرمهم ونفيهم عن مكة

بنو بكر وغبشان بطردون جرمهما : ثم إن جرمهما بنوا بمكة ، واستحلوا دخلا من الحرمة ، فظلموا من دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذى يُهدى لها^(٢) ، فرق

(١) لم يسم بأجياد من أجل جياذ الخيل ، كما ذكر لأن جياذ الخيل لا يقال فيها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جيد .

وذكر أصحاب الأخبار أن مُضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العاقلة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التوأمة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٢) فن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان احتفر بئرا قريبة القعشر عند باب الكعبة ، كان يلقى فيها ما يهدى إليها ، فلما فسد أمر جرم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ، ثم =

أمرهم . فلما رأَت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك ، أجمعوا الحربهم وإخراجهم من مكة ؛ فأذنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بكر وغبشان ، فنقوم من مكة . وكانت مكة في الجاهلية لا تقرر فيها ظلما ولا بنيا ، ولا يبغي فيها أحد إلا أخرجه ، فكانت تسمى : الناسة ، ولا يريد لها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه ، فقال : إنها ما سميت بك إلا أنها كانت تبك^(١) أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئا .

معنى بك : قال ابن هشام : أخبرني أبو عبيدة : أن بك اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يتباكون فيها ، أى : يزدحمون ، وألشدنى :

إذا الشريب أخذته أكة فخله حتى يسك بك

أى : فدعه حتى ييل بك إليه ، أى يخلها إلى الماء ، فزدحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذا البيت لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : فخرج عمرو بن الحارث بن مضا بن الجرمي بنزالي السكبة وبحجر الركن ، فدفعهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرم إلى اليمن ، لحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا ، فقال عمرو بن الحارث بن مضا بن ذلك^(٢) ، وليس بمضا إلا كبر :

== أرسلت على البئر حية لها رأس كراس الجدى ، سوداء المستن ، يبيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر السكبة ، وقامت في البئر — فيها ذكروا — نحواً من خمسمائة عام .

(١) أى تكسرم وتقصدعهم ، وقيل : من التباك ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككت العظم ، إذا اجتذبت ما فيه من المنخ ، وتمكك الفصيل ما في ضرع الناقة ، فكانت تجتذب إلى نفسها ما في البلاد من الناس والافوات التي تأتيها في المواسم .

وقيل : لما كانت في بطن واد ، فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول . ومن أسماء مكة أيضا : الرأس ، وصلاح ، وأم رُحَم ، وكوث .

(٢) وكان الحارث بن مضا بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جرم الجرمي قد نزل بقنوتى من أرض الحجاز ، فضلت له لابل ، فبغاها حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إليه ، فنادى عمرو بن لحي : من وجد جرميا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إليه تنحدر ، ويُنزَع لها ، فانصرف بائساً خائفا ذليلا ، وأبعد في الأرض ، وهى غربة الحارث بن مضا بن مضا التي تضرب بها المثل .

وقائلة والدمع مُبَادِر سَكْنَب
 كأن لم يكن بين الحُجُوجِ إِلَى الصفا
 فقلت لها والقلب منى كأنما
 بل نحن كنا أهلها ، فأزالنا
 وكنا ولادة البيت من بعد نابت
 ونحن ولينا البيت من بعد نابت
 ملكنا فمرزنا فأعظم بملكنا
 ألم تُسَكِّحُوا من خير شخص عابته
 فإن تَنَشَّشَن الدنيا علينا بحالها
 فأخرجنا منها المليك بقُدرة
 أقول إذا نام الخلى - ولم أنم
 وبُذِلَتْ منها أوجها لأحبها
 وصرنا أحاديثا وكنا بقبطة
 فسحت دموع العين تبكى لبلدة
 وتبكي لبيت ليس يُؤْذَى حمامه
 وفيه وحوش - لا تُثْرَام - أنيسة

وقد شرقت بالدمع منها المهاجر
 أليس ولم يسمر بمكة سامر (١)
 يُلْجَلِجُه بين الجناحين طائر
 صروف الليالي ، والجُدود العوائر
 لطوف بذاك البيت ، والخير ظاهر
 بعز ، فما يحظى لدينا المسكائر
 فليس لحى غيرنا شَم فآخر
 فأبناؤه منا ، ونحن الأصاهر (٢)
 فإن لها جالا ، وفيها التشاجر
 كذلك - ياللناس - تجرى المقادر
 : إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر (٣)
 بذلك عصفتنا السنون الغواير
 بذلك عصفتنا السنون الغواير
 بها حرم أمن ، وفيها المشاعر (٤)
 يظل به أمنا ، وفيه العصافر (٥)
 إذا خرجت منه ، فليست تغادر (٦)

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

- (١) الحُجُوجُ بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة .
- (٢) خير شخص : هو إسماعيل عليه السلام .
- (٣) عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل يُدُون لى عامر وطائفيل .
- (٤) المشاعر : أما كن التعبد فى الحج .
- (٥) أراد : العصافر ، وحذف الياء ضرورة ؛ ورفع العصافر على المعنى ، أى : وتأمين فيه العصافر ، وتظل به أمنا ، أى : ذات أمن ، ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل : ركنب جمع : راكب
- (٦) وبعد هذا البيت :

ولم يتربع واسطاً وجَنُوبه إلى السر من وادى الأراكه حاضر
 وأبدلنى ربي بها دار غربه بها الجوع باد ، والعدو المحاصر

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرا وغبشان ، وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم :

يا أيها الناس سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا (١)
 حشوا المطى ، وأرخو من أزمتها قبل الممات ، وقصصوا ماتقصونا
 كنا أناسا كما كنتم ، فقيرنا دهر ، فأنتم كما كنا تكونونا
 قال ابن هشام : هذا ماصح له منها . وحدثني بعض أهل العلم بالشعر : أن هذه الأبيات أول شعر قيل في العرب ، وأنها وجدت مكتوبة في حجر بالين (٢) ، ولم يسم لي قائلها .

(١) قصركم : نهايتكم .

(٢) ذكر السهيلي هذه الأبيات وقال : وألفت في كتاب أبي بحر سفيان بن العاصي خبرا لهذه الأبيات ، وأسند أبو الحارث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام البصري ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سليمان التمار ، قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة ، قال : وجد في بئر باليمامة ثلاثة أحجار ، وهي بئر كطسم وجديس في قرية يقال لها : معنق ، بينها وبين الحجر ميل ، وهم من بقايا عاد ، غزاهم تبع ، فقتلهم ، فوجدوا في حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

يا أيها الملك الذي	بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا	وعلا شئون الناس شأنه
أقصر عليك مراقبا	فالدهر مخذول أمانه
كم من أشمّ مُعَصَّب	بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما	ن ، وكان ذا خفض جناه
تجرى الجداول حوله	للجند مُتَرَعَّة جفانه
قد فاجأته منية	لم يُنَجِّه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده	عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يَمْلِيقُ به	يطحنه ، مُفترشا جرانه
والناس شتى في الهوى	كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة	والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد لفقى	ولقد يُشْرِفه بيانه

ووجدني الحجر الثاني مكتوبا أبيات :

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن عُبَيْشَانَ من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الذى يليه منهم : عمرو بن الحارث الغبشانى ، وقريش إذ ذاك حلول وصرم ، وبيوتات متفرقون فى قومهم من بني كنانة ، فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كإبرأ عن كابر ، حتى كان آخرهم حُليل بن حَبْشِيَّة بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى .
قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّة بن سلول .

كل	عِيش	تَعَلَّه	ليس	للدهر	خله
يوم	بُؤْسَى	وَنُعْمَى	واجـ	تباع	وقـ
حبنا	العِيش	والتكا	ئر	جمل	وضله
بيننا	المرء	ناعم	فى	قصور	مُظله
فى	ظلال	ونعمة	ساحبا	ذيل	حله
لا يرى	الشمس	مُلْغَضًا	رّة	إذ زل	زله
لم يُقْلها	، وبَدَأَتْ		عِزّة	المرء	ذله
آفة	العِيش	والنعم	سيم	كُرُور	الْأَهْلَة
وصل	يوم	بليلة	واعترض		بعله
والنبايا	جواثم		كالصقور	المدله	
بالذى	تكره	النفـ	وس	عليها	مُظله

وفى الحجر الثالث مكتوبا :

يأيها الناس سيروا إن قصركم
حُشُوا السَّمْطَى ، وأرخوا من أزمته
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا
أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
قبل الممات وقَضُوا ما تقضوننا
دهر فأنتم كما كنا تكونوننا

زوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

أولود قصي وهي : قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية بنته حبي ، فرغب فيه حليل فزوجه ، فولدت له عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدًا . فلما انتشر ولد قصي ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حليل .

مساعدة رزاح لقصى في تولي أمر البيت : فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر ، وأن قريشاً - رعة ^(١) لإسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلّم رجلاً من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سبيل ، وزهرة يومئذ رجل ، وقصى فطيم ، فاحتلمها إلى بلاده ، فحملت قصياً معها ، وأتام زهرة ، فولدت لربيعة رزاحاً . فلما بلغ قصي ، وصار رجلاً أتى مكة ^(٢) ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى مادعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوّه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رزاح بن ربيعة ، ومعه لإخوته : حسن بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجلسهم بن ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب ، وهم يجمعون لنصرة قصي . وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى بالكعبة ، وبالقيام عليها ،

(١) هكذا بالقاف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : فرعة بالقاف ، والقرعة بالقاف هي : نخبة الشئ ، وخياره ، وقريع الإبل : خلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمّي من العرب بالأقرع .

(٢) كان قصي رضيماً حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة ، فلشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاماً يَفْعَةً أو حَزَوّاً (دون البلوغ) سابه رجل من قضاة ، فبيده بالدعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا ملصق ، فدخل على أمه ، وقد وجم لذلك ، فقالت له : يا بني صدق ، لأنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباؤك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشي ، وأخوك وبني عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل في سيارة حتى أتى مكة ، والمعروف أن اسمه : زيد ، وإنما كان قصياً أي بعيداً عن بلده فسمى : قصياً .

وبأمر مكة من خزاعة ، فعند ذلك طلب قصي ما طلب^(١) ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ،
فالله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر إلى الإجازة للناس بالحج من عرفة ،
وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة^(٢)

(١) وذكر المؤرخون أسبابا لانتقال ولاية البيت إلى قصي وهو أن حُمَيْلًا كان يُعطى مفاتيح
البيت ابنته حَبِي ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصي ربما أخذها في بعض الأحيان ،
ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبى خزاعة أن تُسَمِّى
ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم .
ويذكر أيضا أن أبا غُبُشَّان من خزاعة ، واسمه : سليم - وكانت له ولاية الكعبة -
باع مفاتيح الكعبة من قصي بـ ١٠٠ شاة ، فقيل : أخسر من صفقة أبي غُبُشَّان ، ذكره المسعودي
والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد
نزار ، وبنت فيه إِيَادَ أخرجتهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم عن مكة ، فعمدوا في الليل
إلى الحجر الأسود ، فاقتلعوه ، واحتملوه على بعير فريزج البعير به ، وسقط إلى الأرض ،
وجعلوه على آخر ، فريزج أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفتوه وذهبوا ،
فلما أصبح أهل مكة ، ولم يرووه ، وقعوا في كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بصُرت
به حين دفن ، فأعلت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاية البيت أن يتخلصوا
لهم عن ولاية البيت ، ويدلوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ، فن هالك صارت ولاية البيت لخزاعة
إلى أن صيرها أبو غُبُشَّان إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير . (عن الروض الأنف)

(٢) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله ،
أو قام بشيء من خدمة البيت ، أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم : صوفة وصوفان . قال أبو
عبيدة : لأنه بمنزلة الصوف ، فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ، ليسوا من قبيلة واحدة .
وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلابي =

وإنما ولي ذلك الغوث بن مر ، لأن أمه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لاتلد . فنذرت
لله إن هي ولدت رجلاً: أن تكسِّدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت ،
فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم ، فولد الإجازة بالناس
من عرفة ، لمكانه الذي كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مر بن
أدولفاه نذر أمه :

إني جعلتُ رب من بنيه رَبيطةً بمسكة العلية
فباركني لي بها . أليته واجعله لي من صالح البرية
وكان الغوث بن مر - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال :
لاهم إني تابع تبَّاعه إن كان لائم فعلى قضاءه^(١)

صوفة ورعى الجمار : قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :
كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجنين بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر
أتوا لرمى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرمى معك ، فيقول لا والله ، حتى تميل الشمس ،
فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالجاراة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون

== قال : إنما سمي الغوث بن مر : صوفة ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولد ، فنذرت : إن عاش
لتعلقن برأسه صوفة ، ولتجعلنه رَبيطاً للكعبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده ،
وهو : الربيط .

وحدث إبراهيم بن المنذر عن عمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عقاب بن شبيب
قال : قالت أم تميم بن مر - وولدت لسرة - فقالت : لله علي . لئن ولدت غلاماً لأعبدته
للبيت ، فولدت الغوث ، وهو أكبر ولد مر ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحر ، فمرت به -
وقد سقط وذوى واسترخى فقالت : ما صار ابني إلا صوفة ، فسمى صوفة .

(١) سبب قوله: إن كان إنما فعلى قضاة ، إنما خص قضاة بهذا ؛ لأن منهم عليلين يستحلون
الأشهر الحرم ، كما كانت خشم وطى . تفعل ، وكذلك كانت النساء تقول إذا حرمت صفراً
أو غيره من الأشهر بدلاً من الشهر الحرام - يقول قائلهم: قد حرمت عليكم الدماء لإلداماء المحلّين .

له : ويلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالبت الشمس ، قام فرمى الناس معه . قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمي الجمار ، وأرادوا النفر من منى ، أخذت صوفة بجنابي العقبة ، فحبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجر أحد من الناس حتى يروا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، خلى سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم بالقعد (١) بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحارث بن شجينة .

نسب صفوان بن جناب : قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجينة : عطارد بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

صفوان وبنوه وإجازتهم للناس بالحج : قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذى يميز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذى قام عليه الإسلام ، كرب بن صفوان . وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى :

لا يبرح الناس ما حجوا مُغرَّفهم حتى يقال : أجزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت فى قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

زور الأصبع يذكر هذه الإفاضة : وأما قول ذى الإصبع العندوانى ، واسمه حرثان بن عمرو ، وإنما سمي ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها :

عذير الحى من عدوان كانوا حية الأرض (٢)

(١) أى بالقرابة ، وذلك أن سعدا هو : ابن زيد مناة بن تميم بن عامر .

(٢) يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادى ؛ إذا كان مهيباً يُذعر منه ، كما قيل :

يا مُحْكَم بن طفيل قد أتيح لكم لله در أيبكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وعذير الحى من عدوان . نصب عذيراً على الفعل المتروك لإظهاره ، كأنه يقول : هاتوا

عذيره ، أى : من يعذره ، فيكون العذير بمعنى : العاذر ، ويكون أيضاً بمعنى : العذر مصدره . كالحديث ونحوه .

بني بعضهم ظلنا فلم يُرْمَعْ علي بعض
ومنها كانت السادا ت والمرفون بالقرض
ومنها من يميز لنا س بالسنة والقرض
ومنها حكم يقضى فلا يُنْقَض ما يقضى

أبو سياره يقضى بالناس : وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإفاضة من المزدلفة كانت في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كابرأ عن كابر ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سياره ، عُصَمَيْلَةُ بن الأعزل ،^(١) نفيه يقول شاعر من العرب :

نحن دفعنا عن أبي سياره وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره
قال : وكان أبو سياره يدفع بالناس على أتان له ؛ فلذلك يقول : وسالما حماره ،^(٢).

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

ابن الظرب ماكم العرب : قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعني : عامر بن ظرب ابن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان العدواني . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة^(٣) ،

(١) وقال غير ابن إسحاق : اسمه : العاصي . قاله الخطابي : واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ،
(٢) كانت له أتان عوراء خطامها ليف ، يقال : إنه دفع عليها في الموقف أربعين سنة ، ولماها يعني الراجز في قوله :

حتى يميز سالما حماره

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لا همم مالي في الحمار الأسود أصبحت بين العالمين أحمس
فتي أبا سياره المحسند من شر كل حاسد إذ يحسد

(٣) النائرة : الكائنة الشنيعة بين القوم .

ولا عضة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه، ثم رضوا بما قضى فيه، فاختموا فيه، فاختصم إليه في بعض ما كانوا يختلفون فيه، في رجل خنثى، له مال للرجل، وله مال للمرأة، فقالوا: أئجله رجلاً أو امرأة؟ ولم يأتوه بأمر كان أعزل منه. فقال: حتى أنظر في أمركم، فوالله ما نزل بي مثل هذه منكم يا معشر العرب! فاستأخروا عنه؛ فبات ليلته ساهراً يقاب أمره، وينظر في شأنه، لا يتوجه له منه وجه. وكانت له جارية يقال لها: سُخَيْلَة ترعى عليه غنمه، وكان يعاتبها إذا مرحت فيقول: صَبَّحتِ والله يا سُخَيْل! وإذا أراحت عليه، قال: مسَّيتِ والله يا سُخَيْل! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس. فلما رأت سهره وقلقه، وقلة قراره على فراشه قالت: مالك لا أبالك! ما عراك في ليلتك هذه؟ قال: ويلك! دعني، أمر ليس من شأنك، ثم عادت له بمثل قولها، فقال في نفسه: عسى أن تأتي بما أنا فيه بفرج، فقال: ويحك! اختصم إلي في ميراث خنثى، أئجله رجلاً أو امرأة؟ فوالله ما أدرى ما أصنع، وما يتوجه لي فيه وجه؟ قال: فقالت: سبحان الله! لا أبالك! أتبع القضاء المعبال، أقعده، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل، وإن بال من حيث تبول المرأة، فهي امرأة. قال: مَسَى سُخَيْل بعدها أوصبني، فرجستها والله! ثم خرج على الناس حين أصبح، فقضى بالذي أشارت عليه به (١).

غالب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قریش

ومعونة قضائه له

قصي يتقلب على صوفة: قال ابن إسحاق: فلما كان ذلك العام، فعلت صوفة كما كانت تفعل، وقد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم. فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قریش وكنانة وقضاة عند العقبة، فقال: لنحن (١) وهو حكم معمول به في الشرع، وهو من باب الاستدلال بالآمارات والعلامات، وله أصل في الشريعة، قال الله سبحانه: «وجاءوا على قيصه بدم كذب»، وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لانياب الدائب، وكذلك قوله: «إن كان قيصه قد من قبل، الآية، وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في المولود: «إن جاء به أورك جعداً جعماً ليساً فهو للذي رميت به».

أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبيهم قصي غلب ما كان بأيديهم من ذلك .

قصي يقاتل خزاعة وبني بكر : وانحازت عند ذلك خزاعة وبني بكر عن قصي ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبني بكر فالتقوا ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يحكموا بينهم رجلاً من العرب ، فحكوا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ففضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر : موضوع يشدخه تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبني بكر من قريش وكنانة وقضاعة ، ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة .

فسمى يعمر بن عوف يومئذ : الشداخ^(١) ، لما شدخ من الدماء ووضع منها .

قصي ينزلي أمر مكة : قال ابن إسحاق : فولى قصي البيت وأمر مكة ، وجمع قومه من منازلهم إلى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، إلا أنه قد أفرل العرب ما كانوا عليه ، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره ، فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة ابن عوف على ما كانوا عليه ، حتى جاء الإسلام ، فهدم الله به ذلك كله . فكان قصي أول بني كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ، والسقاية ، والرفادة ، والندوة^(٢) ، واللواء ، فحاز شرف مكة كله ، وقطع مكة رباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها . ويزعم الناس أن قريشاً هابوا قطع شجر الحرم في

(١) ويعمر الشداخ هو جد بني دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الاخبار والأساب وهم عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، وأبوه : يزيد ، وحذيفة بن دأب ، ودأب هو : ابن كرز ابن أحر من بني يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خزاعة ، أي : أبطلها ، وأصل الشدخ : الكسر والفضخ ، ومنه الفرسة الشادخة ، شبت بالضربة الواسعة .

(٢) وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ التدي . والنادي والمنتدي : وهو مجلس القوم الذي يسندون حوله ، أي : يذهبون قريباً منه ، ثم يرجعون =

مهازلهم ، فقطعها قصى بيده ، وأعوأه (١) فسمته قريش : بمحما لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تسكح امرأة ، ولا يتزوج رجل من قريش ، وما يتشاورون في أمر نزل بهم ، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا في داره ، يعقده لهم بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره ، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ، ثم ينطلق بها إلى أهلها . فتمكن أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد موته ، كالدِّين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها : قال ابن هشام : وقال الشاعر :

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فِهر

== إليه ، والتندية في الخيل : أن تصرف عن الورد إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشرب ، وهو المندى ، وهذه الدار تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية في ذلك ، وقال : أبعث مكرمة آبائك وشرفهم ؟ فقال حكيم : ذهبت المكارم إلا التقوى . والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر ، وقد بعثت بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن نمنها في سبيل الله ، فأينا المغبون ؟ ذكر خبر حكيم هذا : الدارقطني في أسماء رجال الموطأ له .

(١) قال الواقدي : الأصح في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى : كيف نصنع في شجر الحرم ، فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دوراً بقيقمان ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة وكذلك يروى عن عمر — رضى الله — أنه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فقطعها عمر — رضى الله عنه — ووداها بقرة ، ومذهب مالك — رحمه الله — في ذلك : الأبدية في شجر الحرم . قال : ولم يلبث في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعى — رحمه الله — فجعل في الدوحة بقرة ، وفيها دونها شاة . وقال أبو حنيفة — رحمه الله — إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالنأ ما بلغت .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب — وهو خليفة — حديث قصي بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه وإخراجه خراعة وبني بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .

شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة : قال ابن إسحاق : فلما فرغ قصي من حربه ، انصرف أخوه رزاح بن ربيعة إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رزاح في إجابته قصيا :
لما أتى من قصي رسول فقال الرسول : أجيئوا الخليل
نهضنا إليه نفود الجياد ونطرح عنا المكول الثقيل
نسير بها الليل حتى الصباح ونكفي النهار ؛ لثلا نزولا (١)
فهن سراع كورد القسطا يُسجبن بنا من قصي رسولا
جمعنا من السر من أشمذين ومن كل حي جمعنا قبيل (٢)
فيالك حلبة ما ليلة تزيد على الألف سيماً رسيلا (٣)
فلما مررن على عسجر وأسهن من مستناخ سيلا (٤)
وجاوزن بالركن من وكرقان وجاوزن بالعرج حيا حلو (٥)
مررن على الحيل ما ذقنه وعالجن من مر ليلا طويلا (٦)

(١) نكفي النهار ، أي : نكن ونستتر ، والكيمى من الفرسان ، الذي تكسى بالحديد . وقيل : الذي يكسى شجاعته ، أي : يسترها ، حتى يظهرها عند الوغى .

(٢) الأشمذان : جبلان ، ويقال : اسم قبيلتين .

(٣) الحلبة : الجماعة من الحيل ، والسيب : المشي السريع . والرسيل : الذي فيه تميل : أي تمشي سراعاً ولكن في رفق كما تزحف الحية .

(٤) عسجر : اسم موضع .

(٥) العرج : واد ناحية الطائف . وفيه جبل من أعظم الجبال ، وذكروا أن فيه أوشالا وغيونا عذابا ، وسكانه : بنو أوس بن مزينة .

(٦) الحيل : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الكتاب روايتين ، إحداهما : مررن على العجل والأخرى : مررن على الحلى ، فأما الحل : لجمع حلة ، وهي بقلة شاككة . ذكره ابن دريد في الجهرة . وأما الحلى ، فيقال : لأنه ثمر الثقلان وهو نبت .

نُدَقِي من العوذ . أفلاهما إرادة أن يسترقن الصيلا (١)
 فلما اتينا إلى مكة أحبنا الرجال قبلا قبلا
 معاورهم ثم حد السيوف وفي كل أوب خلطنا العقولا
 نخبزم بصلاب النسو رخبز القوى العزيز الذيلا (٢)
 قتلنا خراعة في دارها وبكراً قتلنا وجيلاً لجيل
 نفيتهم من بلاد الملوك كما لا يحلون أرضاً سهولاً
 فأصبح سيهم في الحديد ومن كل حي شفيناً الغليلاً

سعر ثعلبة القضاعى في هذه القصة : وقال ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن مذييم القضاعى في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيل مضرة تَعَالَى من الأعراف أعراف الجناب (٣)
 إلى عَمُورَى تَهَامَةَ ، فالتقينا من القياف في قاع يباب
 فأما صوفة الخنثى ، نظلوا منازلهم محاذرة الضراب
 وقام بنو علي إذ رأونا إلى الأسياف كالإبل الطراب (٤)

سعر قصي : وقال قصي :

أنا ابن العاصمين بنى لوى بمكة منزلى ، وبها ربيت
 إلى البطحاء قد علمت معد ومروتها رضىت بها رضىت
 فلت لغالب إن لم قُتِل بها أولاد قيذر ، والنبيت
 رزاح ناصرى ، وبه أَسَامَى فلت أخاف ضيماً ما حيت

(١) العوذ : الفرس التى لها أولاد . والأفلاء : جمع فلو المهر العظيم .

(٢) نخبزهم : أى : لسوقهم سوقاً شديداً .

(٣) تعال : ترتفع في سيرها . والأعراف : الرمل المرتفع . والجناب : موضع ببلاد قضاة .

(٤) بنو علي ، وهم بنو كنانة ، وإنما سماوا بنى علي ؛ لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيباً لعلي
 ابن مازن من الأزد جد سطيج الكاهن ، فقبل لبني كنانة : بنو علي ، وأحسبه أراد في هذا
 للبيت بنى بكر بن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خراة .

فلما استقر رزاح بن ربيعة في بلاده ، نشره الله ونشر حسنا ، فهما قبيلة عذرة (١) اليوم . وقد كان بين رزاح بن ربيعة ، حين قدم بلاده ، وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم (٢) ، وهما بطنان من قضاة شيء ، فأخافهم حتى لحقوا باليمن ، وأجلوا من بلاد قضاة ، فهم اليوم باليمن ، فقال قصي بن كلاب ، وكان يحب قضاة ونمائها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رزاح من الرحم ، ولبلاتهم عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ما صنع بهم رزاح :

ألا من مبلّغ عني رزاحا فإني قد لحيتك في اثنتين
لحيتك في بني نهد بن زيد كما فرقت بينهم وبني
وحوتكة بن أسلم إن قوما عنوم بالمساء قد عنوني

قال ابن هشام : وتروى هذه الآيات لزهير بن جناب الكلبي .

قصي بفضل عبد الدار على سائر ولده : قال ابن إسحاق : فلما كبر قصي ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكره ، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعبد العزى وعبد . قال قصي لعبد الدار : أما والله يابني لألحقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد لقریش لواء الحربها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قریش أمرا من أمورها إلا في دارك ، فأعطاه داره دار الندرة ، التي لا تقضى قریش أمرا من أمورها إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

(١) في قضاة : عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب بن وبرة . وعذرة ابن سعد بن سواد بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة .

(٢) وليس في العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قضاة ، وهما : أسلم بن الحاف هذا ، وأسلم بن تدول بن تميم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب ، والثالث في عك : أسلم بن القياطة بن غابن بن الشاهد بن عك ، وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١٥٣

والرفادة : وكانت الرفادة خمرًا جاتخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي ابن كلاب ، فيصنع به طعاما للحاج ، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد ، وذلك أن قصيا فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، لأنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل الحرم ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرا با أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم ، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خمرجاً ، فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاما للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ، فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قصي بن كلاب ، وما قال لعبد الدار فيادفع إليه مما كان بيده : أبو إسحاق بن يسار ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار يقال له : نسيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال الحسن : فجعل إليه قصي كل ما كان بيده من أمر قومه ، وكان قصي لا يخالف ، ولا يرد عليه شيء صنعه .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي وحلف المطيبين

المزاع بين بنى هب الدار وبني أعماصهم : قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمره في قومه وفي غيرهم - بنوه من بعده ، فأختطوا مكة رباعاً — بعد الذى كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم ، وفي غيرهم : من حلفائهم ويبيعونها . فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بنى عبد مناف بن قصي : عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بنى عبد الدار بن قصي عما كان قصي جعل إليه عبد الدار ، من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم . ثم في قومهم ، ففرقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بنى عبد مناف على رأيهم ؛

يرون أنهم أحق به من بنى عبد الدار لمكانهم في قومهم، وكانت طائفة مع بنى عبد الدار، يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصى جمل إليهم .

فكان صاحب أمر بنى عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان أسن بنى عبد مناف . وكان صاحب أمر بنى عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

حلفاء بنى عبير المرار وحلفاء بنى أمهمهم : فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بنى عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، وبنو عدى بن كعب ، مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لؤى ومحارب بن فهر، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فمعد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بل بحر صوفة . فأخرج بنو عبد مناف جفنة ملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عبد مناف (١) ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاهدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسموا المطيبين . وتعاهد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأحلاف .

تقسيم القبائل في هذه الحرب : ثم سوند (٢) بين القبائل ، ولز (٣) بعضها ببعض ، فعبئت .

(١) وقد سماها الزبير في موضعين من كتابه ، فقال : هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وتوأمة أبيه .

(٢) سوند : من السناد ، وهي المقابلة في الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرف الروى حرف مدولين ، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الروى حرف لين ، وهي ياء أو مفتوح ما قبلها .

(٣) لز : شد .

بنو عبد مناف لبني سهم ، وعييت بنو أسد لبني عبد الدار ، وعييت زهرة لبني مُجَمِّح ، وعييت بنو تميم لبني غزوم ، وعييت بنو الحارث بن فهر لبني عدى بن كعب . ثم قالوا : لنفخن كل قبيلة من أسند إليها .

تصالح القبائل : فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتجاوز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا . فلم يزلوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « ما كان من حلف في الجاهلية ، فإن الإسلام لم يزد له إلا شدة » .

حلف الفضول

سبب تسميته : قال ابن هشام : وأما حلف الفضول (١) فحدثني زياد بن عبد الله السكاني عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن

(١) ذكر ابن قتيبة سبب تسمية هذا الحلف ؛ فقال : كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول ، فتحالف منهم ثلاثة هم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضل بن فضالة ، والثاني : الفضل بن وداعة ، والثالث : فضيل بن الحارث . هذا قول القتيبي . وقال الزبير : الفضيل بن مشرعة ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن قضاة ، فلما أشبه جاف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سُمي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فضول ، وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن .

ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحُمَيْدِيُّ عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر ، قالوا : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت به في الإسلام لأجبت . » تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يَـزُـظَّـلَ مظلوماً . ورواه في مسند الحارث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي ، فقد بين هذا الحديث : لم سمي حلف الفضول .

وكان حلف الفضول بعد الفِـجْـجَار ، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان ، وكان حلف =

جُددعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى ، لشرفه وسنه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسَد بن عبد العُزَّى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتماهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر ابن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

== الفضول في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة .

وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول من تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سيبه أن رجلاً من زُبيد قدم مكة ببضاعة ، فاشترأها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قدر بمكة وشرف ، فحبس عنه حقه ، فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف : عبد الدار وعزوماً وجمح وسهناً وعدى بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، ووزبروه ، أى : اتهموه ، فلما رأى الزبيدي الشر ، أوفى على أبي قُبَيْس عند طلوع الشمس ، وقريش في أندية حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بيطن مكة نائى الدار والنفر
ومُحرم أشعث لم يقض عمرته يا لكرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر المُعْدَر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا متترك ، فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جُددعان ، فصنع لهم طعاماً ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهر حرام قياماً ، فتعاقدوا ، وتماهدوا بالله : ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم ، حتى يسودى إليه حقه ما بل ببحر صوفة ، وما رسا حراء وثبير مكانهما ، وعلى الناس في المعاش ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ، ثم مشوا إلى العاصي ابن وائل ، فانتزعوا منه سلعة الزبيدي ، فدفعوها إليه .

« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان ^(١) حلفاً ، ما أحب أن لي به حر النعم ، ولو قد دعى به في الإسلام لأجبت » .

الحسين يهزم الوليد بالدعوة إلى إحياء الحلف : قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله ابن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان — والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أسره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان — منازعة في مال كان بينهما بذى المروة ، فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه — لسلطانه — فقال له الحسين : أحلف بالله لتصفى من حتى ، أو لآخذن سبني ، ثم لأقومن في مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين — رضي الله عنه — ما قال : وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سبني ، ثم لأقومن معه ، حتى يُتصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسسور بن مخزومة بن نوفل الزهري ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة ألصف الحسين من حقه حتى رضي .

مخرج بني عبد شمس وبني نوفل من الحلف : قال ابن إسحاق وحدثني : يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : قدم محمد بن

(١) وعبد الله بن جدعان هذا تيسمى هو : ابن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة — رضي الله عنها — ولذلك قالت لرسول الله — صلى الله عليه وسلم : إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ، ويقرى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا لأنه لم يقل يوماً : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم .

قال ابن قتيبة : وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبي ، ففرق فيها ، ومدحة أمية بن أبي الصلت فقال :

له داع بمكة مُشْتَمَعِلٌ وآخر فوق كعبتها ينادي
إلى رُدْح من الشَّيْزَى عليها باب البر يُكَبِّك بالشهاد

جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد بن جبير أعلم قریش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم تكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت .

هاشم يتولى الرقادة والسقاية : قال ابن إسحاق : فولى الرقادة والسقاية : هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سفاراً فلما يقيم بمكة . وكان مقلداً ولده ، وكان هاشم موسراً فكان - فيما يزعمون - إذا حضر الحج ، قام في قریش فقال : د يا معشر قریش ، إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة : ضيفه ، فاجمعوا لهم ماتصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها ، فإنه - والله - لو كان مالى يسع لذلك ما كلفتكموه ، فيخرجون لذلك سخرجاً من أموالهم ، كل امرئ بقدر ماعنده ، فيصنع به للحجاج طعاماً ، حتى يصدروا منها .

أفضال هاشم على قومه : وكان هاشم - فيما يزعمون - أول من سن الرحلتين لقریش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عمرأ ، فاسمى هاشماً إلا بهشمه الخبز بمكة لقومه^(١) ، فقال شاعر من قریش أو من بعض العرب^(٢) :

(١) سمي هاشماً لهشمه الثريد لقومه ، والمعروف في اللغة أن يقال : ثردت الخبز ، فهو ثريد ومثروء ، فلم يُسمَ : ثارداً ، وُسمي هاشماً ، وكان القياس - كما لا يسمى الثريد هاشماً ، بل يقال فيه : - ثريد ومثروء - أن يقال في اسم الفاعل أيضاً كذلك ، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان . ذكر أصحاب الأخبار أن هاشماً كان يستعين على إطعام الحاج بقریش ، فيردونه بأموالهم ، ويعينونه ، ثم جاءت أزمة شديدة فكره أن يكاف قریشاً أمر الرقادة ، فاحتل إلى الشام بجميع ماله ، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقاً ، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هشماً ، ودقه دقاً ، ثم صنع للحجاج طعاماً شبه الثريد ، فبذلك سمي هاشماً ، لأن الكعك اليابس لا يثرد ، وإنما يهشم هشماً .

(٢) هو ابن الزبعرى وسبب هذا المدح ، وهو سهمى - أى من بنى سعد بن سهم . ابن عبد =

عمرو الذى هشم الثريد لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما سفر الشتاء ، ورحلة الإيلاف ؛
قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز :
قوم بمكة مسنتين عجاف

المطلب على الرفافة والسقاية : قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من
أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر
من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف فى قومه وفضل ، وكانت قريش إنما تسميه : الفيض ؛
لسماحته وفضله .

زواج هاشم بن عبد مناف : وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة ، فتزوج سلمى
بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار (١) ، وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش (٢) .
قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جحجج بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن
مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أحيحة ، وكانت لاتكح الرجال لشرفها فى قومها حتى
يشرطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقت .

== مناف — فيما ذكره ابن إسحاق فى رواية يونس — أنه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه فى
أستار الكعبة ، أوله :

ألمحى قصصاً عن المجد الأساطير ومشية مثل ما تمشى الشقارير
فاستعدوا عليه بنى سهم ، فأسلبوه لإلهم ، فضربوه وحلقوا شعره ، وربطوه إلى صخرة
بالحجون ، فاستغاث قومه فلم يغيثوه ، فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم ، فأطلقه بنو عبد مناف
منهم ، وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر ، وبأشعار كثيرة .

(١) ومن أجل هذا النسب قال سيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن
لعبد المطلب حين وفد عليه فى ركب من قريش : مرحباً بابن أختنا ، لأن سلمى من الخزرج ،
وهم من اليمن من سبأ ، وسيف من حمير بن سبأ .

(٢) قال الدارقطنى عن الزبير بن أبى بكر : إن كل ما فى الانصار فهو : حريس بالسين غير
معجمة إلا هذا ،

سبب تسمية عبد المطلب باسمه : فولدت له هاشم : عبد المطلب ، قسمته شيبية ، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً (١) أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضه ، فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لست بمرسلة معك ، فقال لها المطلب : إني غير منصرف حتى أخرج به معي ، إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ؛ نلى كثيراً من أمرهم ، وقومه وبلده وعشيرته خير له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبية لعمة المطلب - فيما يزعمون - لست بمفارقة إلا أن تأذن لي ، فأذنت له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مردفه معه على بعيره ، فقالت قريش : عبد المطلب ابتاعه ، فيها سمى شيبية : عبد المطلب . فقال المطلب : ويحكم ! إنما هو ابن أخي هاشم ، قدمت به من المدينة .

وفاء المطلب : ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب ييكه :
 قد ظمى الحجيج بعد المطلب بعد الجفان والشراب المشتغيب
 ليت قريشا بعده على نكص

مطروود يبكى المطلب وبني عبد مناف : وقال مطروود بن كعب الخزاعي ، يبكى المطلب وبني عبد مناف جميعاً حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هلكاً :

ياليلة هيّجت ليلاق	لأحدى ليالى القسيات (٢)
وما أفاسى من هموم ، وما	عالت من رزم المنيات
إذا تذكرت أخى نوفلاً	ذكرنى بالأوليّات
ذكرنى بالأزورِ الحرِّ والـ	أردية الصفر القشيات
أربعة كلهم سيد	أبناء سادات لسادات

(١) الوصيف : الغلام دون المراهقة ،

(٢) القسيات : فصيلات من القسوة : أى : لا ابن عندهن ، ولا رافة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسسى ، وهو الزائف ، وقد قيل في الدرهم القسى : إنه أعجمي معرب ، وقيل : هو من القساوة لأن الدرهم الطيب ألين من الزائف ، والزائف أصله منه . ونصب ليلة على التمييز .

ميت برذمان وميت بسا	مان وميت بين سغرات ^(١)
وميت أسكن لحدأ لدى الـ	محبوب شرقي البليسات ^(٢)
أخلصهم عبد مناف فهم	من لوم من لام بمنجاة
إن المغيرات وأبناءها	من خير أحياء وأموات ^(٣)

اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا : وكان اسم عبد مناف : المغيرة ، وكان أول بني عبد مناف هلكا : هاشم ، بغزة من أرض الشام ، ثم عبد شمس بمكة ، ثم المطلب برذمان من أرض اليمن ، ثم توفلا بسلمان من ناحية العراق .

مهمر آخر مطرود : فقيل لمطرود - فيما يزعمون - لقد قلت فأحسنت ، ولو كان أفحل عما قلت كان أحسن ، فقال : أنظروني ليالي ، فكث أيا ما ، ثم قال :

يا عين جودي ، وأذرى الدمع وانهمري	وابكى على السر من كعب المغيرات
يا عين ، واسحنفري بالدمع واحتفلي	وابكى خبيثة نفسى فى الملمات ^(٤)
وابكى على كل فياض أخى ثقة	ضخم الدسيسة وهاب الجزيلات ^(٥)
محض الضريبة ، على الهمة ، محتلقي	جلد التحيزة ، ناء بالعظيات ^(٦)

(١) بغرات . هى : غرة ، ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غرات فى غرة ، ويقولون فى بغداد : بغادين ، كما قال بعض المحدثين :

شربنا فى بغادين على تلك الميادين

(٢) البليسات يعنى : البنية ، وهى : الكعبة ، وهو نحو ما تقدم فى غرات .

(٣) المغيرات : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة فى بنى المنذر ، والأشعرون فى بنى أشعر بن أدد .

(٤) اسحنفري : أديمى .

(٥) ضخمة الدسيسة : كثير العطاء .

(٦) الضريبة : الطبيعة أى عظيم الخلق . ناء بالعظيات . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء ينوء إذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل ، كما هو فى جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التى بعد الهمزة هى : عين الفعل فى ناء يجى .

صعب البديهة لا تكس ولا وكل
حقر توسط من كعب إذا تُسبوا
ثم اندب الفيض والفيض مُطلبا
أُمسى بردمان عنا اليوم مغتربا
وابكى - لك الويل - إما كنت باكية
وهائم في ضريح وسط بلقعة
وتوفل كان دون القوم خالصي
لم ألق مثلهم مُصجعا ولا عربا
أُمسى ديارهم منهم معطلة
أفنام الدهر ، أم كنت سيوفهم
أصبحت أرضى من الأفوام بعدهم
يا عين فابكى أبا الشعث الشجيات

ماضى العزيمة ، متلاف الكريكات (١)
بُججوة المجد والشَّم الرفيعات
استخرطى بعد فيضات بجمات (٢)
يا لحف نفسى عليه بين أموات
لعبد شمس بشرق الثنيات
تسنى الرياح عليه بين غرات
أُمسى بسلطان في رمس بمومة (٣)
إذا استقلت بهم أدم المطيات (٤)
وقد يكونون زينا في السريات (٥)
أم كل من عاش أزواد المنيات
بسط الوجوه وإلقاء التحيات
يسكينه حمرا مثل البليات (٦)

(١) النكس : الدنى (٢) استخرطى : استكثرى (٣) المومة : الفقر
(٤) الأدم : الإبل السكرام (٥) السريات : جمع سرية ، الجماعة من الجيش
(٦) شدد اليا من الشجيات ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا : ياء الشجى مخففة ،
رياء الخلى مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أن تمام الطاقى في قوله :
أيا ويح الشجى من الخلى ويوح الدمع من إحدى بلى
واحتج بقول يعقوب في ذلك ، فقال له الطاقى : ومن أفصح عندك : ابن الجبرمقانية
يعقوب ، أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :

ويل الشجى من الخلى فإنه رَصِبَ الفؤاد بشجوه مغموم
وبيت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبى الأسود الدؤلى ، لأنه جاهل محكك ، وأبو
الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من التوليد ، ولا يتمتع في القياس أيضا أن يقال :
شجى وشج ، لأنه في معنى : حزن وحزين ، وقد قيل : من شدد اليا ، فهو فعيل بمعنى مفعول ،
والبليات مفردا البليّة : الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت جوعا وعطشا ،

يُكِينُ أَكْرَمَ . من يمشى على قدم
يَكِينُ شَخْصاً طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ
يَكِينُ عَمْرٍو الْعَلَا إِذْ حَانَ مَصْرَعُهُ
يَكِينُهُ مُسْتَكِينَاتٍ عَلَى تَحْزَنٍ
يَكِينُ لَمَّا بَجَلَاهُنِ الزَّمَانُ لَهُ
عِزَّمَاتٍ عَلَى أَوْسَاطِهِنَّ لَمَّا
أَبَدَتْ لَيْلٍ أَرَاغِي النِّجْمِ مِنْ أَلَمٍ
مَافِي الْقُرُومِ لَهُمْ عَدْلٌ وَلَا خَطَرٌ

يُسْفِرُ لَهُ بِدَمُوحٍ بَعْدَ عِبْرَاتٍ
آبَى الْهَضِيمَةِ ، فَرَاغَ الْجَلِيلَاتِ (١)
سَمَحَ السَّجِيَّةِ ، بِسَامِ الْعَشِيَّاتِ (٢)
يَاطُولُ ذَلِكَ مِنْ حُزْنٍ وَعَوَّلَاتٍ
خَضِرَ الْخُدُودِ كَأَمْثَالِ الْحِمَايَاتِ (٣)
جَرَّ الزَّمَانُ مِنْ أَحْدَاثِ الْمَصِيبَاتِ
أَبْكَى ، وَتَبَكَّى مَعِيَ شَجْوَى بُسْفِيَّاتٍ
وَلَا لِمَنْ تَرَكَوْا شَرْوَى بَقِيَّاتِ

= ويقولون : إنه يحشر راكبا عليها ، ومن لم يفعل معه هذا حشرا رجلا ، وهذا على مذهب من
كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ، ومنهم زهير ، فإنه قال :

تُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ . فَيُؤَدَّ خَرُّهُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُجْعَلُ فَيَسْتَقَمُّ
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي الْبَلِيَّةِ :

وَالْبَلَايَا رَمُوسَهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَعَتِ السَّعُومُ حُرَّ الْخُدُودِ
وَالْوَلَايَا : هِيَ الْبَرَاذِعُ ، وَكَانُوا يَتَقَبَّوْنَ الْبَرْدَعةَ ، فَيَجْعَلُونَهَا فِي عُنُقِ الْبَلِيَّةِ ، وَهِيَ مَعْقُولَةٌ ،
حَقٌّ تَمُوتُ ، وَأَوْصَى رَجُلٌ ابْنَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِهَذَا :

لَا تَتْرَكْنِ أَبَاكَ يَحْشُرُ مَرَّةً عَدَدُوا يَخْرُجُ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَسِبُ

(١) الفجر : الجود ، شبه بانفجار الماء . ويروى ذَا فَتْنَسَعِ ، والفنec : كثرة المال .

(٢) بَسَامُ الْعَشِيَّاتِ : يَعْنِي : أَنَّهُ يَضْحَكُ لِلْأَضْيَافِ ، وَيُبَسِّمُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ ، كَمَا قَالَ
الْأَخَرُ ، وَهُوَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَضْحَاكَ ضَيْفِي قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ وَيَخْصِبُ عِنْدِي ، وَالْمَحَلُّ جَدِيدٌ
وَمَا لَخِصْبِ الْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ التَّقَرُّيُ وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ

(٣) كَأَمْثَالِ الْحِمَايَاتِ . أَيْ : مُحَرَّقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظَّبَاءِ الَّتِي حَمَيْتِ الْمَاءَ
وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، لِحِمْيَةِ بِمَعْنَى حِمْيَةٍ . لَكِنَّمَا جَاءَتْ بِالنَّاءِ ، لِأَنَّهَا أَجْرِيَتْ بِجَرَى الْأَسْمَاءِ كَالرَّمِيَةِ
وَالضَّحِيَّةِ وَالطَّرِيدَةِ .

أبناؤهم خير أبناء ، وأنفسهم خير النفوس لدى جهد الآليات
 كم وهبوا من طيرٍ سابحٍ أرنب ومن طيرٍ نهب في طمرات^(١)
 ومن سيوف من الهندي مخلصه ومن رماح كاشطان الركيات^(٢)
 ومن توابع مما يفضلون بها عند المسائل من بذل العطيات
 فلو حسبت وأحصى الحاسبون معي لم أنقض أفعالهم تلك الهنيات
 هم المدلون إما معشر فخرؤا عند الفخار بأنساب نقيات
 زين البيوت التي حلّوا مساكنها فأصبحت منهم وحشا خليات
 أقول والعين لا ترقا مدا معها : لا يُشعد الله أصحاب الرزيات
 قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خراش الهذلي :

عَجَفَ أضيافى جميل بن معمر بنى فَجَرَ تأوى إليه الأرامل
 قال ابن إسحاق : أبو الشعثك الشجيثيات : هاشم بن عبد مناف .

عبد المطلب يلي السقاية والرفادة : قال : ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة
 بعد عمه المطلب ، فأقامها للناس ، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمرهم ،
 وشرف في قومه شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه ، وأحبه قومه وعظم خطره فيهم .

ذكر حفر زمزم وما جرى من الخلف فيها

سبب حفر زمزم : ثم إن عبد المطلب بينما هو قائم في الحجر إذ أتى ، فأمر بحفر زمزم .
 قال ابن إسحاق : وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها ، كما حدثني يزيد بن
 أبي حبيب المصري عن كرمذ بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زُرَيْرٍ الغافقي : أنه سمع علي بن أبي
 طالب رضي الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها ، قال :
 قال عبد المطلب : إني لثائم في الحجر إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة . قال : قلت : وما
 طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فندمت فيه ، فجاءني فقال : احفر
 برة . قال : فقلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فندمت فيه ،

(١) الطمر : الفرس الخفيف السريع . (٢) أشطان الركيات : جبال الآبار .

فجاءني فقال : احفر المذنونة . قال : فقلت : وما المذنونة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فتمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تنزف أبداً ولا تدم ، (١) تسقى الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرت والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل (٢)

(١) لا تنزف أبداً : وهذا برهان عظيم ، لأنها لم تنزف من ذلك الحين إلى اليوم قط ، وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله ، فوجدوا ماءها يشور من ثلاثة أعين ، أقواها وأكثرها ماء : من ناحية الحجر الأسود ، وذكر هذا الحديث الدارقطني .

وقوله : ولا تدم ، فيه نظر ، وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ، ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ، ولتضلع منه كل من يشربه ، وقد ورد في الحديث أنه لا يتضلع منها منافق ، فأؤها إذا مضموم عندهم ، وقد كان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يذمها ، ويسميا : أم جعلان ، واحتقر بئراً خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك ، وجعل يفضلها على زمزم ، ويحمل الناس على التبرك بهادون زمزم جرأة منه على الله - عز وجل - وقلة حياء منه ، وهو الذي يُعلن ويفصح بلعن لثلي بن أبي طالب - وضوان الله عليه - على المنبر ، وإنما ذكرنا هذا ، لأنها قد ذمت ، فقوله إذا : لا تدم ، من قول العرب : بئر ذممة أي : قليلة الماء ، فهو من أذمت البئر إذا وجدتها ذمة : كما تقول : أجبنت الرجل : إذا وجدته جباناً ، وأكذبه إذا وجدته كاذباً ، وفي التنزيل : « فإنهم لا يكذبونك » وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة : وأنشد :

مَخَيَّسَةً خُزِرًا كَانَ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرِّكَايَا أُنْكَرَتْهَا الْمَوَاحِجُ

فهذا أولى ما حل عليه معنى قوله : ولا تدم ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق - والله أعلم -

(٢) فسيت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام وقيل له : احفر بركة ، وهو اسم صادق عليها أيضاً ، لأنها فاضت للأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفر المذنونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المذنونة لأنها مضنة بها على غير المؤمنين ، فلا يَسْتَضَلِّح منها منافق ، وروى الدارقطني ما يقوى ذلك مسنداً عن النبي - صلى الله عليه وسلم : « من شرب من زمزم فليضلع ، فإنه فرق ما بيننا »

قريش تنازع عبد المطلب في زمرم : قال ابن إسحاق : فلما بين له شأنها ، ودل على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنة الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطلى ، كبر .

التحريم في زمرم : فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبد المطلب ، إننا نأمر أبينا إسماعيل ، وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيت من بينكم ، فقالوا له : فأئصفنا ، فإنما غير تاركيك حتى نخاصك فيها ، قال : فاجملوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بني سعد

== وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتصلعوا منها ، أو كما قال . وفي تسميتها بالمضنونة رواية أخرى ، رواها الزبير : أن عبد المطلب قيل له : احفر المضنونة ضننت بها على الناس إلا عليك أما الفرت والدم ، فإن ماها طعام طهم ، وشفاء سقم ، وهي لما شربت له ، وقد تقوَّت من ماها أبوذر — رضى الله عنه — ثلاثين بين يوم وليلة ، قسم حتى تكسرت عكته .

أما الغراب الأعصم ، قال القتيبي : الأعصم من الغربان الذى فى جناحيه بياض فالغراب فى التأويل : فاسق ، وهو أسود ، فدلّت نقرته عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان ، فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن ، وسقيا أهل الإيمان ، وذلك عند ما يرفع القرآن ، وتحيا عبادة الأوثان ، وفى الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ليخرين الكعبة ذو السؤى يقتسين من الحبشة » وفى الصحيح أيضا من صفته : أنه « أفصح » وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعصم ، إذ الفصح : تباعد فى الرجلين ، كما أن الأعصم اختلاف فيهما ، والاختلاف : تباعد . وأما قرية النمل ، ففيها من المشاكلة أيضا ، والمناسبة : أن زمزم هى عين مكة التى يردّها الحجاج والعمار من كل جانب ، فيحملون إليها البر والشعير ، وغير ذلك وهى لا تحترق ولا تزور ، كما قال سبحانه خبرا عن إبراهيم عليه السلام : « ربنا إني أسكنت من ذريتى بواد غير ذي زرع » . إلى قوله : « وارزقهم من الثمرات » وقرية النمل لا تحترق ولا تبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مكة قال الله سبحانه : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان » .

هذيم، قال . نعم قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر . قال : والأرض إذ ذاك مفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، ففى ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظموا حتى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنما بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماترون ؟ قالوا ما رأينا إلا تبع لرأيك فرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بيكم الآن من القوة - فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرة ثم واروه - حتى يكون آخركم رجلا واحدا ، فضئصة رجل واحد أيسر من ضئعة ركب جميعا قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للبوت ، لا تضرب فى الأرض ، ولا نبغى لأنفسنا ، لعجز ، فمضى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ارتحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومن معهم من قبائل قريش ينتظرون إلهيم مامم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها حين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا . ثم قالوا : قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه القلاة هو الذى سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك مراداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلصوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم ، وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادع بالماء الرؤى غير الكدر يسقى حجيج الله فى كل مبر (١)

ليس يخاف منه شيء ما عسر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تغلبوا أنى قد أمرت أن أخفر لكم

(١) وقوله : ماء روى بالكسر والقصر ، ورواها بالفتح والمد . وفيه : تيسر : هو مفعول

عن البر ، يريد : فى مناسك الحج ومواضع الطاعة .

زمزم : فقالوا : هل بُنِيَ لك أين هي ؟ قال : لا ، قالوا فارجع إلى مضجعتك الذي رأيت فيه ما رأيت ، فإن بك حمان الله يبين لك ، وإن بك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مضجعه ، فنام فيه ، فأق قفيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أيك الأعظم ، لا تنزف أبداً ولا تندم ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُنقسم ، ينذر فيها ناذر لمُنعم ، تكون ميراثاً وعقداً بحكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرت واللم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذي قبله ، من حديث عليّ في حفر زمزم من رواله : « لا تنزف أبداً ولا تندم ، إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً . قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل له عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

عبد المطلب يحفر زمزم : ففدا عبد المطلب ومعه ابنته الحارث ، وليس له يومئذ ولد غيره ، فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندهما بين الوثنين : لأساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحرندهما ذبايحها . فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جده ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثنين هذين اللذين ننحرندهما ، فقال عبد المطلب لابنه الحارث : زد عني حتى أحفر ، فوالله لأمضين لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غير نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفوا عنه ، فلم يحفر إلا يسيراً ، حتى بدا له الطي ، فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تبادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جرم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلميصة وأدراعا فقالت له قريش : يا عبد المطلب ، لنا معك في هذا شرك وحق ، قال : لا ، ولكن هلم إلى أمر نصّف بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قدحين ، ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قدحاه ففلا شيء له . قالوا : أنصفت ، فجعل قدحين أصفرين للكعبة ، وقدحين أسودين لعبد المطلب ، وقدحين أبي عيينة لقريش ، ثم أعطوا صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل - وهبل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذي يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال : أعْلِه هبل أى : أظهر دينك - وقام عبد المطلب

يدعو الله عز وجل فضرب صاحب القداح ، فخرج الأصفران على الغزالين للكمة ، وخرج
الأسودان في الأسياف ، والادراع لعبد المطلب ، وتخلف قدحا قریش . فضرب عبد المطلب
الأسياف بابا للكمة ، وضرب في الباب الغزالين من ذهب ، فكان أول ذهب حليته الكمة
فيها يزعمون - ثم إن عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج .

ذكر بئار قبائل قریش

قال ابن هشام : وكانت قریش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئاراً بمكة ^(١) ، فيما حدثنا زياد بن
عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

عبر شمس بمحفر الطوي : حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوي ، وهي البئر التي بأعلى مكة
عند البيضاء ، دار محمد بن يوسف .

هاسم بمحفر بئر : وحفر هاشم بن عبد مناف بئر ^(٢) ، وهي البئر التي عند المستنذر ،
خطم الخندمة على فم شعب أبي طالب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأجعلها بلاغا للناس
قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفت مكانها فحجرا بابا وملكوما وبذر والعشرا

(١) ذكروا أن قصيا كان يسقى الحبيج في حياض من آدم ، وكان ينقل الماء إليها من
آبار خارجة من مكة منها : بئر ميمون الحضرمي ، وكان ينبذ لهم الزبيب .
ثم احتفر قصي العجول في دار أم هانئ بنت أبي طالب ، وهي أول سقاية احتفرت
بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا ، فقالوا :

نُروى على العجول ، ثم ننطلق إن قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تول العجول قائمة حياة قصي ، وبعد موته ، حتى كبر عبد مناف بن قصي ، فسقط فيها
رجل من بني جشميل ، فعطلوا العجول ، واندفنت . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ١٧٢

(٢) لفظ بئر مأخوذ من التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد .

سجدة والاختلاف فبعض مفرها : قال ابن إسحاق وخفر سجدة ، وهى بئر المطعم بن.
عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم . ويدعم بنو نوفل أن المطعم ابتاعها من.
أسد بن هاشم ، ويدعم بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستغنوا بها عن تلك الآبار (١) :

أمية بن عبد شمس يحفر الحفر : وخفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه .

بنو أسد تحفر سقية : وحفرت بنو أسد بن عبد العزى : سقية ، وهى بئر بنى أسد . (٢)

بنو عبد الدار تحفر أمم أهرار : وحفرت بنو عبد الدار : أم أحرار (٣) .

(١) ويقال أن قصى هو الذى حفرها وقال فى ذلك :

أنا قصى ، وحفرت سجدة تروى الحجيج زغلة قزغلة
وقيل : بل حفرها هاشم ، وهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سجدة تروى الحجيج زغلة قزغلة

(٢) وهذه البئر تسمى أيضا شقية بئر بن أسد ، فقال فيها الخويزى بن أسد :

ماء شقية كما المزن وليس ماؤها بطرق أجنى

(٣) وأما أم أحرار ، فأحرار : جمع : حر ، وهى قطعة من السنام ، فكانها

سميت بهذا ، لأنها تنبت الشعير ، أو تُسَكَّن الإبل ، أو نحو هذا والحرار : القطا الواردة للباء ، فكانها تردهما القطا والطير ، فيكون أحرار جمع : حرار بالضم على هذا . وقالت أمية بنت عبد شمس بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحرار :

نحن حفرنا البحر أم أحرار ليست ككبذو البرور الجماد

فأجابتها ضربتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفرنا بذرا نسقى الحجيج الأكبر

من مقبل ومدبر وأم أحرار شر

بنوهمم تحفر السنبلة : وحفرت بنو جمع : السنبلة ، وهى بئر خلف بن وهب . (١)

بنوهمم تحفر النمر : وحفرت بنو سهم : النمسمر ، وهى بئر بنى سهم . (٢)

أصحاب رعم ونهم والحفرة : وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب ، وکلاب بن مرة ، وكبراء قريش الأول من يثربون ، وهى رعم . (٣) ، ورم : بئر مرة بن كعب بن لؤى . وخم . (٤) بئر بنى كلاب ابن مرة ، والحفر . قال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى :

قال ابن هشام : وهو أبو أبى جهنم بن حذيفة :

وقدما غنينا قبل ذلك حقة ولا نستقى إلا بنحس أو الحفر
قال ابن هشام : وهذا البيت فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

(١) وأما سنبلة : بئر بنى جمع ، وهى بئر بنى خلف بن وهب - فقال فيها شاعرهم :

نحن حفرنا للحجيج سنبلة صوب سحاب ذو الجلال أنزله
ثم تركناها برأس النمسنبلة تصب ماء مثل ماء المعبله
نحن سقينا الناس قبل المسئلة

(٢) وقال فيها بعضهم :

نحن حفرنا النمر للحجيج شج ماء أيما فحيج

(٣) رعم بئر بنى كلاب بن مرة ، فمن رعمت الشيء إذا جمعت وأصلحته ، ومنه الحديث : كنا أهل ثمة ورمة ، ومنه : الرمان فى قول سيدييه ، لأنه عنده فعلان ، وأما الأخفش فيقول فيه : فعال ، فيجعل فيه التون أصلية ، ويقول : إن سميت به رجلا صرفته . ومن قول عبد شمس بن قصي :

حفرت رما ، وحفرت خما حتى ترى المجد بها قد تتما

(٤) وأما خم وهى بئر مرة ، فهى من خمت البيت إذا كفته ، ويقال : فلان بخموم القلب أى : نقيه ، فكأنها سميت بذلك لنقاها .

فضل زمزم على سائر المياه : قال ابن إسحاق : ففتت زمزم على المياه التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ؛ ولفضلها على ماسواها من المياه ؛ ولأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .

بنو عبد مناف يفتخرون بزمزم : وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها ، وعلى سائر العرب ، فقال مسافر بن أبي عمرو^(١) بن أمية بن عبد مناف ، وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة ، وما أقاموا للناس من ذلك ، وبزمزم حين ظهرت لهم ، وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد ، بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل .

ورثنا المجد من آبا ثنا فنى بنا صعدا
ألم لسق الحجيج ونه بحر الدلافة الرفدا^(٢)
ونلقى عند تصريف الـ منايا شددا رفدا^(٣)
فإن نهلك ، فلم نملك ومن ذا خالدا أبدا
وزمزم فى أرومتنا ونفقا عين من حسدا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب بن لؤى :
وساقى الحجيج ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرا على كل ذى فخر

(١) واسم أبي عمرو : ذكوان ، وهو الذى يقول فيه أبو سفيان :

لَئِنْ شِعْرِي مَسَافِرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍ وَلَئِنْ يَقُولُهَا الْحَزُونُ
بُورِكَ الْمَيْتِ الْغَرِيبِ كَمَا بُو رَكَ نَضَحَ الرِّمَانُ وَالزَّيْتُونُ
فى شعر يرثيه به ، وكان مات من حب صعبة بنت الحضرمي .

(٢) الرفد : جمع رفود من الرفد ، وهى التي تملأ لأنامين عند الحلب .

(٣) هو جمع رفود أيضا من الرفد وهو : العون .

قال ابن هشام : يعنى عبد المطلب بن هاشم . وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غاتم سأذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حينلقى من قريش مالقى عند حضر زمزم : لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينتحرن حدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اتتوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل فى جوف الكعبة ، وكان هبل على بئر فى جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هى التى يجمع فيها ما يهدى للكعبة .

قداح هبل السبعة : وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قداح منها فيه كتاب . قدح فيه (العقل) ، إذا اختلفوا فى العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج سحله . وقدح فيه (نعم) للأمر إذا أرادوه يضرب به القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه (لا) إذا أرادوا أمرا ضربوا به فى القداح ، فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : (منكم) وقدح فيه (ملصق) : وقدح فيه (من غيركم) وقدح فيه : (المياه) إذا أرادوا أن يحفروا للباء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيثما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُسكنوها منكعا ، أو يدفنوا ميتا ، أو شكوا فى نسب أحدهم ، ذهبوا به إلى هبل وبمئة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القداح الذى يضرب بها ، ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب : فإن خرج عليه : (منكم) كان منهم وسيطا ، وإن خرج عليه : (من غيركم) كان حليفا ، وإن خرج عليه : (ملصق) كان على منزله فيهم ، لالسب له ، ولا حلف ، وإن خرج فيه شيء ، بما سوى هذا بما يعملون به (نعم) عملوا به ، وإن خرج : (لا) أخروه عامه وذلك حتى يأتيه به مرة أخرى ، ينتهون فى أمورهم إلى ذلك بما خرجت به القداح .

عبد المطلب يحكمهم إلى القرامح : فقال عبد المطلب لصاحب القداح : اضرب على بني هؤلاء بقدامهم هذه ، وأخبره بنذره الذي نذر ، فأعطاه كل رجل منهم قدحاً الذي فيه اسمه ، وكان عبدالله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه^(١) ، كان هو والوزير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم .^(٢)

مروج القرامح على عبدالله : قال ابن إسحاق : وكان عبدالله - فيما يزعمون - أحب ولد عبد المطلب إليه ، فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى . وهو أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما أخذ صاحب القداح - القداح - ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند جبل يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القداح ، فخرج القدح على عبد الله .

عبد المطلب يحاول نزع ابنه ومنع قريش له : فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف وثائلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تستعذر فيه . لأن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فابقاء الناس على هذا ١٤ .

(١) وهذا غير معروف ، ولعل الرواية : أصغر بني أمه ، وإلا لحزمة كان أصغر من عبدالله ، والعباس : أصغر من حمزة ، وروى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها ، فجئني حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقلن لي : قبل أخاك ، قبل أخاك ، فقبلته . فكيف يصح أن يكون عبدالله هو الأصغر مع هذا ١٤ ولكن رواه البكائي كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أواد نحره ، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس .

(٢) والصحيح ما قاله ابن هشام : لأن الزبيريين ذكروا أن عبدأ هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هي : صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمة ، لا بنت عم ، فقد تكرر هذا النسب في السيرة مراراً ، وفي كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد بن قصي ، وأم تخمر سلمى بنت عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر ،

وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن عزم بن يقظة - وكان عبد الله ابن أخت القوم :
والله لا تدبجه أبداً ، حتى تعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه . وقالت له قريش وبنوه :
لا تفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإن به عرافة (١) لها تابع ، فسلها ، ثم أنت على رأس أمرك ،
إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته .

ما أسارت به عرافة الحجاز : فالطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بخير .
فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره
فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عن اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا
عنها قام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم غَدَّوْا عليها فقالت لهم : قد جاءني الخبر ، كم الدية فيكم ؟
قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجموا إلى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم ،
وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم ،
فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم ، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه ، فقد رضى ربكم ،
ونجى صاحبكم . (٢)

تفكير وصية العرافة ونجاة عبد الله : فخرجوا حتى قدموا مكة ، فلما أجمعوا على ذلك من
الامر ، قام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم قربوا عبد الله وعشرأ من الإبل ، وعبد المطلب قائم عند
هبل يدعوا الله عز وجل ١١ ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرأ من الإبل ،
فبلغت الإبل عشرين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله عز وجل ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ،
فزادوا عشرأ من الإبل ، فبلغت الإبل ثلاثين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا ،
فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرأ من الإبل ، فبلغت الإبل أربعين ، وقام عبد المطلب يدعوا
الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشرأ من الإبل ، فبلغت الإبل خمسين ، وقام

(١) اسمها : قطبة . ذكرها عبد الغنى في كتاب الغرامض والمهمات . وذكر ابن إسحاق
في رواية يونس أن اسمها : سجاح .

(٢) ومن هنا يعلم أن الدية كانت بعشر من الإبل قبل هذه القصة : وأول من ودئى بالمائة
إذاً : عبد الله . وقد ذكر الأصماني عن أبي اليقظان أن أبا سَيَّارة هو أول من جعل الدية
مائة من الإبل ، وأما أول من ودئى بالإبل من العرب : فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه
معاوية جد بني عامر بن صعصعة .

عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ستين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل فبلغت الإبل سبعين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل ثمانين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل تسعين ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا ، فخرج القدح على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فبلغت الإبل مائة ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر : قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب ، فزعوا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبد المطلب يدعوا الله ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبد المطلب قائم يدعوا الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعوا الله ، فضربوا ، فخرج القدح على الإبل ، فحرت ، ثم تركت لا يُصَدِّد عنها لإنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : لإنسان ولا سُبُع .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

عبد الله يرفضها : قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فز به - فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد ^(١) بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب

(١) ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعت المرأة الأسدية إلى نفسها لما رأت في وجهه من نور النبوة ، ورجحت أن تحمل بهذا النبي ، فتكون أمه دون غيرها ، فقال عبد الله حينئذ : فيما ذكروا :

أما الحرام فالجسام دونه والحمل لا حِلَّ فاستبينه

فكيف بالأمر الذي تبينه يحسى الكريم عرضه ودينه ١٩

واسم هذه المرأة : رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل ، تكنى : أم قتال ، وبهذه الكنية =

ابن لؤى بن غالب بن فهر : وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ؛ وهى عند الكعبة . فقالت له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبدالله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثل الإبل التى نحررت عنك ، وقنع على الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خلافه . ولا فراقه .

عبد الله بن مزروع أمته بنت وهب : فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر - وهو يومئذ سيد بنى زهرة لسبا وشرفا - فزوجه ابنته أمته بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش لسبا وموضعا .

أصهار أمته : وهى لبرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وبرة : لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عسيح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

سبب زهر المرأة المتعرضة لعبد الله فيه : فزعموا أنه دخل عليها حين أملاكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت على بالأمس ؟

= وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر البرقى عن هشام بن الكلبي ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة بنت ممر ، كانت من أجمل النساء وأعفهن ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت نور النبوة فى وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

لما رأيت مُنْخِلَةً نشأت فتلاّلات بختام القطر
فلستأئها نوراً يضىء به ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سُقْيَا حيا بلد وقَعَتْ به وعِمارة الفقر
ورأيت شرفاً أبوء به ما كل قاذح زنده يورى
لله ما زهرية سلبت منك الذى استكسبت وما قدرى

وفى غريب ابن قتيبة : أن التى عرضت نفسها عليه هى : ليلى العدوية .

قالت له : فارقك التور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل — وكان قد تنصّر واتبع الكتب : أنه كائن في هذه الأمة نبي .

قصة حمل آمنه برسول الله (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله لما دخل على امرأة كانت له مع آمنه بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج حامداً إلى آمنه ، فربها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعمد إلى آمنه ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مر بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء ، فدعوتك فأبيت على ، ودخلت على آمنه فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك بي ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنه : فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أووسط قوم لهباً ، وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله صلى الله عليه وسلم

روياً آمنه : ويرعون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنه ابنة وهب أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أتيت ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فأثروا وقع إلى الأرض ، فقولي : أعينه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سمي : محمداً (١)

(١) لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله - صلى الله عليه وسلم - إلا ثلاثة طمع آبائهم - حين سمعوا بذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - وبقرّب زمانه ، وأنه يبعث في الحجاز - أن يكون ولداً لهم . ذكرهم ابن قسّوك في كتاب الفصول ، وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع ، جد جد الفرزدق الشاعر . والآخر : محمد بن أبي حنيفة بن الجلاح بن الحريش بن جمحي بن كُلفثة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حُسران =

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرية ، من أرض الشام .

وفاته عبر الله : ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هلك ، وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حامل به . (١)

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن إسحاق بن محمد الميموني : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل . (٢)

= ابن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك . وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مفعلاً مثل : مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

(١) أكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدؤلابي وغيره ، وقيل : ابن شهرين ، ذكره ابن أبي خيثمة ، وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بني النجار ، ذهب لـ **يُسْتَكْرَ** لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً .

(٢) ذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم . وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوماً ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالشغفسر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبد بين الزنايا والأسد ، لأن الغفر يليه من المقرب زناياها ، ولا ضرر في الزنايا إنما تضر المقرب بذنبا ، يليه من الأسد أليسته ، وهو الشك ، والأسد لا يضر باليته إنما يضر بمخلبه ونابه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجبت .

قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن فرمة . قال :

ولدت أنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لدَتَانِ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة الأنصاري . قال : حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت ، قال : والله إني للغلام يفككة ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعقل كل ما سمعت ، إذا سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطلكة يثرب : يا معشر يهود انحنوا إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك مالك ؟ قال : طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به .

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقلت : ابن كم كان حسان بن ثابت مقدّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن ستين ، وقدمها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسمع حسان ما سمع ، وهو ابن سبع سنين .

أحمد بن محمد بن وهب بن محمد بن : قال ابن إسحاق : فلما وضعت أمه - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد ولد لك غلام ، فأتته فانظر إليه ، فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرت به أن تسميه .
فيزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبة ، فقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ،^(١)

(١) في غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوده :

الحمد لله الذي أعطاني	هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان	أعيذه بالبيت ذي الأركان
حين يكون بُلغة الفتيان	حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شأن	من حاسد مضطرب اللسان
ذي همة ليس له عيان	حتى أراه رافع اللسان
أنت الذي سميت في القرآن	في كتب ثابتة المثاني

أحمد مكتوب على البيان

ثم خرج به إلى أمه فدفقه إليها ، والتمس لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعا . (١)
قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام : « وحرمتنا عليه المراضع » . (٢)

مرضعة حليلة : قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر . يقال
هنا : حليلة ابنة أبي ذؤيب .

نسب مرضعة : وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شجينة بن جابر بن رزام بن

(١) وسبب دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لجوهر . أحدها : تفرغ النساء إلى الأزواج ، كما قال عمار بن ياسر لام سلة - رضى الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلة ، فقال : « دعى هذه المقبوحة المشقوقة التي آذيت بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد يكون ذلك منهم أيضاً لينشأ الطفل في الأعراب ، فيكون أفصح لسانه ، وأجلد لجسمه ، وأجدر أن لا يفارق الهيئة المتمدنية كما قال عمر رضى الله عنه : تمعددوا وتمعزوا واخشوشنوا . وقد قال - عليه السلام - لابن بكر - رضى الله عنه - حين قال له : ما رأيت أفصح منك يا رسول الله ، فقال : « وما يمنعني ، وأنا من قريش ، وأرضعت في بني سعد ؟ » ، فهذا وجوه كان يحملهم على دفع الرضعا إلى المراضع الأعرابيات .

وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول : أضربنا حب الوليد ؛ لأن الوليد كان لحساناً ، وكان سليمان فصيحاً ؛ لأن الوليد أقام مع أمه ، وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية ، فتمرروا ، ثم أدبوا فتأدبوا . وكان من قريش أعراب ، ومنهم حضر ، فالأعراب منهم : بنو الأدرم وبنو محارب ، وأحسب بنى عامر بن لؤي كذلك ؛ لأنهم من أهل الظواهر ، وليسوا من أهل البطاح .

(٢) الذى قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المراضع جمع : سُرَضِع ، والرضعاء جمع : رضيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق مخرج من وجهين : أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذوات الرضعا ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً ، يرضع معه ، فلا يبعد أن يقل : التمسوا له رضيعاً ، شلماً بأن الرضيع لا بد له من مرضع .

ناصره بن قُصَيْبَةَ بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس بن عيلان .

زوج هليمة ونسب : واسم أبيه الذي أَرْضَعَهُ - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن عبد
المُزَيَّ بن رفاعَةَ بن مَلان بن ناصرة بن قُصَيْبَةَ بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن^(١) .
قال ابن هشام ويقال : هلال بن ناصرة .

أولاد هليمة : قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأُثَيْبَةُ
بنت الحارث ، وخْدَامَةُ^(٢) بنت الحارث ، وهى الشَّيْبَانُ ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف
في قومها إلا به . وهم حليلة بنت أبي ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله - صلى
ويذكرون أن الشَّيْبَاءَ كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جَدُّهُمْ بن أبي جهم مولى الحارث بن حاطب الجُمَحِي ، عن
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أو عن حديثه عنه قال :

(١) لم يذكر له إسلاما ، ولا ذكره كثير من ألف في الصحابة ، وقد ذكره يونس بن بكير
في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني والدي إسحاق بن يسار ، عن رجال من
بنى سعد بن بكر قال : قدم الحارث بن عبد العزى ، أبو رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - من الرضاعة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ،
فقال له قريش : ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله
يمت بعد الموت ، وأن الله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من أطاعه ، فقد
شتت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأتاه ، فقال : أى بنى مالك ولقومك يشكونك ، ويزعمون أنك
تهول : إن الناس يبعثون بعد الموت ، ثم يصيرون إلى جنة ونار ؟ فقال رسول الله - صلى
الله عليه وسلم : نعم أنا أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان يقول حين أسلم :
لو قد أخذ ابنى يدي ، ففرغنى ما قال ، لم يرسلنى إن شاء الله حتى يدخلنى الجنة .

(٢) خْدَامَةُ بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَّافَةُ بالخاء المضمومة وبالفاء مكان
الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء .

حديث حليمة : كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية ، أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي أرضعته ^(١) ، تحدث : أنها خرجت من بلدها مع زوجها ، وابن لها صغير ترضعه في لسوة من بني سعد بن بكر ، تلتبس الرضعاء ، قالت : وذلك في سنة شهباء ، لم تبق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أتان لي قسمراء ، معنا شارف لنا ، والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا ، من بكائه من الجوع ، ما في ثديي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيّه - قال ابن هشام : ويقال : يغذيّه ^(٢) - ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتانى تلك ، فلقَدْ أذْمْتُ ^(٣) بالركب ، حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجزاً ، حتى قدمنا مكة نلتبس الرضعاء ، فما منا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها

(١) وأرضعته - عليه السلام - ثُوَيْبَةُ قبل حليمة . أرضعته ، وعه حمزة ، وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوية ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنهما ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحداً منهم حياً . وثوية كانت جارية لأبي لهب .

(٢) قول ابن هشام : ما يغذيّه بالذال المنقوطة ، أتم في المعنى من الاختصار على ذكر اللغذاء دون العشاء ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية غير هاتين وهى يُعْذِرُ به بين مهلة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يقنعه حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عذبت وأعذبت : إذا قطعت عن الشرب ونحوه ، والْتَمَذُوب : الرافع رأسه عن الماء ، وجمعه : عُذُوب بالضم ، ولا يعرف فَعْمُول جمع على فَعْمُول غيره : قاله أبو عبيد والذى في الأصل أصح في المعنى والنقل .

(٣) أى أطلت عليهم المسافة ، وتروى أذْمَمْتُ بالركب . تريد : أنها حبستهم ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقف ، ويروى : حتى أذْمَمْتُ . أى : أذمت الأتان ، أى : جاءت بما تَظْم عليه ، أو يكون من قولهم : بئر ذَمَّةٌ ، أى : قليلة الماء ، وليست هذه عند أبي الوليد ، ولا في أصل الشيخ أبي بحر ، وقد ذكرها قاسم في الدلائل ، ولم يذكر رواية أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبي عبيدة : أذم بالركب : إذا أبطأ ، حتى حبستهم : من البئر الذمّة ، وهى القليلة الماء .

إليه يقيم ، وذلك : أنا إنما كنا نخرج المعروف من أبي الصبي ، ^(١) فكنا نقول : يقيم ؛ وما عني أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرمه لذلك ، فابقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً خيراً ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لا أكره أن أرجع من بين صواحي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعل ، عبي الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذه ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره .

الخبر الذي أصاب هليمة : قالت : فلما أخذه ، رجعت به إلى رحلي فلما رضعته في حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن ^(٢) ، فشرب حتى روى ، وشرب معه أخوه حتى روى ، ثم ناما ، وما كنا ننام معه قبل ذلك ، وقام زوجي إلى شارقنا تلك ، فإذا إنها لحمارفل ، فحلب منها ما شرب ، وشربت معه حتى انتهينا ريثاً وشبعنا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا : تعالئى والله يا حليلة ، لقد أخذت لسممة مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى ، وحملته عليها معي ، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حُسْرهم ، حتى إن صواحي ليقن لي . يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعى علينا ، أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها لهى معي ، فيقلن : والله إن لها لشأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لبساً . فنحلب ونشرب . وما يحلب لإنسان فطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع . حتى كان الحاضرون من قومنا

(١) والتماس الاجر على الرضاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثل : نجوع المرأة ولا تأكل بثديها ، وكان عند بعضهن لا بأس به ، فقد كانت حليلة وسيطة في بني سعد ، كريمة من كرائم قومها ، بدليل اختيار الله — تعالى — إياها لرضاع نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما اختار له أشرف البطون والأصلاب . والرضاع كالنسب ؛ لأنه يغير الطباع . وفي المسند عن عائشة — رضى الله عنها — ترفعه : ولا تسترضعوا الحمقى ؛ فإن اللبن يورث ، ويحتمل أن تكون حليلة ونساء قومها طالبين الرضعاء اضطراباً للآزمة التى أصابتهم والسنة الشبهة التى اقتحمتم .

(٢) وذكر غير ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان لا يقبل إلا على ثديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشمر — عليه السلام — أن معه شريكاً في لبنائها ، وكان مفطوراً على العدل ، مجبولاً على المشاركة والفضل — صلى الله عليه وسلم —

يُزولون رعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فزروح أغنامهم جياعاً ما
تَبَسُّضُ بَقْطَرَةِ لَبَنٍ ، وَتَرْوُحُ غَنَمِي شَبَاعاً لُبْسًا ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى
مضت سنتاه وفضلته ؛ وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جافراً .

رجوع هليمة به إلى مكة أول مرة : قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكته
فيها ؛ لما كنا نرى من بركتها ؛ فكلنا أمه ، وقلت لها : لو تركت مَبْنَى عِنْدِي حتى يَنْظُرَ ،
فَأَنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَأَ مَكَّةَ ، قالت : فلم نزل بها حتى ردهته معنا .

مريض الملكين اللذين شفا بطنه : قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه
لني بهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه
رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشفا بطنه ، فهما يسوطانه (١) ، قالت : فخرجت أنا
وأبوه بحره ، فوجدناه قائماً مُنْتَقِماً وَجْهَهُ . قالت : فالتزمته والتزمته أبوه ، فقلنا له : مالك
يا بني ، قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا وشفا بطني ، فالتمسا شيئاً
لا أدري ما هو ، قالت : فرجعنا إلى خباتنا .

هليمة تزود حمرا (من) إلى أمه : قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيت أن
يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتلناه ،
فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظنثري ، وقد كنت حريصة عليه ، وعلى مكته
منذك ؟ قالت : قلت : قد بلغ الله بابي وقضيت الذي عليّ ، وتخوفت الأحداث عليه ، فأديته
إليك كاتحين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقني خبرك . قالت : فلم تدعى حتى أخبرتها .
قالت : أفنخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من .

(١) يقال : سَطَّ اللَّبَنُ أَوْ الدَّمُ ، أَوْ غَيْرُهُمَا ، أَسْوَطَهُ : إِذَا ضَرَبْتَ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ .
وَالْمُسْوَطُ : هُوَ يَضْرِبُ بِهِ .

وفي رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كُرْكِيَّان ، فشق أحدهما بمنقاره ،
جوفه ، ومنح الآخر بمنقاره فيه ثلجاً ، أو بَرَدًا ، أو نحو هذا ، وهي رواية غريبة ذكرها
يونس عنه ، واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه ، وهو أطول من هذا .

سبيل ، وإن لم يَسْقُ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج من نور أضواء قصور بُمَصَّرَى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيته من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولده ولأنه لواضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلق راشدة .

الرسول يسأل عن نفسه وإجابته (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان السكلاعي : أن نفراً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يا رسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضواء لها قصور الشام^(١) ، واستُرُضمتُ في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نزعني بهما لنا : إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطسست من ذهب ملوءة لؤلؤا . ثم أخذاني فشقبا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاها فاستخرجا منه علقمة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبي وبطنني بذلك الثلج حتى أُنقياه^(٢) ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزني بهم فوزهم ،

(١) وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافة فيها مدة بنى أمية ، واستغنائات تلك البلاد وغيرها بنوره - صلى الله عليه وسلم - وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصي قبل المبعث يسير نوراً يخرج من زمزم ، حتى ظهرت له البسر في تخيل يثرب ، فقصصها على أخيه عمرو ، فقال له : إنما خفيرة عبد المطلب ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سبب مبادرته إلى الإسلام .

(٢) كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين :

الأولى : في حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان ، وليطهر ويقدم من كل خلق ذميم ، حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال ، وحتى لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فوليا عني ، يعني : الملسكين ، وكأني أعاين الأمر معاينة .

والثانية : في حال الاكتهال ، وبعد ما نبي . وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس ، وعرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة ، وليصل بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة : الطهور ، فقدم ظاهراً وباطناً ، وغسل بماء زمزم .

ثم قال: زنه بمئة من أمته . فوزني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزني بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها .

رعيه (ص) للغنم وافتخاره بفريسيته : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم » ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « وأنا » (١) . قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أنعركم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر » .

افتقار حليمته (ص) : قال ابن إسحاق : وزعم الناس فيما يتحدثون - والله أعلم - أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتسته فلم تجده ، فأتت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلني ، فوالله ما أدرى أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدته ورقة بن نوفل بن أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يؤمّونه ويدعو له ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

سبب أمره لرجوع حليمته (ص) إلى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن بما حاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه بما أخبرتها عنه ، أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلّسّوه ، ثم قالوا لها : لناخذن هذا الغلام ، فلنذهبن به إلى مملكتنا وبلدنا ؛ فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره ، فزعم الذي حدثني أنها لم تكذب تنفك به منهم . (٢)

(١) وإنما أراد ابن إسحاق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاغة ، وقد ثبت في الصحيح أنه رعاها بمكة أيضا على قراريط لأهل مكة . ذكره البخاري .
(٢) وكان رد حليمة إياه إلى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر ، فيما ذكر أبو عمر ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداها بعد تزويجه خديجة - رضي الله عنها - جاءته تشكو إليه السنة ، وأن قومها قد أسنّوا فكلم لها خديجة ، فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبكرات ، والمرة الثانية : يوم حنين وسيأتى ذكرها إن شاء الله .

وفاة آمنة

و حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

وفاة أمه (ص) : قال ابن إسحاق . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمه آمنة بنت وهب ، وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ، ينفته الله نباتا حسنا ، لما يربد به من كرامته ، فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ست سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

عمر رسول الله (ص) حين وفاة أمه : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم :

أن أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آمنة توفيت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ست سنين بالآبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدى بن النجار تزييره إياهم ، فأتت ، وهي راجعة به إلى مكة (١) .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سلى بنت عمرو النجارية ، فهذه الخثولة التي ذكرها ابن إسحاق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم .

(١) قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : حج بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ، وهو بك حزين مغم ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا حميراء استمسكي ، فاستندت إلى جنب البعير ، فكش عني طويلا مليا ، ثم إنه عاد إلي ، وهو فرح مبسم ، فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندى ، وأنت بك حزين مغم ، فبكيت لبكائك ، ثم عدت إلى ، وأنت فرح مبسم ، فمسح ذاك يا رسول الله ، فقال : ذهبت لقبر آمنة أمي ، فسألت أن يحييها ، فأحيها فأمنت بي ، أو قال : فأمنت . وردها الله عز وجل .

إبراهيم بن عبد المطلب له (ص) : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيهِ لإجلاله له ، قال : فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي ، وهو غلام جفر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب - إذا رأى ذلك منهم : دعوا ابني ، فوالله إن له لشأنا ، ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ، ويسره ما يراه يصنع .

وفاة عبد المطلب وما رثى به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد القيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين .

عبد المطلب يطلب من بناته أنه يرثيه : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعرف أنه ميت جمع بناته ، وكن ست لستوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لمن : أيكن عليّ حتى أسمع ما تqlن قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب : كتبناه :

رثاء صفية بنت عبد المطلب لأبيها : فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أباهما :
أرقتُ لصوت نائحة بليل على رجل بقارعة الصّعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي على خدي كمنحدر الفريد^(١)

(١) يروى : كمنحدر بكسر الدال أي : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدر الفريد ، وعلى رواية الفتح شبهه للفيض بالانحدار .

على رجل كريم غير وَغُلَّ
على الفياض شَيْبَةً ذى المعالى
صدوق فى المواطن غير نَكَسْ
طويل الباع ، أروع شَبِظْمَى
رفيع البيت أبلج ذى فُضُول
كريم الجذ ليس بذى وَصُوم
عظيم الحلم من نفر كرام
فلو خَلَدَ امرؤ لقديم مجد
لكان مَحَلَّدًا أخرى الليالى
له الفضل المبين على العبيد
أبيك الخير وارث كل جود (١)
ولا شَخَتْ المقام ولا سَنِيد (٢)
مطاع فى عشيرته حميد
وغيث الناس فى الزمن الحرود
يروق على المُسَوِّد والمُسَوِّد
خضارمة ملاوثة أسود (٣)
ولكن لا سبيل إلى الخلود
لفضل المجد والحسب التليد

رثاء برة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباهما :
أَعْيَنَى جودا بدمع درر
على ماجد الجد وارى الزناد
على شية الحمد ذى المسكُرمات
وذى الحلم والفصل فى النابتات
له فضل مجد على قومه
أنته المنايا ، فلم تُشَوِّه
على طيب الخيم والمعتصر
جميل المحيّا عظيم الخطر
وذى المجد والعز والمفتخر
كثير المكارم ، سَجَمَ الفَجَر
منير ، يلوح كضوء القمر
بصرف الليالى ، ورب القدر (٤)

(١) قولها : أليك الخير . أرادت : الخير فخفضت ، كما يقال : هين وهين ، وفى التنزيل : وخيرات حسان .

(٢) الشخت : ضد الضخم ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضخم المقام ظاهره . والسنيذ : للضعيف الذى لا يستقل بنفسه ، حتى يستند رأيه إلى غيره .

(٣) : ملاوثة : جمع ملوثة من اللوثة ، وهى القوة ، كما قال المُكْتَبَر :

عند الحفيظة لب ذو لؤثة لائما

وقد قيل : إن اسم الليث منه أخذ ، إلا إن واره انقلب ياء ؛ لأنه فيمل ، فخفض .

(٤) لم تشوه : أى : لم تصب الشوى ، بل أصابت المقتل ، وقد تقدم فى حديث عبد المطلب وضربه بالقداح على عبد الله ، وكان يرى أن السهم إذا خرج على غيره أبه قد أشعري ، =

رثاء عاتكة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكي أباه :

أَعْيَنِي جوداً ، ولا تبخلأ	بدمعك بعد نوم النيام
أعيني واستحسنفراً واسكبا	وشوباً بكاء كما بالتدام
أعيني ، واستخرطاً واسجماً	على رجل غير نكس كهام
على الجحفل القصر في النائبات	كريم المساعي ، وفي الذمام (١)
على شية الحمد ، وارى الزناد	وذى مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب مصامة	ومرّدى المخاصم عند الخصام (٢)
وسهل الخليفة طلق اليدين	وف عذملى صميم لهام (٣)
تبينك في باذخ بيته	رفيع الذؤابة صعب المرام

رثاء أم حكيم بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباه :

ألا يا عين جودى واستهلى	وبكئى ذا الندى والمكرات
ألا يا عين ويحك أسعفينى	بدمع من دموع هاطلات
وبكى خير من ركب المطايا	أباك الخير تيار الفرات

== أى : قد أخطأ مقتله ، أى : مقتل عبد المطلب وابنه ، ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرق فالأول من الشوى ، وهذا من الشى بالنار ، قاله أبو حنيفة .

(١) : على الجحفل . جعلته كالجحفل ، أى : يقوم وحده مقامه ، والجحفل : لفظ منحوت من أصلين ، من : جحف وجفل ، وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أى : يقشره ، ويجفل : أى يقلع ونظيره نهشل الذئب ، هو عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من نهشت اللحم ونشلته .

(٢) المردى : مُفْعَل من الردى ، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به ، وفي المثل : كل ضب عنده ميرداته .

(٣) قولها : وف . أى : وفى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عذملى . العذملى : الشديد . والهام : فال من لهمت الشئ . ألهمه : إذا ابتلته ، قال الراجز :

كالحوت لا يرويه شئ . يلهمه يصبح عطشاناً وفي البحر فه
ومنه سم . الجيش : لهما .

طويل الباع شية ذا المعالي كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقرابة هبزيّا وغيثا في السنين المحلات
وليثا حين تشتجر العوالي تروق له عيون الناظرات
عقيل بني كنانة والمرجى إذا ما الدهر أقبل بالهفات
ومفزعها إذا ما هاج هيج بداهية ، وخصم المعضلات
فبكيه ولا تسمي بحزن وبكى ، ما بقيت ، الباكيات

رثاء أميمة بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباهما :
ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد وساق الحبيج ، والحامى عن المجد
ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته إذا ما سماء الناس تبخل بالزهد
كسبت وليد أخير ما يكسب الفتى فلم تنفكك تزداد يا شية الحمد
أبو الحارث الفياض ، خلى مكانه فلا تبعدن ، فكل حى إلى بُعد
فإني لباك - ما بقيت - وموجع وكان له أهلا لما كان من وجدى
سفاك ولئى الناس فى القبر مطرا فسوف أبكيه ، وإن كان فى العهد
فقد كان زينا للعشيرة كلها وكان حميدا حيث ما كان من حمد

رثاء أروى بنت عبد المطلب لأبيها : وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكي أباهما :
بكت عيني ، وحق لها البكاء على سمح ، سجيته الحياء
على سهل الخليفة أبطحى كريم الخيم ، نيته العلاء
على الفياض شية ذى المعالي أليك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أهدس ، شيطمى أغر كان غرته ضياء
أقرب الكشح ، أروع ذى فضول له المجد المقدم والثناء
أبى الضيم ، بلج هبزيّا قديم المجد ليس له خفاء
ومعقل مالك ، وربيع فهر وفاصلها إذا التمس القضاء (١)

(١) : ومعقل مالك وربيع فهر . تريد : بنى مالك بن النضر بن كنانة .

وكان هو الفتى كرماً وجوداً وبأساً حين تنسكب الدماء
إذا هاب السجاة الموت حق كان قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما بذى رُبْد خَشِيب عليه - حين تبصره - البهاء (١)

عجائب عبر المطلب بالرئاء : قال ابن إسحاق : فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه ، وقد أصمت : أن هكذا فابكيتني .

نسب المسيب بن مزهر : قال ابن هشام : المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

رثاء حذيفة بن غانم لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال حذيفة (٢) بن غانم أخو بني عدى بن كعب بن لؤي يبيكي عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قصى على قريش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أخذ بغُرْم أربعة آلاف درهم بمكة ، فوقف بها فربه أبو لهب عبد المزي بن عبد المطلب ، فافتكه :

أعيتي جوداً بالدموع على الصدر ولاتسأماً أَسْقَيْتُنَا سَبَلَ القَطَر
وجوداً بدمع ، واسفعا كل شارق بكاء امرئ لم يشوره نائب الدهر
وسُحّاً وجُحّاً ، واسجها ما بقيتنا على ذى حياء من قريش ، وذى ستر

(١) قولها : بذى رُبْد . تريد : سيفاً ذا طرائق . والرُبْد : الطرائق . وقال صخر الغنى :

وصارم اخلصت خشيبته أبيض مَسْهُو في منته ربد

(٢) وهو والد أبي جهنم بن حذيفة ، واسم أبي جهنم : عُبَيْد ، وهو الذي أهدى الحميصه لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى عليها . الحديث . وقد روى أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بخميصتين ، فأعطى إحداها أبا جهنم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ، فلما نظر إلى عليها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهنم ، وأخذ الأخرى بدلا منها ، هكذا رواه الزبير : وأم أبي جهنم : يُسَئِرَة بنت عبد الله بن أذاة ابن رياح ، وابن أذاة : هو خال أبي قحافة ، وسيات نسب أمه ، وقد قيل : إن الشعر لحذافة بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة .

على رجل جلد القسوى ، ذى حفيظة
على الماجد الهلول ذى الباع والشهى
على خير حاف من معد وناعل
ووخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا
وأولاهم بالماجد والحلم والنهى
على شَيْبَةِ الحمد الذى كان وجهه
وساقى الحجيح ثم للخبز هاشم
حطوى زمزما عند المقام ، فأصبحت
لَيْبِكَ عليه كل عان بكربة
دنوه مَرَاة ، كهلهم وشبابهم
قَصَى الذى عادى كنانة كلها
هَانِ تَكْ غَالَتِ المنايا وصرفها
وأبقى رجالا سادة غير عُزَّال
أبو عتبة الماتى إِلَى حَبَاوَه
وحزمة مثل البدر ، يهتز للندى
وعبد مناف ماجد ذو حفيظة
كهولهم خير الكهول ، ونسلمهم
حتى ما تلاقى منهم الدهر ناشئا
مُملُّوا ملثوا البطحاء مجداً وعزة
وفيهم بناة للعلا وعمارة

جميل المحييا غير نكس ولا هذر^(١)
ربيع لوى فى القحط وفى العسر
كريم المساعى ، طيب الخيم والنجر
وأحظاهم بالمُكْرَمات وبالذكر
وبالفضل عند المُجْهِفَات من الفُتْنِ
يضىء سواد الليل كالقمر البدر
وعبد مناف ، ذلك السيد الفهري
سقايتَه شُغْرًا على كل ذى شُجْر
وآل قصى من مُقْلٍ وذى وَفْر
تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر
ورابط بيت الله فى العسر واليسر
فقد عاش ميمون النقية والامر
مصاليح أمثال الرُّدَيْنِيَّة السمر
أغر ، هيجان اللون من نفر غر
نقى الثياب والذمام من القدر
وصول لذى القربى رحيم بذى الصبر
كنسل الملوك ، لا تبور ولا تحرى^(٢)
تجده بإجربًا أوائله يجرى
إذا استُئْتِ الخيرات فسالف العمر
وعبد مناف جدهم ، جابر السكر

(١) التَّكْسُ من السهام : الذى نُكْسَ فى الكنانة ليئزه الراعى ، فلا يأخذه لرداءته .
موقيل : الذى انكسر أعلاه ؛ فنكس ورُدْ أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرى .

(٢) لا تبور ولا تحرى . أى : لا تهلك ولا تنقص ، ويقال للأسمى : حارية لرقتها .
موفى الحديث : ما زال جسم أبى بكر يجرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى : ينقص
لحمه ، حتى مات .

بأنكاح عوف بفتة ليجيرنا
فخرنا تهاى البلاد ونجدها
وهم حضروا والناس باد فرقةهم
بنو هادي بار أجسة، وطووا بها
لكي يشرب الحجاج منها، وغيرهم
ثلاثة أيام تظل ركبهم
وقد ما عسنا قبل ذلك حقبة
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه
وهم جمعوا حلف الاحابيش كلها
نخرج إما أهـكن ، فلا تزل
ولا نفس ما أسدى ابن لبني ؛ فإنه
وأنت ابن لبني من نهي إذا اتعوا
وأنت تناوات الـلا ، لجمتها
سبت وقت القوم بذلا ونائلا
وأملك مر من خزاعة جوهر
إلى سبأ الأبطال تسمى، وتنتهى
أبو شمر منهم ، وعمرو بن مالك
وأسمد قاد الناس عشرين حجة

من اعدائنا إذ أسلطنا بنو فهر
بأمنه حتى خاضت العير في البحر
وليس بها إلا شيوخ بنو عمرو (١)
بثأر أسح الماء من ثبج البحر
إذا ابتدروها صبح تابعة النحر
مخيسة بين الاخاشب والحجر
ولا لستقى إلا بحم أو الحفر
ويقهون عن قول السفاهة والمهجر
وهم نكلوا عنا غواة بنو بكر
لهم شاكر أحق تغيب في القبر
قد أسدى يد أعقوفة منك بالشكر
بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
إلى محمد للمجد ذى ثبج جسر
وسدت وليد أكل ذى سؤدد غممر
إذا حصل اللساب ، وما ذو والخبر
فأكرم بها مفسوبة في ذرا الزهر
وذو جدر من قومها وأبو الجبر (٢)
يسؤيد في تلك المواطن بالنصر (٣)

- (١) يزيد : بنو هاشم ؛ لأن اسمه عمرو .
(٢) أبو شمر ، وهو شمر الذى بنى سمرقند ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأمـلوك .
ويمحتمل أن يكون أراد أبا شمر النـسائي والد الحارث بن أبى شمر .
وعمر بن مالك الذى ذكر : أحسبه عمراً ذا الأذعار ، وقد تقدم فى التبابعة ، وهو من
ملوك الـلين ، وإنما جعلهم مفخراً لأبى لمب ؛ لأن أمه خزاعية من سبأ ، والتبابعة كلهم من
حـير بن سبأ .
وأبو جبر الذى ذكره فى هذا الشعر : ملك من ملوك الـلين ، ذكر القتي أن سمية أم زياد ،
كانت لأبى جبر ملك من ملوك الـلين ، دفعها إلى الحارث بن كلدة المتطبب فى طب طبه .
(٣) أسمد أبو حسان بن أسمد ، وقد تقدم فى التبابعة .

قال ابن هشام : « أمك سر من خزاعة » ، يعنى : أبا لب ، أمه : لبنى بنت هاجر الخزاعى ، وقوله : « يا جثرياً أوائله » ، عن غير ابن إسحاق .

رثاء مطرود الخزاعى لعبد المطلب : قال ابن إسحاق : وقال مطرود بن كعب الخزاعى
يبكى عبد المطلب وبني عبد مناف :

يا أيها الرجل المحسول رحله	هلا سألت عن آل عبد مناف
هبتك أمك ، لو حلت بدارم	تخينوك من جُرم ومن إفراف (١)
الخالطين غنيهم بفقيرهم	حق يعود فقيرهم كالكافي
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحلة الإيلاف
والمنعمين إذا الرياح تناوحت	حق تغيب الشمس في الرجأف (٢)
إما هلكت أبا الفعال فما جرى	من فوق مثلك عقد ذات نطاف (٣)
إلا أليك أخى المكارم وحده	والفيض مُطَّاب أبى الأضياف (٤)

قال ابن إسحاق : فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليها بعده العباس

(١) أى : منعوك من أن تُنكح بناتك أو أخواتك من لثيم ، فيكون الابن مقرفاً لاؤم أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وصم من ذلك ، ونحو منه قول مهمل :
أنكحها فقدما الأراقم فى جنب ، وكان الحباء من آدم
أى : أنكحت لغربتها من غير كف .

(٢) يعنى : البحر لأنه يرجف . ومن أسمائه أيضاً : خضارّة ، والدأماء وأبو خالد .
(٣) النطف : اللؤلؤ الصافى . ووصيفة منطقة أى : مقرطة بتوأمتين والنطف فى غير هذا :
التلطح بالعيب ، وكلاهما من أصل واحد ، وإن كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى ؛ لأن
النطفة هى الماء القليل ، وقد يكون الكثير ، وكان اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النطفة . والنطف
الذى هو العيب : أخذ من نطفة الإنسان ، وهى ماؤه ، أى : كأنه تلطح بها .

(٤) والفيض مطلب أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه كالأب . والعرب تقول
لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مرة بن محكان :

أدعى أباهم ، ولم أقرِف بأهم وقد عَمِرْتُ ولم أعرف لهم سباً

ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً^(١) ، فلم تزل إليه ، حتى قام الإسلام وهي بيده . فأقرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له على ما مضى من ولايته ، فهي إلى آل العباس ، بولاية العباس لإياها ، إلى اليوم .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى به عمه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبا طالب أخوان لأب وأم . أمهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم .

قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم .
قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلى أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد جده ، فكان إليه ومعه .

اللازمي العائذ : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلاً من لُحَب - قال ابن هشام : ولُحَب : من أزد شنوءة^(٢) - كان عائفاً ، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظرون إليهم ، ويعتاف^(٣) لهم فيهم . قال . فأتى به

(١) يقول السهيلي مما ينه النحويون أن يقال : زيد أفضل لإخوته . وليس بممتنع ، وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسن ، لأن المعنى : زيد يفضل لإخوته ، أو يفضل قومه ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفعل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أكرم أخويه ، إلا أن تقول : الأخوين ، بغير إضافة .

(٢) وقال غيره : وهو لُحَب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك ابن نصر بن الأزد . وهى القبيلة التى تعرف بالعبافة والزجر .

(٣) : يعتاف لهم : هو يفتل من العيف . يقال : عفت الطير . واعتفتُها عيلفة واعتافاً : وعفت الطاء أم أعافه عَيْفًا ، وعافت الطير الماء عيافاً .

أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم شغله عنه شيء ، فلما فرغ قال : الغلام . علىَّ به ، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه ، فجعل يقول : ويلكم ! ردوا عليَّ الغلام الذي رأيت آتياً ، فوالله ليكون له شأن . قال : فانطلق أبو طالب .

قصة بحيرى

محمد (ص) يخرج مع عمه إلى الشام : قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسير صَبَّ (١) به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فرقَّ له ، وقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه . (٢)

بحيرى بمخفى بنجار قريش : فلما نزل الركب بُضِرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له . بحيرى (٣) في صومعة له ، وكان إليه علم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب ، إليه يصير عليهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كبر . فلما نزلوا ذلك العام ببخيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ،

(١) العصابة : رقة الشوق ، يقال : صَبَبْتُ - بكسر الباء - أَصَبَّ ، ويذكر عن بعض السلف أنه قرأ : « أَصَبَّ لِهِنَّ وَأَكْنَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ أَبِي بَحْرٍ : ضَبَّتْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَيْ : لَزِمَهُ . قال الشاعر :

كَأَنَّ فَوَادِي فِي يَدِ ضَبَبْتُ بِهِ مُحَاذِرَةٌ أَنْ يَنْقَضِبَ الْجَبَلُ قَاضِبُهُ
(٢) كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف في السير ، وقال الطبري : ابن ثلثي عشرة سنة .

(٣) وقع في سير الزهرى أن بحيرى كان حبراً من يهود تيماء ، وفي المسعودي : أنه كان من عبد القيس . واسمه : سَرْجِس ، وفي المعارف لابن قتيبة ، قال : سُمِعَ قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف : ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة : بحيرى ، ورباب بن البراء الشنسي ، والثالث : المنتظر ، فكان الثالث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال القتيبي : وكان قبر رباب الشنسي ، وقبر ولده من بعده ، لا يزال يرى عليها طشش ، والطنش : المطر الضعيف .

حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك - فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وغمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فزولوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتمصرت أغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إن قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ، صغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرکم ، فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى إن لك لشأناً اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً ، فاشأناك اليوم ؟ قال له بحيرى : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أحببت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاماً ، فتأكلوا منه كلكم . فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحداثة سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويحد عنده ، فقال : يا معشر قريش ! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سناً ، فتخلف في رحالهم ، فقال : لا تفعلوا ، ادعوه ، فليحضر هذا الطعام معكم . قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللوات والعزى ، إن كان للزوم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ، ثم قام إليه فاحتضنه ، وأجلسه مع القوم .

بحيرى يتنبت من محمد (ص) : فلما رآه بحيرى ، جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، قام إليه بحيرى ، فقال : يا غلام ، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك ؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا أسألك باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما ، فقال له بحيرى : هب الله إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه ، فقال له : سلني عما بدالك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه وهيئته وأمواره ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره ؛ فرأى خاتم النبوة بين كفيه على موضعه من صفته التي عنده .

قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم .^(١)

بحري يوصي أبا طالب بمحمد (ص) : قال ابن إسحاق : فلما فرغ ، أقبل على عمه أبي طالب ، فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال له بحري : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، قال : فإنه ابن أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حيا . قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه ، وعرفوا منه ما عرفت لَيَسْبِفُنَّه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلاده .

بعضه من أهل الكتاب يبررونه . محمد (ص) السمر : خرج به عمه أبو طالب سريما ، حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس : أن زُرِيْرًا وتَمَامًا وذرِيسا - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما رآه بحري في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب ، فأرادوه ، فزدهم عنه بحري ، وذكرهم الله وما يحدون في الكتاب من ذكره وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لمأرادوا به لم يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه .

محمد (ص) يسب على مطرم الأُمَلَو : فشب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم جوارا ، وأعظمهم حِلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والاختلاق التي تدنس الرجال ، تنزهها وتكرما ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

رسول الله (ص) يحدث عن حفظ الله : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته ، أنه قال :

(١) يعني : أثر المحجمة القابضة على اللحم ، حتى يكون ناتئا . وفي الخبر أنه كان حوله خيلا في شجرات سود . وفي صفته أيضا أنه كان كالنفاحة ، وكرر الحجلة . وفي حديث آخر : كان كبيضة الحمامة ، وفي حديث عياذ بن عبد عمرو : قال ، رأيت خاتم النبوة ، وكان كزكبة العز .

لقد رأيتني في غلبان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلبان ، كلنا قد تمرى به وأخذ لإزاره ، فجعله على رقبته ، يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر ، إذ لكنني لا أكم ما أراه ، لكفة وجيعة ثم قال : شد عليك إزارك . قال : فأخذته وشدته على ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري على من بين أصحابي . (١)

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة — فيما حدثني أبو عبيدة النخعي ، عن أبي عمرو بن العلاء — هاجت حرب الفجار (٢) بين قريش ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان .

(١) وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنیان الكعبة ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ينقل الحجارة مع قومه إليها ، وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقييم الحجارة ، وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يحملها على عاتقه ، وإزاره مشدود به ، فقال له العباس رضى الله عنه : يا بن أخى ! لو جعلت إزارك على عاتقك ، ففعل فسقط منشياً عليه ، ثم قال : إزارى إزارى ! فشد عليه إزاره ، وقام يحمل الحجارة ، وفي حديث آخر : أنه لما سقط ، ضمه العباس إلى نفسه ، وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودى من السماء : أن اشدد عليك إزارك يا محمد ، قال : ولأنه لأول ما نودى ، وحديث ابن إسحاق إنه صح أنه كان في حال صغره إذ كان يلعب مع الغلبان فحملة أن هذا الأمر كان مرتين ، مرة في حال صغره ومرة في أول اكتهاله عند بنیان الكعبة . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) الفجار بكسر الفاء بمعنى : الكُفَّةُ جَرَّةٌ كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمى : الفجار .

فجارات العرب : وكانت للحرب فجارات أربع ، ذكرها المسعودى ، آخرها : فجار البراض المذكور في السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شمسطة ، ويوم العلاء ، وهما عند عكاظ ، ويوم الشَّرب ، وهو أعظمها يوماً ، وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان =

سببها : وكان الذى هاجبها أن عُرِوة الرِّحَال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن هوازن ، أجاز لَطِيمَةً^(١) للنعمان بن المنذر ، فقال له البراءض . ابن قيس ، أحد بنى ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة : أتجئرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرِّحَال ، وخرج البراءض يطلب غفلته ، حتى إذا كان بتَيْسَمَنْ ذى طَلالٍ بالعالية ، غفل عروة ، فوثب عليه البراءض ، فقتله فى الشهر الحرام ، فلذلك سَمِيَ : الفَجَّار . وقال البراءض فى ذلك :

ودامية تهم الناس قبلى شددتْ لها - بنى بكر - ضلوعى
هدمت بها بيوت بنى كلاب وأرضعت الموالى بالضرع^(٢)
رفعت له بذى طلالٍ كفى فخر يمد كالجدع الصريع^(٣)

== وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا ، فسما : العنابس ، ويوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بنى نصر منهم ، فإنهم ثبتوا ، ولم يقاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أعمامه ، وكان ينبل عليهم ، وقد كان بلغ سن القتال ؛ لأنها كانت حرب نجار ، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً ، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هى العليا .

(١) اللطيمة : غير تحمل البز والعطر .

(٢) الضروع . جمع ضرع ، هو فى معنى قولهم : لثيم راضع ، أى : ألحقت الموالى بمنزلتهم . من اللؤم ورَضاع الضَّرْعُوع ، وأظهرت رذالتهم وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم .

(٣) قول البراءض : رفعت له بذى طلالٍ كفى . فلم يصرفه ، يجوز أن يكون جعله اسم بقعة ، فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذات طلال ، أى : ذات هذا الاسم للبؤث ، كما قالوا : ذو عمرو أى : صاحب هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذات هند (مثلاً) ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وصفا لطريق ، أو جانب مضاف إلى طلال اسم البقعة . وأحسن من هذا كله أن يكون طلال اسماً مذكراً علماً ، والاسم العلم يجوز ترك صرفه فى الشعر كثيراً . ووقع فى شعر البراءض مشدداً ، وى شعر لبيد الذى بعد هذا مخففاً ؛ نقول : إن لبيداً خففه للضرورة ، ولم نقل : لأنه شدد للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَمَال من الطال ، كأنه موضع يكثر فيه الطل ، فطلال بالتخفيف لا معنى له ، وأيضاً ؛ فإننا وجدناه فى الكلام المنشور مشدداً .

وقال ليبد بن مالك بن جعفر بن كلاب :
أبلغ - إن عرضت - بني كلاب وعامر والخطوب لما موال
وبلغ - إن عرضت - بني ثُمَيْث وأخوال القتييل بني هلال
بأن الوافد الرِّحَال أُمسى مقبما عند تَيْمَنَن ذى طلال
وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قتال هوازن لقريضة : قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إن البراض قد قتل عروة ، وهم في الشهر الحرام بعكاظ ، وهوازن لا تشعر ، ثم بلغهم الخبر فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازن ، ثم التفتوا بعد هذا اليوم أياما ، والقوم متساندون ، على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم ، وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم .

الرسول صلى الله عليه وسلم يشهر القتال وهو صغير : وشهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعض أيامهم ، أخرجهم أعمامهم معهم ، وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : كنت أنبئ على أعمامى ، أى : أرد عنهم ، نبئل عدوهم ، إذا رموهم بها .

سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هذه الحرب : قال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن عشرين سنة .

سبب تسمية هذا اليوم بالفجار : وإنما سمي يوم الفجار ، بما استحل هذان الحيان : كنانة وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم .

قائد قريضة وكنانة : وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس ، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة ، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس . قال ابن هشام : وحديث الفجار أطول مما ذكرت ، وإنما منعتى من استقصائه قطعه . حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم (١) .

(١) وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد . وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيا في حجره ، ففُضِّن به حرب ، وأشفق من خروجه معه ، فخرج عتبة بغير إذنه ، فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين =

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

سنة - صلى الله عليه وسلم - مئة زواجه : قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة (٢)، تزوج خديجة (٣) بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدنى .

مُروجه (ص) إلى التجارة بمال مُبرجة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشيء يجعلهم ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها : من

==الصفين ينادى : يا معشر مضر ، علام تقاتلون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ فقال : الصلح ؛ على أن ندفع إليكم دية قتلاكم ، ونعفو عن دماننا ، قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع إليكم رهننا منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، فرضوا ورضيت كنانة . ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً ، فيهم : حكيم بن حزام ، فلما رأته بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم ، عَفَوْا من الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار ، وكان يقال : لم يسُد من قريش مُسَلِّق إلا عتبة وأبو طالب ، فإنهما سادا يغير مال .

(٢) وقيل كان سنة - صلى الله عليه وسلم - إحدى وعشرين سنة وقيل ثلاثين .

(٣) خديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير التيمي : أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش . وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند هند بن ذرارة وكانت قبله عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ولدت له عبد مناف ابن عتيق ، وقال الزبير : ولدت لعتيق جارية اسمها : هند ، وولدت لهند : ابنا اسمه : هند أيضاً ، مات بالطاعون : طاعون البصرة ، ولخديجة من هند ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهر ، واسم الآخر : هالة .

صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فمرضت عليه أن يخرج في ماله لها إلى الشام تاجراً ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

مدينته (ص) مع الراهب : فزل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في ظل شجرة قبياً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(١) .

ثم باع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري . ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه ميسرة ، فكان ميسرة — فيما يزعمون — إذا كانت الهاجرة ، واشتد الحر ، يرى ملكين يُظِلَّانَه من الشمس — وهو يسير على بعيره ، فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به ، فأضعف أو قرييا . وحدثها ميسرة عن قول الراهب ، وعما كان يرى من إخلال الملكين إياه .

فريجة ترغب في الزواج منه (ص) : وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله

(١) ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ، ولم يرد : ما نزل تحتها قط إلا نبي ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان في لفظ الخبر : قط ، فقد تكلم بها على جهة التوكيد ، والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدري أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى ، أو غيره من الأنبياء — عليهم السلام — ويبعد في العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد ، حتى يجيء نبي ، إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث : لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم — عليه السلام — وهي رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره .

— صلى الله عليه وسلم — فقالت له فيما يزعمون : يا ابن عم^١ ، إني قد رغبت فيك لقرابتك ، وَاَسْطَيتُكَ^(١) في قومك وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا ، وأعظمهن شرفا ، وأكثرهن مالا ، كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

نسب فمدرجة رضى الله عنها : وهى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ، وأما : فاطمة بنت زائدة بن الأصم

(١) السُّطَّةُ : من الوسط ، مصدر كاللعدة والزَّنة ، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن في مقامين : في ذكر النسب ، وفي ذكر الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أوسط القبيلة أعرفها ، وأولها بالصميم وأبعدها عن الأطراف ، وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الوسط من أجل هذا مدحا في النسب بهذا السبب . وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : « قال أوسطهم » وقوله : « وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » فكان هذا مدحا في الشهادة ؛ لأنها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان ، لا يميل مع أحد ، بل يصمم على الحق تصميما ، لا يجذبه هوى ، ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة ، من هاهنا ، ولا من هاهنا ، فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل . وظن كثير من الناس أن معنى الأوسط : الأفاضل على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوسطى : الفضلى ، وليس كذلك ، بل هو في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم ، كما يقتضى لفظ التوسط ، فإذا كان وسطاً في السَّخَن ، فهو بين المُسَخَّةِ والعجفاء ، والوسط في الجمال بين الحسناء والشَّوْهَاء ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا في المثل : أنقل من مُسَخَّنٍ وسط على الذم ؛ لأن المغنى إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان بارداً جداً أضحك وألمى ، وذلك أيضاً مما يُمتنع . قال الجاحظ : وإنما الكرب الذى يَحْشُمُ على القلوب ، يأخذ بالأنفاس ، الغناء الغائر الوسط الذى لا يمتنع بحسن ، ولا يضحك بلبو ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو : أوسط الناس . أى : أفضلهم ، ولا يوصف بأنه وسط في العلم ، ولا في الجود ، ولا في غير ذلك إلا في النسب والشهادة ، كما تقدم والحمد لله ، والله المحمود . عن الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣

ابن رَوَاحَةَ بنِ حَجَّجَ بنِ عَبْدِ بنِ مَعِيصِ بنِ عَامِرِ بنِ لُؤَى بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرٍ . وأم فاطمة =
هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى
ابن غالب بن فِهْرٍ . وأم هالة : قِلَابَةُ بنت سَمَيْدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمِ بنِ عمرو بنِ
مُصَيِّصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَى بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرٍ .

الرسول (ص) يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه : فلما قالت ذلك لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه عمه حمزة^(١) بن عبد المطلب - رحمه الله -
حتى دخل على خويلد^(٢) بن أسد فنخطبها إليه ، فتزوجها .

صدوق خديجة : قال ابن هشام : وأصدقها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرين
بكرة ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يتزوج عليها غيرها
حتى مات ، رضى الله عنها .

أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة : قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُكنى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ،
والطيب^(٣) ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

(١) ويقال : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان بما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً بمن
لا يُوازن به فتي من قريش إلا رجع به شرفاً ونُبُلًا وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال
قلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، وله
فيه مثل ذلك » .

(٢) وعن ابن عباس ، وعن عائشة - رضى الله عنهم كلهم - قال : إن عمرو بن
أسد هو الذى أُنكح خديجة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأن خويلداً كان قد
هلك قبل النكاح .

(٣) الطاهر والطيب لقبان للقاسم ، سُبِّحَ بالطاهر والطيب ؛ لأنه ولد بعد النبوة ،
واسمه الذى سُمى به أوَّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسم المشي ، غير أن رضاعته لم تكن كملت =

ترتيب وروايتهم : قال ابن هشام : أكبر بنيه : القاسم ، ثم الطيب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطيب ، والطاهر فهلكوا في الجاهلية .

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلن وهاجرن معه - صلى الله عليه وسلم - .

إبراهيم وأمه : قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : مارية القبطية . حدثنا عبد الله ابن وهب عن ابن أبي عمير ، قال : أم إبراهيم : مارية سرية النبي - صلى الله عليه وسلم - التي أهداها لإليه المقوقس من حَفَنٍ من كُورَةِ أَنْصِنَا .

ورقة بنتاً له (ص) بالنسبة : قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة (١) بن نوفل بن أسد بن عبد المزي - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تنبَّع الكتب ، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يُظْلَآنَه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُسْتَنْظَر ، هذا زمانه ، أو كما قال .

شعر لورقة : لجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول : حتى متى ؟ فقال ورقة في ذلك :

لَسَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ لَجُوجاً لِيهِمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيجَا

== وقد وقع في مسند الفرّابي أن خديجة دخل عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد موت القاسم ، وهي تبكي : فقالت : يا رسول الله ذكّرت لبَيْتَةِ القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لمولّد عليّ ، فقال : إن له مرضعاً في الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لمولّد عليّ ، فقال : إن شئت أسمعك صوته في الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله .

(١) وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ، ولأعقب له ، وهو أحد من آمن وسلم - قبل البعث - راجع الروض الالاف بتحقيقنا ج ١ ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
بيطن المكتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا^(١)
بما خبرتنا من قول قيس من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا ويخصم من يكون له حجيجا

(١) ثنى مكة ، وهى واحدة ؛ لأن لها بطاحاً وظواهر ، على أن للعرب مذهباً فى أشعارها
فى تثنية البقعة الواحدة ، وجمعها ، نحو قوله : وميت بغزات ، يريد : بغزة ، وبغادين فى بغداد ،
وأما التثنية فكثير نحو قوله :

بالرقتين له أجر وأعراس والحمتين سقاك الله من دار
وقول زهير • ودار لها بالرقتين • وقول ورقة من هذا : بيطن المكتين . لا معنى لإدخال
الظواهر تحت هذا اللفظ ، وقد أضاف إليها البطن ، كما أضافه المبرق حين قال :

بيطن مكة مقهور ومفتون
ولئنا يقصد العرب فى هذا الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ،
فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صدنا بقنوين ، وهو هنا اسم جبل ، وقال عنترة .

شربت بماء الدحضر ضنين

وهو من هذا الباب فى أصح القولين ، وقال عنترة أيضاً :

بعُنَيْنَتَيْنِ وأهلنا بالعميلم

وعنيزة اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عشية سال الثمر بكدان كلاهما

ولئنا هو مربد البصرة . وقولهم :

تسألنى برامتين سلجماً

ولئنا هو رامة . وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت فى ذكر جنة
وبستان ، قسمها جنتين فى فصيح الكلام ، لإشعاراً بأن لها وجهين ، وأنتك إذا دخلتها ،
وفظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قرة ، وصدرك مسرة ، وفى
التنزيل : «لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية : جنتان عن يمين وشمال ، إلى قوله سبحانه : «وبدلناهم
بجنتين ، وفيه : «جعلنا لأحدهما جنتين ، الآية . وفى آخرها : «ودخل جنته ، =

ويظهر في البلاد ضياء نور يقيم به البرية أن تموجا^(١)
 فيلقى من يجاربه خساراً ويلقى من يسأله^١ فلوجا
 غياليقي إذا ما كان ذاكم شهدت فكنت أولهم ولوجا
 ولوجا في الذي كرهت قريش ولو عجبت بمكثها عجيجا
 أرجى بالذي كرهوا جميعاً إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
 وهل أمر السفالة غير كفر بمن يختار من سمك البروجا
 فإن يبقوا وأبقى تكن أمور يضح الكافرون لها ضجيجا
 وإن أهلك فكل فتى سيلقى من الأقدار متلطفاً حمرؤجا

== فأفرد بعد مائتي ، وهي هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : ولئن
 خاف مقام ربه جنتان ، والقول في هذه الآية يتسع .

وفي البيت : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه : الهاء راجعة على الحديث ، وحرف
 الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة المصدر عندهم ، فلا
 يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدر بأن والفعل ، فإعمل فيه هو من صلة أن ، فلا يتقدم ،
 فن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدره من مصدر ، فقد أخطأ المفسر ،
 وتاه في تضلل ؛ ففي التنزيل : « أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ، ومعناه : أكان
 عجبا للناس أن أوحينا ، ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ،
 ولا موضع حال لعدم العامل فيها . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
 (١) هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ،
 وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : « فلما أضاءت ماحوله
 ذهب الله بنورهم » . وفيه : « جعل الشمس ضياء ، والقمر نورا » ، لأن نور القمر لا ينتشر
 عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، ولا سيما في طرفي الشهر . وفي الصحيح : « الصلاة نور ،
 والصبر ضياء » ، وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام ، وهي ذكر وقرآن ، وهي تنهى عن
 الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن
 هذا النور الذي هو القرآن ، والذكر . وفي أسماء البارئ سبحانه ، والله نور السموات
 والارض ، ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه .

حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر

سبب هذا البنيان : قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نحسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة^(١) ، وكانوا يهيمون بذلك ، ليسقفوها ويهايون هدمها ، وإنما كانت رَحْمَةً^(٢) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وأسقيفها ، وذلك أن نفراً سرفوا كَفْزاً^(٣) الكعبة ، وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة ، وكان الذي وجد عنده الكنز دويكا مولى لبني مالح بن عمرو من خزاعة . قال ابن هشام : ففطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك ، وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جسدته لرجل من تجار

(١) وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قبيش ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تجمرها ، فطارت شرارة من المجرى في أستارها . فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : استأنا من تخليط أبي خبيث بشيء ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأما المسجد الحرام فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وأصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، فاشتري تلك الدور من أهلها وهدمها ، وبني المسجد المحيط بها ، ثم كان عثمان ، فاشتري دوراً أخرى ، وأغلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد ، فلما كان ابن الزبير زاد في إيقاعه ، لا في سعة ، وجعل فيه سمكاً من الرخام ، وزاد في أبوابه ، وحسنها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد ، وحمل إليه السوارى في البحر إلى جدة .

(٢) الرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال :
رُزِمَتْهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَّتْهُمْ كُتُوسُ الْمَنَائِيَا تَحْتَ صَخَرٍ مُرَضَّمٍ

الروم ، فنحطمت ، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها ، وكان بمكة رجل قبلى نجار^(١) ، فتهياً لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها ، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كان يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم ، فتَشْرِقُ^(٢) على جدار الكعبة ، وكانت بما يابون ، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احتزألت وكشئت^(٣) ، وفتحت فاهها ، وكانوا يهابونها ، فبينما هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة ، كما كانت تصنع ؛ بعث الله إليها طائراً فاخطفها ، فذهب بها ، فقالت قريش : إنا لترجو أن يكون الله قد رضى ما أردنا ، عثنا عامل زفيق ، وعندنا خشب ، وقد كفانا الله الحية .

أبو وهب - قال أبى رسول الله - وصاها لى عند بناء الكعبة : فلما أجمعوا أمرهم فى هدمها وبنائها ، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم . قال ابن هشام : عائذ بن عمران بن مخزوم . فتناول من الكعبة حجراً ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه . فقال : يا معشر قريش ، لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيباً ، لا يدخل فيها مهر أبى ، ولا بيع ربا ، ولا مظلة أحد من الناس . والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكي أنه حدث عن عبد الله بن صفوان ابن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُحَمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤى . أنه رأى ابناً لجمدة بن هبيرة بن أبى وهب بن عمرو يطوف بالبيت ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ابن لجمدة بن هبيرة ، فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك : جَد هذا ، يعنى : أباً وهب الذى أخذ حجراً من الكعبة حين أجمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده ، حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش : لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم إلا طيباً . لا تدخلوا فيها مهر أبى ولا بيع ربا ، ولا مظلة أحد من الناس .

(١) وذكر غيره أنه كان علجاً فى السفينة التى خَـجَـجَـتْها الريح إلى الشَّـعْـبِـيَّة ، وأن اسم ذلك النجار : ياقوم ، وكذلك روى أيضاً فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من طَرَفَاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فانه أعلم .

(٢) تتشرق : تبرز للشمس .

(٣) احتزألت ، أى : رفعت ذنبها ، وكشئت ، أى : صوتت .

سمر في أبي وهب : قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنخت مطيق غدت من نكداه رحلها غير خائب
بأبيض من قرع عى لؤى ، بن غالب إذا حُصّلت أنسابها في الذوائب
أبي لاخذ الضيم يرتاح للندى توسّط جدّاه فروغ الأطايب
عظيم رماذ القدر يملأ جفانه من الخبز يعلوهم مثل السباب

نصيب قبائل قريسه في تجرئة الكعبة : ثم إن قريشاً تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني عذوم ، وقبائل من قريش انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ، ابني عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤى وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن السعدي بن قصي ، ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم .

الوليد بن المغيرة يبرأ بهدم الكعبة : ثم إن الناس هابوا هدمها وفرّقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترع^(١) قال ابن هشام : ويقال : لم نزغ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية الركنين ، فقبص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصب شيء ، فقد رضى الله صنعنا ، فهدمنا ١١ فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس : أساس إبراهيم عليه السلام أفضّسوا إلى حجارة خضر كالأسنة^(٢) أخذ بعضها بعضا .

(١) اللهم لم ترع ، وهى كلمة تقال عند تسكين الرّوع ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا الوطن فيسنى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تسكروا بها ، وعلى هذا يجوز التسكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الروع الذى هو محال في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطق بها .

(٢) وليست هذه رواية السيرة الأصلية : إنما الصحيح في الكتاب : كالأسنة وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحاق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ =

استناع قريش عن هدم الأساس وسبب : قال ابن إسحاق : لحدثني بعض من يروى الحديث : أن رجلا من قريش ، ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ليقطع بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها ، فانتهوا عن ذلك الأساس .

الكتاب الذي وجه في الركن : قال ابن إسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بكه ، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض ، وصورت الشمس والقمر ، وحففتها بسعة أملاك حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشباها ، مبارك لأهلها في الماء واللبن (١) » . قال ابن هشام : أخشباها : جبلها .

الكتاب الذي وجه في المقاصم : قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل ، لا يحملها أول من أهلها (٢) » .

== لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري في بيان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هي كأسنة الإبل ، وتشبيها بالأسنة لا يشبه إلا في الزرقة ، وتشبيها بأسنة الإبل أولى ، لعظمها .

(١) روى معمر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال : بلغني أن قريشاً حين بنوا الكعبة ، وجدوا فيها حجرا ، وفيه ثلاثة صُفُوح ، في الصفحة الأولى : أنا الله ذوبكه صُغْتُها يوم صغت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحاق ، وفي الصفحة الثانية : أنا الله ذوبكه ، خلقت الرحم ، واشتقت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بكتته ، وفي الصفحة الثالثة : أنا الله ذوبكه ، خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه .

(٢) لا يحملها أول من أهلها ، يريد - والله أعلم - ما كان من استغلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْنَ بن مُعْمِر ، ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :
ألا من لقلبٍ مُعْنَى غَزَلٍ بِحُبِّ الْمُحِلَّةِ أخت المُحِلِّ
يعني بالمحل : عبد الله بن الزبير ؛ لقتاله في الحرم .

مجمع الكعبة المكتوب عليه العظة : قال ابن إسحاق : وزعم ليث بن أبي سُلَيْم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة — إن كان ما ذكر حقاً — مكتوباً فيه : « من يزرع خيراً ، يحصد غبطة ، ومن يزرع شراً ، يحصد ندامة . تعملون السيئات ، وتُجْزَوْنَ الحسنات ؟! أجل ، كما لا يجتنى من الشوك العنب . »

الغمامة بن قريش في وضع الحجر : قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الجحارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بنوها ، حتى بلغ البنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا وتحالفوا ، وأعدوا للقتال .

لعقة الدم : فقربت بنو عيد الدار جفنة مملوءة دماً ، ثم تماقدوا هم وبنو عدى بن كعب ابن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسموا : لعقة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً ، ثم لأنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

أبو أمية بن المغيرة يجردهم : فزعم بعض أهل الرواية : أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذ أسن قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم — فيما تختلفون فيه — أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا .

الرسول (ص) يضع الحجر : فكان أول داخل عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال - صلى الله عليه وسلم - : « هلُمُّوا إلى ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه (١) . »

(١) وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدى ، وأنه صاح بأعلى صوته : يا معشر قريش : أَرْضَيْتُمْ أَنْ يَضَعَ هَذَا الرُّكْنَ - وَهُوَ شَرْفُكُمْ - غُلَامٌ يَتِيمٌ دُونَ ذَوَى أَسْنَانِكُمْ ؟ فكَادَ يَتِير شَرًّا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ سَكَنُوا ذَلِكَ .

وكانت قریش تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي : الامين -

سمر الزبير في الحجة التي طأنت تمنع قريش من بنيان الكعبة : فلما فرغوا من البنين ، وبنوها على ما أرادوا ، قال الزبير بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحجة التي كانت هريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبت لما تصوّبت العُقاب	إلى الثعبان وهمى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كَشيش	وأحياناً يكون لها رِثاب
إذا قنا إلى التأسيس شدت	تبيينا البناء وقد مُّهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت	عقاب تتلُتُب لها انصباب ^(١)
فضممتا إليها ثم خلعت	لنا البنين ليس له حجاب
حققنا حاشدين إلى بناء	لنا منه القواعد والتراب
غداة نرَفِّع التأسيس منه	وليس على مَسَوِّينا ثياب ^(٢)
أعز به المليك بنى لوى	فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى	ومثرة قد تقدمها كلاب
فَبَسَّوْا المليك بذاك عزاً	وعند الله يُلتمس الثواب

= وأما وضع الركن حين بنيت الكعبة في أيام ابن الزبير ، فوضع في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصى بالناس في المسجد ، اغتتم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس في ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه .

(١) تتلُتُب ، يقال : اتلاب على طريقه إذا لم يُعَرَّجَ يَمْنَةً ولا يَدْسِرُهُ ، وكأنه منحوت من أصلين ، من تلا : إذا تبع ، والسب : إذا أقام .

(٢) أى : مَسَوِّى البنين . وهو فى معنى الحديث الصحيح فى نقلهم الحجارة إلى الكعبة أنهم كانوا ينقلونها عراة ، ويرون ذلك ديناً ، وأنه من باب التشهير والجد فى الطاعة .

قال ابن هشام : ويروى :

وليس على مساويتنا ثياب (١)

ارتفاع الكعبة وكسوتها : وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عشرة ذراعاً ، وكانت تكسى القباطى ، ثم كسيت البرود ، وأول من كساها الديباج : الحجاج بن يوسف .

حديث الخمس

قريبى تبذرع الخمس : قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش — لا أدرى أقبل الفيل أم بعده — ابتدعت رأى الخمس (٢) رأياً رأوه وأداروه ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحرمه ، وولاية البيت ، وقطان مكة وساكنها ، فليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوف على عرقه ، والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقولون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم — صلى الله عليه وسلم — ويرون لساكن العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمه ، ولا نعظم غيرها ، كما نعظم نحن الخمس ، والخمس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم ، بولادتهم لإياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ، ويحرم عليهم ما يحرم عليهم .

(١) وقول ابن هشام : ويروى : على مساويتنا ، يريد : السوءات ، فهو جمع مساواة ، مقطعة من السوءة والاصل مساوى ، فسبغت الهزلة .

(٢) والتحمس : التشدد ، وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب التزهّد والتأله ، فكانت لساقم لا ينسجن الشعر ولا الوبر ، وكانوا لا يستلثون السمن ، وسلا السمن أن يطبخ للزبد ، حتى يصير سمناً ، قال أبرهة :

إن لنا صرمةً مخيصةً نشرب ألبانها ونسلوها .

القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس : وكانت كثافة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك - قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة النخعي : أن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأشدني لعمرو بن معد يكرب :

أعباس لو كانت شياراً جبيادنا بتثليث ماناصيتَ بعدى الأحامسا
قال ابن هشام : تثليث : موضع من بلادهم . والشيار : الحسان . يعنى بالأحامس : بني عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس السلمي ، وكان آغار على بني زُبَيْد بتثليث . وهذا البيت في قصيدة لعمرو .

وأشدني لقيط بن زُرارة الدارمي في يوم جبلة^(١) :
أجذم إليك إنما بنو عُدُس المَعشَرُ الحِلَّةُ في القوم الخمس^(٢)
لأن بني عبس كانوا يوم جبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة .

يومس جبلة : ويوم جبلة : يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وبين بني عامر بن صعصعة ، فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة ، وقتل يومئذ لقيط بن زُرارة بن عُدُس ، وأسر حاجب بن زُرارة بن عُدُس^(٣) ، وانهم عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة . ففيه يقول جرير للفرزدق :
كانك لم تشهد لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعوا : يالكدارم
وهذا البيت في قصيدة له :

(١) وجبلة هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران ، وهو ابن الجون الكندي ، وأخ للثمان بن المنذر ، اسمه : حسان بن وبرة ، وهو أخو الثمان لأمه ، وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(٢) أجذم : زجر معروف للخيل وكذلك : أرحب ، وهب ، وهبط ، وهبط .

(٣) هو : عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عدس في الرب سواه فإنه مفتوح الدال .

يومئذ فؤى نجب : ثم التقوا يوم ذى نجب فكان الظفر الحنظلة على بنى عامر ، وقتل
عومئذ حسان بن معاوية الكندي ، وهو أبو كبشة : وأسر يزيد بن الصعق الكلابي ،
وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أبو عامر بن الطفيل . ففيه يقول الفرزدق :
ومنهم إذ نجى طفيل بن مالك على قرزل رجلاً ركوض الهزائم (١)
ونحن ضربنا هامة ابن خويلد نزيد على أم الفراخ الجوائم (٢)
وهذان البيتان في قصيدة له :
فقال جرير :

ونحن خضينا لابن كبشة تاجه ولاق امرأ في ضمة الخيل مصقما (٣)
وهذا البيت في قصيدة له .
وحديث يوم جبلة ، ويوم ذى نجب أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من استقصائه
ما ذكرت في حديث يوم الفجار .

ما زادته قريش في الحمس : قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم ،
حتى قالوا : لا يئبى للحمس أن يأتى طوا الأقط ، ولا يسلسوا السمن وهم حرم ،
ولا يدخلوا بيتا من شعبر ، ولا يستظلوا — إن استظلوا — إلا في بيوت الأدم ما كانوا
حرما ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا يئبى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم
(١) قرزل : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : غارس قرزل ، وقرزل : القيد سمي الفرس
به ، كأنه يقيد ما يسابقه ، كما قال امرؤ القيس :

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(٢) على أم الفراخ الجوائم . يعنى : الهامة ، وهى البوم ، وكانوا يعتمدون أن
الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح : اسقوني اسقوني ، حتى يؤخذ بثأره . قال ذو
الإصبع العدواني :

أضربك حتى تقول الهامة : اسقوني

(٣) المعروف فى اللغة أن — المصقع : الخطيب البليغ ، وليس هذا موضعه ، لكن
يقال فى اللغة : صقعه : إذا ضربه على شيء مصمت يابس ، قاله الأصمى .

عن الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجاً أو عساراً ، ولا يطوفوا بالبيت إلا إذا قدموا أول طوافهم إلا فيه ثياب الخس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراء .

اللقى غير المحس : فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ، ولم يجد ثياب الخس ؛ خطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم يستنفع بها ، ولم يمساها هو ، ولا أحد غيره أبداً .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : اللق ، فحملوا على ذلك العرب . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة . وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً مفرجاً عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب (١) ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعرضه ، أو كله وما بدا منه فلا أحله
ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره .
فقال قائل من العرب يذكر شيئاً تركه من ثيابه ، فلا يقربه — وهو يحبه :
كنى حزناً كرهى عليها كأنها لقي بين أيدي الطائفين حريم
يقول : لا تمس (٢) .

(١) هذه المرأة هي : ضباعة بنت عامر بن صعصعة ، ثم من بني سلة بن قشير . وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خطبها ، فذكرت له عنها كبرة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كذا وحزناً على ذلك . قال ابن حبيب : إن كان صح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أما للؤمنين ، وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعرضه أو كله . تذكر من الله لنبيه وعلماً منه بتسيرته ، والله أغير منه .

(٢) ومن اللق : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة وهي حاملة مستم بحكيم بن حزام ، فأجأها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعتها فيها ، خلفت في الأنطاع هي وجنينها ، وطرح مشربها وثيابها التي كانت عليها ، فجعلت لقي لا تقرب . ولم يذكر الطلنس من العرب ، وهم صنف ثالث غير الحلة والخس ، كانوا يأتون من أقصى طلساً من الغبار ، فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلُس ، فسموا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

عليه وسلم يبطل عبادت الخمس : فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه ، وشرع له سنن حجته : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله . إن الله غفور رحيم » ، يعني قريشا ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها .

وأنزل الله عليه فيما كانوا أحرما على الناس من طعامهم ولبسهم عند البيت ، حين طافوا عراة ، وحرموا ما جاءوا به من الحل من الطعام : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا . إنه لا يحب المسرفين . قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . كذلك تفضّل الآيات لقوم يعلمون^(١) » ، فوضع الله تعالى أمر الخمس - وما كانت قريش ابتدعت منه - عن الناس بالإسلام ، حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم .

الرسول (ص) يخالف الخمس قبل الرسالة : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جُبَيش عن أبيه جبير بن مطعم . قال : لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي ، وأنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له ، صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا^(٢) .

(١) قوله : واكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الخمس جرمته من طعام الحج إلا طعام الخمس ، وخذوا زينتكم : يعني اللباس ، ولا تتعروا ، ولذلك افتتح بقوله : يا بني آدم ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، لإذ يصفان عليهما من ورق الجنة ، أي : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فأدم أبوكم ، ودينه : ستر العورة .

(٢) حتى لا يفوته ثواب الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير بن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس : هذا رجل أحس ، فما باله لا يقف مع الحس حيث يقفون ؟ !

إخبار الكهان من العرب، والاحبار من يهود والرهبان من النصارى

«الكهنة والاحبار والرهبان يخدمونه بمبعثه» : قال ابن إسحاق : وكانت الاحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدّثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه ، لما تقارب من زمانه .

أما الاحبار من يهود ، والرهبان من النصارى ، فمَسَّما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم لإليهم فيه . وأما الكهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسرق من السمع إذ كانت هي لا تُحجَّب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أمورهم ، لا تُلْقَى العرب لذلك فيه بالألأ ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون ؛ فعرفوها .

قذف الجن بالشرب دلالة على مبعثه (ص) : فلما تقارب أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه . حُجِبَت الشياطين عن السمع ، وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فسرُّمُوا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد^(١) يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - حين بعثه ، وهو يقص عليه خبر الجن إذ حَجَبُوا عن السمع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوه ما رأوا : دقل : أُوحى إلى أنه استمع نفر من الجن^(٢) . فقالوا : إنا سمعنا قرآنا

(١) رموى في مآثور الاختبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى ، فلما بُمِث عيسى ، أو ولد ، حجب عن ثلاث سموات ، فلما ولد محمد حجب عنها كلها ، وقذفت الشياطين بالنجوم ، وقالت قريش حين كثُر القذف بالنجوم : قامت الساعة ، فقال عتبة بن ربيعة : انظروا إلى الميوق فإن كان رمى به ، فقد آن قيام الساعة ، وإلا فلا ، ومن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر .

(٢) وفي الحديث أنهم كانوا من جن نصيين . وفي التفسير أنهم كانوا يهوداً ؛ ولذلك قالوا : من بعد موسى ، ولم يقولوا من بعد عيسى ، ذكره ابن سلام . وكانوا سبعة ، قد =

عجبا يهذى إلى الرشد ، فآمننا به ، ولن نشرك بربنا أحداً . وأنه تعالى سجدُ رَبَّنَا ؛ ما اتخذ صاحبة ولا ولداً . وأنه كان يقول سفيننا على الله شططا ، وأنا ظننا أن لن تقول الإلـس والجن على الله كذبا . وأنه كان رجال من الإلـس يعوذون برجال من الجن ، فزادهم رهقا . . . إلى قوله : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً . وأنا لا ندرى أشتر أريد بمن فى الأرض ، أم أراد بهم ربهم رشداً » .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما مُنعت من السمع قبل ذلك ، لئلا يُمشكل الوحي بشيء من خبر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لوقوع الحجة ، وقطع الشبهة^(١) . فآمنوا وصدقوا ، ثم : « وَلَكُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ » . قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يهدى إلى الحق ، وإلى طريق مستقيم . . . الآية .

وكان قول الجن : « وأنه كان رجال من الإلـس يعوذون برجال من الجن ، فزادهم رهقا » . أنه كان الرجل من العرب من قریش وغيرهم إذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه ، قال : إني أعوذ بمریز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه .

= ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فى التفسير والمُسندات ، وهم : شاصر ، وماصر ، ومنشى ، ولاشئ ، والأحقاب ، وهؤلاء الخمسة ذكروهم ابن دريد . وسرق وعمر .

(١) الذى يظهر من كلامه أن القذف بالنجوم — وجد بظهور الإسلام ، لكن القذف بالنجوم قد كان قديما ، وذلك موجود فى أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الجزي ، وأوس بن حجر ، وبشر بن أبى خازم ، وكلهم جاهلى ، وقد وصفوا الرمى بالنجوم ، وأبياتهم فى ذلك المذكورة فى مشكل ابن قتبية فى تفسير سورة الجن ، وذكر عبد الرزاق فى تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمى بالنجوم : أكان فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّدَ ، وفى قول الله سبحانه : « وأنا لمسننا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً » ولم يقل : حُرست دليل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وذلك لينحسم أمر الشياطين ، وتخليطهم ، وتكون الآية آيين ، والحجة أقطع .

قال ابن هشام : الرهق : الطفيان والسفّه . قال رؤبة بن المعجاج .

إِذ تَسْتَنبِي الهَيَامَةَ الْمُرَهَقَا

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضاً : طلبك الشيء حتى تدبو منه ، فتأخذه ، أو لا تأخذه . قال رؤبة بن المعجاج يصف حير وحش :

بِمُصْبَصُنٍ وَافْتَشَعَرَرْنِ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

وهذا البيت في أرجوزة له . والرهق أيضاً : مصدر لقول الرجل : رَهَقْتُ الْإِثْمَ أو الْعُسْرَ الذي أَرَهَقْتِي رَهَقًا شَدِيدًا ، أى : حملت الإثم أو العسر الذي حملتني حملاً شديداً ، وفي كتاب الله تعالى : وَنَحْشِينَا أَنْ يَرْمِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، وقوله : وَلَا تَرْمِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَصَاً .

ثَقِيفٌ أَوَّلُ مَنْ فَرَعَتْ بِرُمِي الْجِنِّ : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حَدَّثَ أَنَّ أَوَّلَ الْعَرَبِ فَرَعَ لِلرَّمِيِّ بِالنُّجُومِ — حين رُمِيَ بها — هذا الحَيُّ مِنْ ثَقِيفٍ ، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ : عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ أَحَدُ بَنِي عِلَاجٍ — قَالَ : وَكَانَ أَذْهَى الْعَرَبِ وَأَنْكَرَهَا رَأْيَا — فَقَالُوا لَهُ : يَا عَمْرُو : أَلَمْ تَرَمَا حَدَثَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْقَذْفِ بِهَذِهِ النُّجُومِ . قَالَ : بَلَى فَانْظُرُوا ، فَإِنَّ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ الَّتِي يَهْتَدِي بِهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَتَعْرِفُ بِهَا الْأَنْوَاءَ مِنَ الصَّيْفِ وَالْأَشْيَاءِ لَمَّا يُصْلِحُ النَّاسُ فِي مَعَايِشِهِمْ ، هِيَ الَّتِي يَرْمِي بِهَا ، فَهُوَ وَاللَّهُ طَى الدُّنْيَا ، وَهَلَاكَ هَذَا الْخَلْقُ الَّذِي فِيهَا ، وَإِنْ كَانَتْ نَجُومًا غَيْرَهَا ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ عَلَى حَالِهَا ، فَهَذَا لِأَمْرٍ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ هَذَا الْخَلْقَ ، فَأَمَّا هُوَ (١) ؟

الرسول يسأل الانصار عن قولهم في رجم الجن بالشرب ونوصيهم للأمر :

قال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الانصار : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ لَهُمْ : مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا النَّجْمِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ قَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا نَقُولُ حِينَ رَأَيْنَاهَا يَرْمِي بِهَا : مَاتَ مَلِكٌ ، مَلِكٌ ، وَلَدَ مَوْلُودٌ ، مَاتَ مَوْلُودٌ ،

(١) وقد فعل ما فعلت ثقيف بنو لَهَبٍ عند فرعهم الرمي بالنجوم ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خُطَر ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة .

نقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خلقه أمرا سمعه حلة العرش ، فسبحوا ، فسبح من تحتهم ، فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك ، فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا ، فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم ، فيقولون : ألا تسألون من فوقكم : ممّ سبحوا ؟ فيقولون مثل ذلك ، حتى يفتنوا إلى حلة العرش ، فيقال لهم : ممّ سبحتم ؟ فيقولون : قضى الله في خلقه كذا وكذا ، للأمر الذى كان ، فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السماء الدنيا ، فيتحدثوا به ، فتستره الشياطين بالسمع ، على توهم واختلاف ، ثم يأتوا به الكهان من أهل الأرض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون ، فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا . ثم إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التى يقذفون بها ، فانقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة (١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليبة ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم بمثل حديث ابن شهاب عنه .

القبائل وصاحبها : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بني سهم يقال لها الشيطانة كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ، فأنقض تحتها ، ثم قال : أذري ما أذري . يوم عقر ونحر ، فقالت قريش حين بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فأنقض تحتها ، ثم قال : شعوب ، ما شعوب ، تصرع فيه كعشب الجنب . فلما بلغ ذلك قريشا ، قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا لامرؤ هو كائن ، فانظروا

(١) والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة ، أن تدرك الشياطين ما كانت تدرك في الجاهلية الجاهلاء ، وعند تمكثها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجان إنما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقة سارق ، أو خبيثة في مكان خفي ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تخرصاً وظنئياً ، فيصيبون قليلا ، ويخطئون كثيرا . وذلك القليل الذى يصيبون هو ما يتكلم به الملائكة في السموات ، كما في حديث البخارى ، فيطردون بالنجوم ، فيضيفون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كلمة .

ما هو ؟ فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب ، فعرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبه .

نسب الغبلة : قال ابن هشام : الغَيْطَلَةُ : من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة ،
 لأخوة مُدْلِج بن مرة^(١) ، وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :
 لقد سَفَهَتْ أحلام قوم تبدلوا بني خلف قَيْضاً بنا والغياطل
 فقيل لولدها : الغياطل ، وهم من بني سهم بن عمرو بن هُصَيْنِص . وهذا البيت في قصيدة
 له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

ظاهره ينبى يذكر خبر الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع
 الجُسرِيُّ : أن جَنْباً^(٢) بطناً من الين ، كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - وانتشر في العرب ، قالت له جَنْب : انظر لنا في أمر هذا الرجل ،
 واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طامت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على
 قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جملَ يَنْزُؤُ ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله
 أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكِّثه فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتد في
 جبله راجعاً من حيث جاء .

(١) يقال في نسبها : الغَيْطَلَةُ بذت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِيق بن شتوق بن مرة ، وشتوق
 أخو مدلج .

وذكر قولها : شُمُوب وما شُمُوب ، تُهْرَع فيها كَعُوبُ الْجُشُوب . كعب هاهنا
 هو : كعب بن لؤى ، والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش ، معظمهم من
 كعب بن لؤى ، وشُمُوب هاهنا بعضهم الشين ، وكأنه جمع شعب ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا
 حين قال : فلم يُدْرَ ما قالت ، حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب .

(٢) جذبهم من مَذْحِج ، وهم : عَيْدُ الله ، وأنس الله ، وزيد الله ، وأوس الله ،
 وجُعْفَى ، والحكم ، وجِرْوَة ، بنو سعد العشيرة بن مذحج ، ومذحج هو : مالك بن أدد ،
 وسُموا : جنباً لأنهم جانبوا بني عمهم صُدَاءَ ويزيد ابني سعد العشيرة بن مذحج .

(١٣ - السيرة النبوية ج ١)

سواد بن قارب يحدث عمر بن الخطاب عن صاحبه عن الجمع : قال ابن إسحاق :
وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، أنه حدث : أن عمر بن الخطاب ،
بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل ^(١) من العرب داخلا
المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لم يمس
شره ما فارقه بعد ، و لقد كان كاهنا في الجاهلية . فسلم عليه الرجل ، ثم جلس ، فقال له عمر
رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فقل كنت كاهنا في الجاهلية ؟
فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ! لقد خلعت في ^(٢) ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته
لأحد من رعيك منذ وليت ما وليت ، فقال عمر : اللهم غفرأ ، قد كنا في الجاهلية على شره
هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ،
والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنت كاهنا في الجاهلية ، قال : فأخبرني ماجاءك به صاحبك ، قال :
جاءني قبل الإسلام بشهر أو شئيه ^(٣) ، فقال : ألم تر إلى الجن ولباسها ، ولباسها من
دينها ، ولحوقها بالقلاص وأحلامها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وليس بشعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس : والله إني لعند وثن
من أوثان الجاهلية في نفر من قريش ، قد ذبح له رجل من العرب عجلا ، فنحن نلتظر قدسسه

(١) هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن السكبي ، وقال غيره : هو سدوسي .

(٢) خلت في : هو من باب حذف الجلة الواقعة بعد خلت وظننت ، كقولهم في المثل : من
يسمع يضل ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ،
فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكنه لا بد
من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : من يسمع يضل دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ،
وفي قوله ، خلت في داليل أيضاً ، وهو قوله : في ، كأنه قال : خلت الشر في أو نحو
هذا . انظر الروض الآنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٤٣ .

(٣) شئيه أى : دونه بقليل ، وشيخ كل ثوب : ما هو تبع له ، وهو من الشيع
وهي : حطب صغار تجعل مع الكبار تبعاً لها ، ومنه : المشيعة ، وهو : الشاة تتبع الغنم ،
لأنها دونه في القوة .

ليقسم لنا منه ، إذ سمعت من جوف العجل صوتا ما سمعت صوتا قط أنفذ منه ، وذلك قبيل الإسلام بشهر أو شَيْشَعَه ، يقول : يا ذريح (١) ، أمر نجيح ، رجل بصيح ، يقول : لا إله إلا الله . قال ابن هشام : ويقال : رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يقول : لا إله إلا الله . وأنشدني بعض أهل العلم بالشعر :

عجبت للجن وإبلاسهما وشدها العيس بأحلاسها
تهوى إلى مكة تبغى الهدى ما مؤمنو الجن كأنجاسها
قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من السكبان من العرب .

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اليهود - لعنهم الله - يعرفونه ويكفرون به : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه . قالوا : إن ما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، كنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم .

فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم - أجبناه ، حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمننا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : ولما جاءهم كتاب من عند الله مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين .

(١) ويرى أن الصوت الذي سمعه عمر من العجل : يا جليح : وهو اسم شيطان ، والجليح في اللغة : ما تطاير من رموس النبات ونخف ، نحو القطر وشبهه ، والواحدة : جليحة ، والذي وقع في السيرة : يا ذريح ، وكأنه نداء للعجل المذبح لقولهم . أحر ذريح يسي ، أى : شديد الحرارة ، فصار وصفًا للعجل الذي يذبح من أجل الدم : ومن رواه : يا جليح ، فآله إلى هذا المعنى ؛ لأن العجل قد جلىح أى : كشف عنه الجلد .

قال ابن هشام : يستفتحون : يستنصرون ، ويستفتحون أيضا : يتحاكون ، وفي كتاب الله تعالى : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ، وأنت خير الفاتحين » .

سلمه يذكر حديث اليهودي الذي أنذر بالرسول (ص) : قال ابن إسحاق . وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلة بن سلامة بن وقش (١) — وكان سلة من أصحاب بدر — قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : فخرج علينا يوما من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل — قال سلة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا ، على بُرْدَةٍ لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى — فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! أترى هذا كائنا ، أن الناس يُبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يُجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يُحلف به ، ويؤكد أن له بحفظه من تلك النار أعظم تسویر فى الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيعطونوه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد — وأشار بيده إلى مكة واليمن — فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأما من أحدثهم سنا ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قال سلة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسولته — صلى الله عليه وسلم — وهو حى بين أظهرنا ، فأما به ، وكفر به بغيا وحسدا . قال : فقلنا له . ويحك يا فلان ! أأست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به .

ابن الهيثم اليهودي يتعجب فى إسلام ثعلبة وأسيمة ابني سمية وأسر بن عبيد . قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال : قال لى : هل تدري عسم كان إسلام ثعلبة بن سمية وأسيمة بن سمية (٢) وأسد بن عبيد نمر بن هذيل ، إخوة

(١) وقش بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة .

(٢) قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف المدني ، عن ابن إسحاق ، وهو أحد رواة المغازى عنه : أسيمة بن سمية بضم الالف ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وهو قول الواقدي . وغيره : أسيمة بفتحها قال الدارقطني : وهذا هو الصواب ، ولا يصح ما قاله =

بنى قريظة ، كانوا معهم فى جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم فى الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : فإن رجلا من يهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهيثبان ^(١) ، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين ، خلل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلى الخس أفضل منه ، فأقام عندنا فكننا إذا فُحِطَ عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيثبان فاستق لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تُقَدَّ . وا بن يدى مخرجكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعا من تمر : أو مُدَّين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حَرَّتْنا ؛ فيستسقى الله لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه ، حتى تمر السحابة ونسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت ، قال : يا معشر يهود ، ماترونه أخرجنى من أرض الخبز والخبير إلى أرض النؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إنك أعلم ، قال : فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه ، وهذا البلدة مُهاجرة ، فكنت أرجو أن يُبعث ، فأُتبعه ، وقد أظلم زمانه ، فلا نُسَبِّحُنَّ إلا به يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبى الذراري والنساء عن خلافه ، فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وحاصر بنى قريظة ، قال هؤلاء الفتية ، وكانوا شبابا أحدانا : يا بنى قريظة ، والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن الهيثبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه هو بصفته ، فبرزوا وأسلموا ، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

= إبراهيم عن ابن إسحاق ، وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل : « من أهل الكتاب أمة قائمة ، الآية » ، وسَعْنِيَة أبوهم يقال له : ابن العريض ، وهو بالسين المهملة ، والياء المنقوطة باثنتين .

(١) والهيان من المسمين بالصفات ، يقال : قُطِنَ كَيْسَبَانُ أى : منتفش ، وأنشد أبو حنيفة :
تطير اللقَمَ الهَيْبَان ، كأنه جَنَى عَشْرٍ تنفيه أشداقها النهْدَل
والهَيْبَان أيضا : الجبان .

حديث إسلام سلمان رضى الله عنه

سلمان - رضى الله عنه - يتشرف إلى النصرانية بعد المجوسية: قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصارى . عن محمود بن لبيد . عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل إصْبَهَانَ (١) من أهل قرية يقال لها : حَجِي ، وكان أبى دِهْمَانُ قريته ، وكنت أحب خلق الله إليه ، لم يزل به حبه لى أياى حتى حبسنى فى بيته كما تحبس الجارية ، واجتهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار الذى يوقدها لايتركها تخبر ساعة . قال : وكانت لآبى ضيعة عظيمة ، قال : فشغل فى بنيان له يوماً ، فقال لى : يا بنى ، إنى قد شُغِلْتُ فى بنيانى هذا اليوم عن ضيعتى فاذهب إليها ، فاطَّلَعَهَا — وأمرنى فيها ببعض ما يريد — ثم قال لى : ولا تحبس عنى ؛ فإنك إن احتبست عنى كنتَ أهم لى من ضيعتى ، وشغلتنى عن كل شيء من أمرى . قال : فخرجت أريد ضيعتى التى بعثنى إليها ، فررت بكنيسة من كنائس النصرانى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدرى ما أمر الناس ، لحبس أبى لى أياى فى بيته ، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم ، انظر ما يصنعون ، فلما رأيتهم ، أعجبتنى صلاتهم ، ورغبت فى أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه ، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبى فلم آتها ، ثم قلت لهم : أين أصل هذا الدين؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبى ، وقد بعث فى طلبى ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جثته قال : أى بنى أين كنت ؟ أو لم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ ؟ قال : قلت له : يا أبى ، مررت بأناص يصلون فى كنيسة لهم ، فأعجبنى ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس ، قال : أى بنى ، ليس فى ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه ، قال : قلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : تخافنى ، فجعل فى رجلى قيداً ؛ ثم حبسنى فى بيته .

سلمان يهرب إلى الشام : قال : وبعثت إلى النصرانى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصرانى ، فأخبرونى بهم

(١) إصْبَهَانَ : هكذا قيده البكرى فى كتاب المعجم بالكسر فى الهمزة ، وإصْبَهَته بالعربية : فارس ، وقيل : هو العسكر ، فعنى الكلمة : موضع العسكر أو الخيل ، أو نحو هذا .

فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم ، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم ، فآذِنُونِي بِهِمْ : قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم ، أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلى ، ثم خرجت معهم ، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت : من أفضل أهل هذا الدين علما ؟ قالوا : الاسقف في الكنيسة .

سلمان مع أسقف النصارى السبي : قال : لجنته ، فقلت له : إني قد رغبت في هذا بالدين ، فأحببت أن أكون معك ، وأخدمك في كنيسةك ، فأتعلم منك ، وأصل معك ، قال : ادخل ، فدخلت معه . قال : وكان رجل سوء ، يأمرهم بالصدقة ، ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ، ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق . قال : فأبغضته بغضا شديدا ، لما رأيته يصنع ، ثم مات ، فاجتمعت إليه النصارى ، ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ، ويرغبكم فيها ، فإذا جتمعوا بها ، اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئا . قال : فقالوا لي : وما علمك بذلك ؟ قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورق . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفعه أبداً . قال : فصلبوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

سلمان مع أسقف النصارى الصالح : قال : يقول سلمان : فأريته رجلا لا يصل الخنس ، أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ، ولا أدأب ليلا ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حباً لم أحبه شيئا قبله مثله . قال : فأقت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحببتك حباً لم أحبه شيئا قبلك ، وقد حضرتك ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصى بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : أى بنى ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه ، فقد هلك الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل ، وهو على ما كنت عليه فالحق به .

سلمان يلحق بأسقف الموصل : فلما مات وغييب لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره ، قال : فقال لي : أقم هندى ، فأقت عنده ، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان ، إن فلانا أوصى بي إليك ، وأمرني بالحق بك ، وقد حضرتك من أمر

الله مانرى ، فإلى من توصى بى ؟ وبهم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه ، إلا رجلاً بنصيين ، وهو فلان ، فالحق به .

سلمان يلحق بأشقف نصيين : فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيين ، فأخبرته خبرى ، وما أمرنى به صاحباى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ! إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ وبهم تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تأتبه إلا رجلاً بمشورة من أرض الروم ، فإنه على مثل مانحن عليه ، فإن أحببت فأته ، فإنه على أمرنا .

سلمان يلحق بصاحب عمورية : فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبرى ، فقال : أقم عندى ، فأقمت عند خير رجل ، على كدهى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمات . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فإلى من توصى بى ؟ وبهم تأمرنى ؟ قال : أى بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتبه ، ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ، يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يا كل الهدية ، ولا يأتى كل الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

سلمان يذهب إلى وادى القرى : قال : ثم مات وغيب ، ومكثت بعمورية ماشاء الله أن أمك ، ثم مر بى نفر من كلب تمار ، فقلت لهم : احملونى إلى أرض العرب ، وأعطيك بقرات هذه وغنيمات هذه ، قالوا : نعم فتأعطيتهم مموها ، وحملونى معهم ، حتى إذا بلغوا وادى القرى ظلمونى ، فباعونى من رجل يهودى عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحباى ، ولم يحق فى نفسى .

سلمان يذهب إلى الطرينة : فبينما أنا عنده ، إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة ، فابتاعنى منه ، فاحتملنى إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها ، فمرقتها بصفة صاحباى ،

فأنت بها ، وبُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة .

سلمان يسمع بهجرة النبي (ص) إلى المدينة : فوالله إنى لنى رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتى ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، فأتى الله بنى قَيْسلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقُيُبَاء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي .

نسب قَيْسلة : قال ابن هشام : قَيْسلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن لَيْث بن سُرْد بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، أم الأوس والخزرج .
قال النعمان بن بشير الانصارى يمدح الأوس والخزرج :

بها ليل من أولاد قَيْسلة لم يجد عليهم خليط في مخالطة عَشْباً
مساميح أبطال يُراخون للندى يرون عليهم فعل آبائهم نُحْبَةً

وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال سليمان : فلما سمعتها أخذتني العُرواء . قال ابن هشام : العرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُحَضاء ، وكلاهما مدود - حتى ظننت أنى سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكنى لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل دلى عمك ، قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

سلمان يستوثق من رسالة محمد (ص) : قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أسيت أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقُيُبَاء ، فدخلت عليه ، فقالت له : إنه قد بلغنى أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة . فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربتني إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده ، فلم يأكل . قال : فقالت في نفسى : هذه واحدة . قال : ثم انصرف عني ، فجمعت شيئاً ، ونحو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى

المدينة ، ثم جثته به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هدية أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان شملتان ، قال : ثم جثت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببيع الفَرَقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، على شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلبت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ، فلما رأي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استدبرته ، عرف أني استئثت في شيء وُصف لي ، فألقي رداءه عن ظهره . فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله ، وأبكي ، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم : تحول ، فتحولت جلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثي ، كما حدثتك يا ابن عباس ، فأعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وسلم - أن يسمع ذلك أصحابه . ثم شغل سلمان الرُّق حتى غاثه مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدر وأحد .

سلمان بفيتك نفسه مع الرق بأمر رسول الله ومساعدته (ص) : قال سلمان : ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : كاتب يا سلمان ، فكاتبني صاحبي على ثلثمائة نخلة أحياها له بالفقير (١) ، وأربعين أوقية . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : أعيخوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين ودية . والرجل بخمس عشرة ودية ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلثائة ودية ، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان ففقهّر لها ، فإذا فرغت فأنتي ، أكن أنا أضعها بيدي . قال : ففقرت ، وأعانتني أصحابي ، حتى إذا فرغت جثته ، فأخبرته ، فخرج

(١) الوجه . التفقير للنخلة . يقال لها في الكرمية : حبيسة ، وجمعها : حسيّايا ، وهي الحفيرة ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : عريسة ، ثم يقال لها : ودية ، ثم فسسية ، ثم أشاءة ، فإذا فات اليد فهي : جبّارة ، وهي العنيد ، والكتيلة ، ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجتثت من جنب أمها : قلعة وجثية ، وهي الجثاء والهرءاء ، ويقال للنخلة الطويلة : عوانة بلغة عمان ، وعشيدانة بلغة غيرهم ، وهي فيسالة من عدن بالمكان ، واختلف فيها قول صاحب كتاب العين ، فجعلها تارة : فيسالة من عدن ، ثم جعلها في باب المعتل العين فتلاوة .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معي إليها ، فجعلنا تقرب إليه الودى ، ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم - بيده ، حتى فرغنا . فوالذى نفس سليمان بيده ، ما ماتت منها ودية واحدة (١) .

قال : فأدب النخل ، وبقى على المال . فأُتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمثل بيضة الدجاجة من ذهب ، من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسى المكاتب ؟ قال : فدُعيت له ، فقال : خذ هذه ، فأدبها بما عليك يا سليمان . قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله بما على ؟ فقال : خذها ، فإن الله سيؤدى بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذى نفس سليمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعشق سليمان . فشهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - الخندق حرأ ، ثم لم يفتنى معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبد القيس عن سليمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذى على يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفهم منها ، فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كله ، أربعين أوقية .

هريث سلماء مع الرجل الذي بمعمورية : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حدثت عن سليمان الفارسى : أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إن صاحب عسوريسة قال له : أئت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلا (٢) بين غيضتين ، يخرج في كل سنة

(١) وذكر البخارى حديث سليمان كما ذكره ابن إسحاق . غير أنه ذكر أن سليمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سائرهما ، فعاشت كلها إلا التى غرس سليمان .

(٢) ذكر داود بن الحصين قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال : قال سليمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذى كان يخرج مستجيراً من غيضة إلى غيضة ، ويلقاه الناس بمراضهم ، فلا يدعوا لمريض إلا شئ ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتني يا سليمان ، فقد رأيت عيسى ابن مريم . إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك : الرجل هو الحسن بن عمار ، وهو ضعيف بإجماع منهم .

من هذه الغيبة إلى هذه الغيبة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحدهم إلا شقياً ، فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيبتين إلى الأخرى ، فنشبه الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شقياً ، وغلبوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيبة التى يريد أن يدخل ، إلا منكبه . قال : فتناولته . فقال : من هذا ؟ والتفت إلى ، فقلت : يرحمك الله ، أخبرني عن الخنيفة دين إبراهيم . قال : إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلك زمان نبي يسبع بهذا الدين من أهل الحرم ، فاته فهو يحملك عليه . قال : ثم دخل . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لسلمان : لئن كنت صدقتني يا سلمان ، لقد لقيت عيسى ابن مريم على نبينا وعليه السلام .

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

تسككهم في الوثنية : قال ابن إسحاق : واجتمعت فريش يوما في عيد لهم عند صتم من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويدبرون به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوما ، فخلص منهم أربعة نفر نجسناً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى . وعبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمه ، وكانت أمه أئيمة بنت عبد المطلب . وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي . وزيد^(١) بن

(١) وأم زيد هي : الحيداء بنت خالد القسمية ، وهي امرأة جده نفيل ، ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مباحاً في الجاهلية بشرع متقدم ، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت تزوج امرأة أبيه خزيمه ، وهي برة بنت مر ، فولدت له النضر بن كنانة ، وهاتم أيضا قد تزوج امرأة أبيه وافدة =

عمر بن نُفَيْل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى^(١) . فقال بعضهم لبعض : تعلّموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضرب ولا ينفع ! يا قوم اتقوا أنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، ففرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

تنصر ورقته وابن محصنه : فاما ورقة بن نوفل فاستحکم فی النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علما من أهل الكتاب . وأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة ، فلما قدما تنصر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانيا .

ابن محمده . يفرى منها جرى الحبة على التنصير : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ابن الزبير ، قال : كان عبيد الله بن جحش - حين تنصير - يمر بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول : فقححنا وصاصأئثم ، أى : أبصرنا وأنتم تلمسون البصر ، ولم تبصروا بعد ، وذلك أن ولد الكلب ، إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صاصأئ ؛ لينظر . وقوله : فقح : فتح عينيه .

== فولدت له ضعيفة ، ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الم تلد جدا له ، أعنى : واقدة ، وقد قال عليه السلام : أنا من نكاح لا من سفاح ، ولذلك قال سبحانه : « ولا تنكحوا آبائكم من النساء إلا ما قد ساف ، أى : إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام .

(١) والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بتقديم رباح على عبدالله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإنما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قصى لأمه الذي تقدم ذكره .

رسول الله (ص) يخلف على زوجه ابن محصمه بعد وفاته : قال ابن إسحاق : وخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .
قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمشرى ، فخطبها عليه النجاشي ؛ فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعائة دينار . فقال محمد بن علي : ما نرى عبد الملك ابن مروان وقف صداق النساء على أربعائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أملكها للنبي - صلى الله عليه وسلم - خالد بن سعيد بن العاص .

تنصر ابن الحويرث وقدمه على قيصر : قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث ، منعني من ذكره ما ذكرت في حديث حرب الفجار (١) .

زيد بن عوف عن جميع الأديان : قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ، فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الاوثان والميثة والده والذبائح التي تذبح على الاوثان (٢) .

(١) ويذكر أن قيصر كان قد توج عثمان ، وولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا للملك ، وصاح الاسود بن أسد بن عبد العزى : ألا إن مكة كحى لقتاح لا تدين للملك . فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : البطريق ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموما ، سمه عمرو بن جفنة الغساني الملك .

(٢) روى البخارى عن محمد بن أبي بكر ، قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم بن عبدالله ، عن عبدالله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام - الوحي ، فقُدِّمَتْ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - سفرة أو قدما إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فإني أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله

ونهى عن قتل الموودة^(١) ، وقال : أعبد رب إبراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه . قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت أبي بكر رضى

= الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض الكلاء ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك ، وإعظاما له .

وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على النصب ، وما لم يذكر اسم الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين لقيه ببلدح ، فقد تمت إليه السفارة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قدمت السفارة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه . الجواب الثاني : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى رآه ، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرح إبراهيم بتحريم الميتة ، لا بتحريم ما ذبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام ، وبعض الأصوليين يقولون : « الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة » فإن قلنا بهذا قلنا : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يأكل مما ذبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحاً ، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح ، فالذباح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كاشاة والبعير ، ونحو ذلك ، بما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدر في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : « ولأنأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدر في التحليل ما أحدثوه من الكفر ، وعبادة الصليان ، فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان مُحللاً بالشرع المتقدم ، حتى خصه القرآن بالتحريم .

(١) وقد كان صمصمة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم : هل لي في ذلك من أجر ؟ فقال في أصح الروايتين : لك أجره إذا من الله عليك بالإسلام . وهذا الحديث أخرجه البخارى ، والموودة مفعولة من وأده إذا أفضله . قال الفرزدق :

ومنا الذى منع الوائدا ت ، وأحيا الوئيد ، فلم يؤادِ =

الله عنها ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسنداً ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفس زيد بن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم لو أني أعلم أى الوجوه أحب إليك عَبَدْتُكَ به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته .

قال ابن إسحاق : وحُذِثُ أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالاً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : أنستغفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يبعث أمة وحده .

سُمر زهير في فراق المؤمنين : وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم في ذلك :

أربباً واحداً ، أم ألف رب أدين إذا تُقسَّمت الأمور
عزلات اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجسد المصور (١)

= يعنى : جده صَمْعَصَة بن معاوية بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات ، وما قاله الله في القرآن هو الحق من قوله : خشية إملاق ، وذكر النقاش في التفسير : أنهم كانوا يثدنون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو برشاء أو شماء أو كشحاء تشاقوا منهم بهذه الصفات قال الله تعالى : « وإذا المودة سُئلت بأى ذنب قُتلت » .

(١) ذكرت اللات فيما تقدم . أم العزى فكانت نخلات مجتمعة ، وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يُشسِّتُ عند اللات ، ويُصَيِّف بالعزى ، فعظموها وبنوا لها بيتاً ، وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة ، وهى التى بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خالد بن الوليد ليكسرها ، فقال له سادنها : يا خالد احذرها ؛ فإنها تجزع وتكنع ، فقدمها خالد وتركها جدمها وأساسها ، فقال قيميها : والله لتعودن ولتنتقمين من فعل بها هذا ، فذكر - والله أعلم - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة سوداء منتفخة الفعر تخدش وجهها ، فقتلها ، وهرب القيم ، وهو يقول : لانسجد العزى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابورى في المبحث . وذكره الأزرقي أيضاً ورزين .

فلا العزى أدين ولا ابتها
ولا مُبلا أدين ، وكان ربا
عجبت وفي الليالي مُعجبات
بأن الله قد أفنى رجالا
وأبقى آخرين ببرِّ قوم
ويبئنا المرء يعثر ثاب يوما
ولكنْ أعبد الرحمن ربى
ففتوى الله ربكم احفظوها
ترى الأبرار دارهم جنان
وخزى في الحياة وإن يموتوا
ولا صَنَمَى بنى عمرو أذور
لنا في الدهر إذ حلمى يسير
وفي الأيام يعرفها البصير
كثيراً كان شأنهم الفجور
فَـيَـرَـبِلُ منهم العُـفـلُ الصغـير^(١)
كما يَتروِّحُ الغصنُ المطير^(٢)
ليغفر ذنبى الرب الغفور
متى ما تحفظوها لا تبوروا
والكفار حامية سعي
يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هى لامية بن أبى الصلت فى قصيدة له ، إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا ، وعجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق :

إلى الله أهدى مدحتى وثنائيا
إلى الملك الأعلى الذى ليس فوقه
ألا أيها الإنسان إياك والردى
ولإياك لا تجعل مع الله غيره
وقولا رصينا لا يننى الدهر باقيا
إله ولا رب يكون مدائيا
فإنك لا تحفى من الله خافيا^(٣)
فإن سبيل الرشـد أصبح باديا

(١) ربل العُفْلُ يربل إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ، ومنه أخذ تربيـل الأرض .

يتروح الغصن : أى : ينبت ورقه بعد سقوطه .

(٢) إياك والردى . تحذير من الردى ، والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك وإنما هو تحذير عما يأتى به الموت ، ويبيده ويكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإنك لا تحفى من الله خافياً .

حَسْبُكَ أَنْ لَئِنْ جَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائُنَا (١)
 رَضِيتُ بِكَ - اللَّهُمَّ - رَبًّا قُلْنَ أَرَأَيْتَ
 وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنْ وَرَحْمَةٍ بِمَشَتْ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
 قُلْتَ لَهُ يَا أَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوهُ إِلَى اللَّهِ فَهَرُونَ الَّذِي كَانَ ظَاغِيًا (٢)
 وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ بَلَا وَتَدَّ ، حَتَّى أَطْمَأْنَنْتُ كَمَا هِيَ (٣)

(١) حَنَانِيكَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ ، قَالَ النُّحَوِيُّونَ : يَرِيدُ حَنَانًا بَعْدَ حَنَانٍ ، كَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّعْضِيفِ وَالتَّكْرَارِ ، لَا إِلَى الْقَصْرِ عَلَى اثْنَيْنِ خَاصَّةً دُونَ مُزِيدٍ . وَيَحْزُنُ أَنْ يَرِيدَ حَنَانًا فِي الدُّنْيَا ، وَحَنَانًا فِي الْآخِرَةِ ، وَإِذَا قِيلَ هَذَا لِلْخُلُقِ نَحْوُ قَوْلِ طَرَفَةَ :

أَبَا مَنْدَرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَمْهَوْنَ مِنْ بَعْضٍ
 فَإِنَّمَا يَرِيدُ : حَنَانٌ دَفَّعَ ، وَحَنَانٌ نَفَّعَ ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَمَّلَ مُلْكًا ، فَإِنَّمَا يُؤْمَلُهُ لِيُدْفَعَ عَنْهُ ضَيْرًا ، أَوْ لِيَجْلِبَ إِلَيْهِ خَيْرًا .

(٢) أَدِينْ إِلَهًا ، أَيْ : أَدِينْ لِإِلَهِهِ ، وَحَذَفَ اللَّامَ وَعَدَى الْفِعْلَ ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى : أَعْبُدْ إِلَهًا . وَقَوْلُهُ : غَيْرَكَ اللَّهُ بَرَفَعَ إِلَهًا ، أَرَادَ : يَا اللَّهُ ، وَهَذَا لَا يَحْزُنُ فِيهِ الْآلِفُ وَاللَّامُ ، إِلَّا أَنْ حُكِمَ الْآلِفُ وَاللَّامُ فِي هَذَا اللَّفْظِ الْمَعْظَمِ يَخَافُ حِكْمَهَا فِي سَائِرِ الْأَسْمَاءِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَلَا يَنَادِي اسْمَ اللَّهِ بَيَّأَيَا ، وَتَقْطَعُ هَمْزَتَهُ فِي النِّدَاءِ ، فَتَقُولُ : يَا اللَّهُ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي اسْمِ غَيْرِهِ ، إِلَى أَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ يَخَالَفُ فِيهَا هَذَا الْاسْمُ لِغَيْرِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَعْرُوقَةِ .

(٣) أَلَا يَا أَذْهَبْ عَلَى حَذْفِ الْمَنَادَى . كَأَنَّهُ قَالَ : أَلَا يَا هَذَا أَذْهَبْ ، كَمَا قُرِئَ : أَلَا يَا اسْجُدُوا ، يَرِيدُ : يَا قَوْمُ اسْجُدُوا ، وَكَأَنَّ قَالِ غِيلَانَ :

أَلَا يَا اسْلِسْ يَا دَارَ حَيٍّ عَلَى الْبَيْلِ

وَقِيهِ : أَذْهَبْ وَهَارُونَ ، عَطَفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي أَذْهَبْ ، وَهُوَ قَبِيحٌ إِذَا لَمْ يُؤَكَّدْ ، وَلَوْ نَصَبَهُ عَلَى الْمَفْعُولِ مَعَهُ لَكَانَ جَيِّدًا .

(٤) أَطْمَأْنَنْتَ ، وَزَنَهُ أَفْعَلْتُ ، لِأَنَّ الْمِيمَ أَهْلَهَا أَنْ تَكُونَ بَعْدَ الْآلِفِ ، لِأَنَّهُ مِنْ تَطْلُغْنَ أَيْ : تَطْلُغًا ، وَإِنَّمَا قَدِّمُوهَا لِتَبَاعُدِ الْهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْفِعْلِ مِنْ هَمْزَةِ الْوَصْلِ ،

وقولا له : آأنت رفعت هذه
وقولا له : آأنت سويت وسطها
وقولا له : من يرسل الشمس غدوةً
وقولا له : من يثبت الحب في الثرى
ويُخرج منه حَبَّه في رءوسه
وأنت بفضل منك نجيت يولسا
ولماني ولو سبحت باسمك ربنا
فرب العباد أنقِ سَيِّباً ورحمة
على ، وبارك في بنى وماليا
بلاعد ، أرفق - إذآ - بك بانيا (١)
منيراً ، إذ ما جنته الليل هادياً ،
فيصبح مامست من الأرض ضاحياً ،
فيصبح منه البقل يهتز راياً
وفي ذاك آيات لمن كان واعياً
وقد بات في أضعاف حوت لياياً
لا كثر - إلا ما غفرت - خطايا (٢)
على ، وبارك في بنى وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بذت الحضرمي -

نسب الحضرمي : قال ابن هشام : واسم الحضرمي : عبد الله بن عباد أحد الصَّدَف ،
واسم الصَّدَف : عمرو بن مالك أحد السَّكُون بن أنرس بن كشدى ، ويقال : كندة

= فتكون أخف عليهم في اللفظ ، كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه
فرارا من تقارب الهزتين كما هيا . ما : زائدة لتكف الكاف عن العمل ، وتيسرها للدخول على
الجل ، وهي : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هي عليه ، والكاف في موضع
نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سرت مثل سير زيد ؛ فثَلَّ
حال من سيرتك الذي سرتة

(١) أرفق : تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رفقت ، وبانياً تمييز ، لأنه يصلح
أن يجر بمن ، كما تقول : أحسن بزيد من رجل ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد علم
أنك متعجب منه .

(٢) معنى البيت : لماني لا كثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت . وما ،
بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : لماني لا كثر من هذا
الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أى :
لأعتمد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

ابن ثور بن مَرْقَع بن عَفَيْر بن هدى ابن الحارث بن مرة بن أَدَد بن زيد بن مِهْسَع
ابن عمرو بن هريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ويقال : مَرْقَع بن مالك بن زيد بن كهلان
ابن سبأ .

زيد يعاتب زوجته لثمنها له عن البهت في الحنفية : قال ابن إسحاق : وكان زيد بن
عمرو قد أجمع الخروج من مكة ، ليضرب في الأرض يطلب الحنفية دين إبراهيم - صلى الله
عليه وسلم - فكانت صفة بنت الحضرمي كلما رآته قد تها للخروج ، وأراد به ، آذنت به
الخطاب بن ثَفِيل ، وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين
قومه ، وكان الخطاب قد وكل صفة به . وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فأذنيني به - فقال زيد :

لا تحبسيني في الهوا ن صقي ماداني ودابه
إني إذا خفت الهوا ن مُشَيِّع ذللك ركابه
دُعْمُوص أبواب الملو ك وجائب للخرق نابه (١)
قَطَّاع أسباب تذلل بغير أقران صعابه
ولنما أخذ الهوا ن العَيْرُ إذ يُوسِي إهابه
ويقول : إني لا أذل بصك جنبيه صلابه (٢)
وأخى ابن أُمى ، ثم عَمسى لا يُواتيني خطابه
ولذا يعاتبنى بسو ء قلت : أعياني جوابه
ولو أشاء لقلت : ما عندى مفاتحه وبابه

(١) دُعْمُوص أبواب الملو ك . يريد : ولائجاً في أبواب الملو ك ، وأصل الدعْمُوص :
سمكة صغيرة كَحَيَّة الماء ، فاستعاره هنا ، وكذلك جاء في حديث أبي هريرة يرفعه :
صغاركم دعاميص الجنة .

(٢) إني لا أذل أى : يقول العَيْرُ ذلك بِصَكِّ جَنَشَيْتِهِ صِلَابُهُ ، أى : صلاب
ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العير لأنها عبثؤه وحمله .

قول زید مبین مستقبل الکعبة : قال ابن إسحاق : وحدثت عن بعض أهل زید بن عمرو بن نفیل أن : أن زیداً کان إذا استقبل الکعبة داخل المسجد ، قال : لبيک حقاً حقاً ، تبدأ ورقاً .

عُذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل القبله ، وهو قائم
إذا قال :

أنفسى لك اللهم عانٍ راغمٍ مهما تُجَشَّسْنِي فإني جاشم
البر أبغى لا الخال ، ليس مُهَجَّرُ كَن قال (١)

قال ابن هشام : ويقال : البر أبغى لا الخال ، ليس مهجَّرُ كَن قال . قال وقوله : « مستقبل الکعبة » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زید بن عمرو بن نفیل :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرأ ثقالا
دحاها فلها رآها استوت على الماء ، أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقبت إلى بلدة أطاعت ، فصبت عليها سجالا

الخطاب يؤذى زيدا ومحاصره : وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجه إلى أعلى مكة ، فبزل حراء مقابل مكة ، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم ، فقال لهم : لا تركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرا منهم ، فإذا علوا بذلك ، آذنوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم ، وأن يتابعه أحد منهم على إفراقه . فقال - وهو يعظم حرمة على من استحل منه ما استحل من قومه :

لَا هُمْ لِي مُحَرَّمٌ لَا جِلَّةٌ وإن يبتى أوسط المسحاة
عند الصفا ليس بذى مضلّة

(١) الخال : الخيلاء والكبر .

ليس مهجر كن قال ، أى : ليس من هجر وتكيس ، كن أثر الفائلة والنوم ، فهو من : قال يقليل .

زبير يرحل إلى الشام وموت: ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والاحبار ، حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ، ثم أقبل لجال الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميشفة (١) من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُسبغ بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم يرض شيئاً منهما ، فخرج سريعا ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد الحنم ، عُدوا عليه فقتلوه .

ورقة يرقى زبيرا : فقال ورقة بن نوفل بن أسد ييكيه :

رشدت ، وأنعمت ابن عمرو ، وإنما	تجنبت تشؤرا من النار حاميا (٢)
بدينك ربا ليس رب كمثل	وترك أوثان الطواغى كما هيا
ولادراكك الدين الذى قد طلبته	ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها	تُعَلِّلُ فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ، ولم تكن	من الناس جباراً إلى النار هاويا
وقد تترك الإنسان رحمة ربه	ولو كان تحت الأرض سبعين واديا (٣)

(١) فى الأصل بكسر الميم من ميشفة ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسم لموضع أخذ من السيفساع ، وهو المرتفع من الأرض .

(٢) رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت وبالغت فى الرشد ، كما يقال : أمعت النظر وأنعمته .

(٣) قوله : ولو كان تحت الأرض سبعين واديا . بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة للنكرة ، كما قيل : • فلو كنت فى جب ثمانين قامة • وما أصله صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بُعدت تحت الأرض سبعين . كما تقول : بُعد طويلا ، أى : بُعداً طويلا ، وإذا حذف المصدر ، وأقت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا .

قال ابن هشام : يروى لامية بن أبي الصلت البيتان الاولان منها ، وآخرها بيتا في قصيدة له . وقوله : « أوئان الطواغى » عن غير ابن اسحاق .

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

يخفى الحواري يثبت بعثة الرسول (ص) من الإنجيل : قال ابن إسحاق : وقد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما أثبت يتحدث الحواري لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يؤمنونى ، وأيضا للرب ، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبغضونى بجانا (١) ، أى : باطلا . فلو قد جاء المنسحمة لنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على وأنتم أيضا ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلت لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنسَحِمِينَ بالسريانية : محمد : وهو بالرومية : النَبْرَقْدَاسِيّطُس ، صلى الله عليه وآله وسلم .

مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما

أفند الله الميثاق على الرسل بالامانة به (ص) : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي قال : فلما بلغ

(١) أى : باطلا ، وكذلك جاء فى الحكمة : يا ابن آدم علم بجانا ، كما علّمت بجانا ، أى : بلا ثمن ، وفى وصايا الحكماء : شاور ذوى الاسنان والعقول يعطوك من رأيهم بجانا لما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب .

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - أربعين سنة بعثه الله تعالى (١) رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به، والتصديق له، والنصر له على من خالفه، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ولما أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مُصَدِّق لما معكم ، لتؤمننَّ به ولتنصرُنَّه » ، قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، : أي مُقَرَّر ما حَسَلْتكم من عهدي : « قالوا أقررنا ، قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فأخذ الله ميثاق النبيين جميعاً بالتصديق له ، والنصر له من خالفه ، وأدوا ذلك إلى من آمن بهم ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

الرُّوْيَا الصَّادِقَةُ أَوَّلُ مَا بَرَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ هُرَيْرَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ : أَنَّ أَوَّلَ مَا بَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنَ النَّبُوءَةِ ، - حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به : الرُّوْيَا الصَّادِقَةُ ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَقُلُقِ الصَّبْحِ قَالَتْ : وَحَسِبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخُلُوعَ ، فَامْ يَكُنْ ثَوْبٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوعَ وَحْدَهُ .

سَمِعَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَجَرِ وَالتَّجَرُّ عَلَيْهِ (ص) : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عُثَيْبٍ أَنَّ اللَّهَ

(١) ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلَدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَذَا مَرْوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَقُتَيْبَةَ بْنِ أَشْثِيمٍ ، وَعَطَاءٍ وَسَيِّدِ بْنِ الْمُسَيْبِ ، وَالنَّسَبِ بْنِ مَالِكٍ وَهُوَ صَحِيحٌ عِنْدَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالْعِلْمِ بِالْأَثَرِ . وَقَدْ رَوَى أَنَّهُ نَبِيٌّ لِأَرْبَعِينَ وَشَهْرَيْنِ مِنْ مَوْلَدِهِ ، وَقِيلَ لِقُبَابِ بْنِ أَشْثِيمٍ : مَنْ أَكْبَرُ ، أَنْتَ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنِّي ، وَأَنَا أَكْبَرُ مِنْهُ ، وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَامَ الْفِيلِ ، وَوَقَفْتُ فِي أُمِّي عَلَى رَوْثِ الْفِيلِ ، وَيُرْوَى : سَحَرْتُ الْقَطِيرَ ، فَرَأَيْتُهُ أَخْضَرَ مُحْيِيلاً ، أَيْ : قَدَأَى عَلَيْهِ حَوَلٌ ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُكَائِيِّ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِبِلَالٍ : لَا يَفْتِكُ صِيَامَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ؛ فَإِنِّي قَدْ وَلِدْتُ فِيهِ ، وَبُعِثْتُ فِيهِ ، وَأَمُوتُ فِيهِ . الرَّوَضُ الْاِثْنَانِ بِتَحْقِيقِنَا ج ١ ص ٢٦٥ .

ابن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى ، وكان واعيةً ، عن بعض أهل العلم :
 أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أراد الله بكرامته ، وابتدأه بالنبوة ، كان
 إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تَحَسَّرَ عنه البيوت ، ويفضى إلى شباب مكة ويطون أوديتها ،
 فلا يمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحجر ولا شجر ، إلا قال : السلام عليك
 يا رسول الله (١) . قال : فبليتفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حوله ، وعن يمينه وشماله
 وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة . فكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كذلك يرى
 ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام (٢) بما جاءه من كرامة
 الله ، وهو بحراء في شهر رمضان .

(١) وفي مصنف الترمذى ومسلم ، أيضاً أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «إني
 لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىّ قبل أن ينزل علىّ» . وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر
 الذى كان يسلم عليه هو الحجر الأسود ، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن
 يكون الله أنطقه إنطافاً كما خلق الحنين فى الجذع ، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو
 صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت : عَرَضٌ
 فى قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النظماء ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعرى
 اصطفاً كما فى الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الاصطفاك ،
 ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القولين ولهما موضع غير هذا ، ولو قدرت الكلام
 صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوت عبارة عنه ، لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم
 مع الكلام ، والله أعلم أى ذلك كان ، أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر
 به مؤمداً ، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ؟ وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة .
 وأما حنين الجذع فقد سمي حنيناً ، وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم
 الحجارة أن يكون مضافاً فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويعمرونها ، فيكون
 مجازاً من قوله تعالى : « واستل القرية » والاول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور
 التى ذكرناها فيها عَلمٌ على نبوته - عليه السلام - غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين
 إلا ما تحدى به الخلق ، فعجزوا عن معارضته . الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٦٧

(٢) اسم جبريل سريانى ، ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن
 عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو =

نزول جبريل عليه (ص) : قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، مولى آل الزبير . قال : سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لمُبْسِد بن عمير بن قتادة المليثي : حدثنا يا عبيد ، كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النبوة ، حين جاءه جبريل عليه السلام ؟ قال : فقال عبيد - وأنا حاضر يُحدث عبد الله بن الزبير ، ومن عنده من الناس : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجاور في حِراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك ما تَحَنَّنَتْ به قريش في الجاهلية . والتحنن : التبرُّر (١) .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَتَوَرَّ وَمِنْ أُرْسَى تَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيرَقِي فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

التحنن والتحنف : قال ابن هشام : تقول العرب : التحنن والتحنف ، يريدون التحنينية فيبدلون الفاء من الثاء ، كما قالوا : جدف وجدث ، يريدون : القبر . قال ربيعة بن العجاج :

= اسم الله ، وهو : ليل ، وكان مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء لإضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام المعجم ، يقولون في غلام زيد : زيد غلام ، فعلى هذا يكون ليل عبارة عن العبد ، ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه ، وإن كان عجمياً ؛ فإن الخبر هو لإصلاح ما وهى وجبريل موكل بالوحى ، وفي الوحى جبر ما وهى من الدين .

(١) التبرر تفعل من البر ، وتفعل : يقتضى الدخول في الفعل ، وهو الأكثر فيها مثل : تَفَرَّقَتْه وتعبد وتنسك ، وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء وإطراحه ، كالتأثم والتخرج . والتحنن بالثاء المثلثة ، لأنه من الحنن وهو الحمل الثقيل ، وكذلك التقدر ، إنما هو تباعد عن القدر ، وأما التحنف بالفاء ، فهو من باب التبرر ؛ لأنه من الحنيفية دين إبراهيم وإن كان الفاء مُبْدَلَةً من الثاء ، فهو من باب التقدر والتأثم ، وهو قول ابن هشام ، واحتج بجدف وجدث . الروض الأنف ج ١ ص ٢٦٧

لو كانت أحجارى مع الأجداث^(١)

يريد : الأجداث : وهذا البيت فى أرجوزة له . وبيت أبى طالب فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .
قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة أن العرب تقول : فُسِمَ ، فى موضع : فُسِمَ ، يبدلون الفاء من التاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى وهب بن كيسان قال : قال عبيد : فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجاور^(٢) ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - السكبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته .

حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التى بعثه الله تعالى فيها ، وذلك الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة التى أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل - عليه السلام - بأمر الله تعالى .

(١) وفى بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جنى حيث زعم فى سر الصناعة أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداث ، واحتج بهذا المذهب فى أن التاء هى الأصل ، وقول رؤبة رد عليه ، والذى نذهب إليه أن الفاء هى الأصل فى هذا الحرف ، لأنه من الجدف وهو القطع ، ومنه جدف السفينة ، وفى حديث عمر فى وصف الجن : شراهم الجدفُ وهى الرغشوة ، لأنها تُجْدَفُ عن الماء ، وقيل : هى نبات يقطع ويؤكل . وقيل : كل إناء كشف عنه غطاؤه : جدف ، والجدف : القبر من هذا ، فله مادة وأصل فى الاشتقاق ، فأجدر بأن تكون الفاء هى الأصل والتاء داخلة عليها .

(٢) الجوار بالكسر فى معنى المجاورة وهى الاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد ، كذلك قال ابن عبد البر ؛ ولذلك لم يُسَمَّ جواره بحراء اعتكافا ، لأن حراء ليس من المسجد ، ولكنه من جبال الحرم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لجاءني جبريل ، وأنا نائم ^(١) ، بنمط من ديباج ^(٢) فيه

(١) قال في الحديث : فأتاني وأنا نائم ، وقال في آخره : فببت من نومي ، فكأنما كنت في قلب كتابا ، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : « أول ما بدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حجب الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاءه الحق ، وهو بنار حراء ، فجاءه جبريل ، فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيراً عليه ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعبؤها ثقیل ، والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه .

وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به إسرائيل ، فكان يترأى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ ، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزول الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - في أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كما في حديث ابن إسحاق .

ومنها : أن يُسَنَّفَ في رُوعه الكلام نَفْسًا ، كما قال عليه السلام : « إن روح القدس نفث في رُوعي أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .

ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه . وقيل : إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة ؛ فيكون أوعى لما يسمع ، وألقن لما يلقي .
ومنها : أن يتمثل له الملك رجلاً ، فقد كان يأتيه في صورة درحية بن خليفة .
ومنها : أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستائة جناح ، ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إما في اليقظة كما كلفه في ليلة الإسراء ، وإما في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : « أتاني ربي في أحسن صورة . »
(٢) فيه دليل وإشارة إلى أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الاعاجم ، ويسلبونهم =

كتاب، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: ففتتنى به (٢)، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أقرأ؟ قال: ففتتنى به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: ففتتنى به، حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علقٍ. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. قال: فقرأتها، ثم انتهت، فأنصرف عني، وهبت من نومي، فبكأنما كتبت في قلبي كتابا: قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي إلى السماء أنظر، فإذا جبريل في صورة رجل صافٍ قدميه (٣) في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله وأنا جبريل، قال: فوقف أنظر إليه فما أقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء، قال: فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيت كذا، فالتفت ووافق ما أتقدم أمأى، وما أرجع ورأى، حتى بعثت خديجة رُسَلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة، ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصرف عني.

الرسول (ص) يخبر خديجة (ص) بنزول جبريل عليه: وانصرفت راجعا إلى أهلي، حتى أتيت خديجة، فجلست إلى نخذه مضيئا إليها، فقالت: يا أبا القاسم، أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك، حتى بلغوا مكة ورجعوا لي، ثم حدثتها بالذي رأيت، فقالت: أشر يا ابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إن لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

= الديباج والحريز الذي كان زينتهم وزينتهم، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحريز والديباج.

(١) وفي رواية: ما أنا بقارىء، أى: لئى أمى، فلا أقرأ الكتب، قالها ثلاثا فقبل له: قرأ باسم ربك، أى: إنك لا تقرؤه بحولك، ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك، ولكن اقرأ نفتتحها باسم ربك مستعينا به، فهو يملك كما خلقك.

أما على رواية ما أقرأ، فيحتمل أن تكون ما استفهاما، يريد أى شيء أقرأ؟ ويحتمل أن تكون نفيا، ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي، أى ما أحسن أن أقرأ، كما تقدم. (٢) ويروى: فسأبني، ويروى: سأبني، وأحسبه أيضا يروى: فدعني وكلها بمعنى واحد، هو الخلق والغنم.

(٣) وفي حديث جابر أنه رآه على رفرف بين السماء والأرض، ويروى: على عرش =

ضريجة (ممه) تخبر ورقة بن نوفل : ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد المطلب بن قصي ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصر ، وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس (١) الأكبر الذي كان يأتي موسى (٢) ، وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول له : فليلبث .

فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف ، صنع كما كان يصنع : بدأ بالكعبة ، فطاف بها ، فلقية ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، وَلَمْ يَكُنْ بِنَبِيٍّ ، وَلَمْ يَكُنْ ذِي نَبَةٍ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ ، وَلَمْ يَكُنْ أَدْرَكَ (٣) ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقبل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى منزله .

= بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين قرعته الوحى ، كان يأتي شواحق الجبال بهم بأن يلقى نفسه منها ، فكان جبريل يترامى له بين السماء والأرض ، يقول له أنت رسول الله ، وأنا جبريل .

(١) الناموس : صاحب سر الملك ، وقال بعضهم : هو صاحب سر الخير ، والجالسوس : هو صاحب سر الشر .

(٢) ذكر موسى ولم يذكر عيسى - وهو أقرب - لأن ورقة كان محتقنا النصرانية وقتها . والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبي يأتيه جبريل إنما يقولون فيه : إن أنوما من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به ، على اختلاف بينهم في ذلك الحلول ، وهو أقدم الكلمة ، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ، يعلمهم الغيب ، ويخبر بما في غد .

(٣) الهاءات الأربعة لا ينطق بها إلا ساكنة فإنها هاءات سكت وليست بضمائر .

(٤) في الحديث : « إن يدركني يومك . . . » وهو القياض : لأن ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده .

تثبت خبر مجتبه (صه) من الوهمي : قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير : أنه تحدث عن خديجة رضى الله عنها أنها قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى ابن عم ، أنستطيع أن تخبرنى بصاحبك هذا الذى يأتىك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرنى به . فجاءه جبريل عليه السلام ، كما كان يصنع ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لخديجة : يا خديجة ، هذا جبريل قد جاءنى ، قالت : قم يا ابن عم فاجلس على نخذى اليسرى ، قال : فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول ، فاجلس على نخذى اليمنى ، قالت : فتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس على فخذه اليمنى ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحول فاجلس فى حجرى ، قالت : فتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجلس فى حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قال : فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس فى حجرها ، ثم قالت له : هل تراه ؟ قال : لا ، قالت يا ابن عم ، اثبت وأبشر ، فوالله إنه لملك وما هذا بشيطان .

قال ابن إسحاق : وقد حدثتُ عبد الله بن حسن (١) هذا الحديث ، فقال : قد سمعت أُمى فاطمة بنت جحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى سمعتها تقول : أدخلتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيننا وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبريل ، فقالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : إن هذا ملك ، وما هو بشيطان .

(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، وأمه : فاطمة بنت الحسين أخت سَكِينَةَ ، واسمها : آمنَة ، وسَكِينَةُ لقب لها ، التى كانت ذات دعاية ومزح ، وفى سَكِينَةَ وأُمها الرِّبَاب يقول الحسين بن على - رضى الله عن جميعهم :

كَأَنَّ اللَّيْلَ مَوْصُولٌ بِلَيْلٍ إِذَا زَارَتْ سَكِينَةَ وَالرِّبَابَ

أى : زارت قومها ، وهم : بنو عُلَيسَيم بن جناب ، من كلب ، ثم من بنى كعب بن عليم ، ويعرف بنو كعب ابن عليم بنى زيد غير مصروف ؛ لانه اسم أمهم ، وعبد الله بن حسن هو والد الظالميين القاتمين على بنى العباس ، وهم : محمد ويحيى وإدريس ، مات إدريس بإفريقية نارا من الرشيد ، مسموماً فى دلاعة (نوع من الحمار) أكلها .

ابتداء تنزيل القرآن

مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنَ : قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » ، وقال الله تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر » . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر . . وقال الله تعالى : « حم . والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا مُنْذِرِينَ . فيها يُفْرَقُ كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا إنا كنا مُرْسِلِينَ . . وقال تعالى : « إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » . وذلك حُلتَقَى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمشركون ببدر .

تاريخ وقعة بدر : قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة ، صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تَشَامَّ الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه ، قد قبله بقبواه ، وتحمل منه ما حُمِّلَهُ على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أفعال ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوقيفه ، لما يُلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم بما جاءوا به من الله سبحانه وتعالى . قال : فضي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يلقي من قومه من الخلاف حوالاذي .

إسلام خديجة بنت خويلد

وقوفها بجانبه (ص) : وآمنت به خديجة بنت خويلد ، وصدقت بما جاءه من الله ، ووازرته على أمره ، وكانت أول من آمن بالله وبرسوله ، وصدق بما جاءه منه ، تخفف الله بذلك عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رَدِّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك ، إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه ، وتصدقته وتهون عليه أمر الناس ، رحمها الله تعالى .

تبشير خديجة ببیت من قصب : قال ابن اسحاق : وحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أبشر خديجة ببیت من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب (١) .
قال ابن هشام : التصب : اللؤلؤ المجوف .

جبريل يقرئ خديجة السلام من ربها : قال ابن هشام : وحدثني من أئقي به ، أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أقرئ خديجة السلام من ربها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريل يقُرُّك السلام من ربك ، فقالت خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام .

فترة الوحى ونزول سورة الضحى : قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه فأحزنه ، لجأه جبريل بسورة الضحى ، يقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قللاه ، فقال تعالى : « والضحى والليل إذا بهى . ما ودّعك ربك وما قلى » . يقول : ما صرمتك فتركك ، وما أبغضك منذ أحبك . « والآخرة خير لك من الأولى » : أى لما عندى من مرجعك لى ، خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا . « ول سوف يعطيك ربك فترضى » من الفلح فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة . « ألم يجدك يتيما فساوى . ووجدك ضاللا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى » يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يؤتمه وعياله وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته (٢) .

تفسير مفردات سورة الضحى : قال ابن هشام : سجدى : سكن . قال أمية بن أبى الصلت الثقفى :

لذ أنى موهنا وقد نام صجدى وسجدا الليل بالظلام البهم (٣)

(١) حديث مرسل . رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . انظر الحديث بتمامه فى الروض الأنف بتحقيقنا ص ٢٧٧
(٢) كانت فترة الوحى سنتين ونصفا .

(٣) سجدا : دام وسكن .

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .
قال جرير :

ولقد رميتك حين رحن بأعين يقتلن من خمل الستور سواجي .
وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير . قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيته يأوى الضريك إذا شتا ومستنج بالي الدريسين عائل (١)
وجمعه : عائلة وعيل . وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله : والعائل
أيضا : الذي يعول العيال . والعائل أيضا : الخائف . وفي كتاب الله تعالى : « ذلك أدنى ألا
تعولوا » . وقال أبو طالب :

بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها . والعائل أيضا الشيء الثقيل
المعي . يقول الرجل : قد عالني هذا الأمر : أي أثقلني وأعيانني . قال الفرزدق :

تري الغر الجحاجيح من قریش إذا ما الأمر في الحدثن عالا (٢)

وهذا البيت في قصيدة له .

« فأما اليتيم فلا تقهر » . وأما السائل فلا تنهر : أي لا تكن جباراً ولا متكبراً ، ولا
تغاشا نظاً على الضعفاء من عباد الله . « وأما بنعمة ربك فحدث » : أي بما جاءك من الله من
نعمته وكرامته من النبوة فحدث ، أي اذكرها واذع إليها ، لجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سراً إلى من يطمئن إليه من أهله .

(١) الضريك : الضعيف . والمستنج : الذي يضل الطريق فينبج فتجاوبه الكلاب فيعرف
مكان العمران . والدريس : الثوب الخلق .

(٢) الغر : المشهورون ، والجحاجيح : السادة وحذف الياء لإقامة الوزن . والحدثن :
حوادث الدهر .

ابتداء ما افترض الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها

وافترضت الصلاة عليه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، والسلام عليه وعليهم
ورحمة الله وبركاته .

افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان عن
عروة بن الزبير ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين ، كل صلاة ؛ ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعاً
وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين (١) .

جبريل يعاين الرسول (ص) الوضوء والصلاة : قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل
العلم : أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتاه جبريل وهو بأعلى
مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريل عليه السلام ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، ايريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ، ثم قام به جبريل فصلى به ، وصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بهصلاته ، ثم انصرف جبريل عليه السلام .

الرسول (ص) يعلم مخدبجة الوضوء والصلاة : لجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
خديجة ، فتوضأ لها ايريتها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل ، فتوضأت كما توضأ لها رسول
الله عليه الصلاة والسلام ، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبريل
فصلت بهصلاته (٢) :

-
- (١) ذكر المزن أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل طلوع الشمس وأخرى بعد
الغروب ، وقال ابن سلام : فرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فيحتمل قول عائشة (ض)
« فزيد في صلاة الحضر ، أى زيد فيها حين أكملت خمسنا ، فتكون الزيادة في الركعات وفي
عدد الصلوات ويكون قولها « فرضت الصلاة ركعتين ، أى قبل الإسراء .
- (٢) الحديث مقطوع في السيرة ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية ولكنه روى =

جبريل يعين للرسول (ص) أوقات الصلاة : قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تميم ، عن نافع بن مجير بن موطئ عن سم ، وكان نافع كثير الرواية ، عن ابن عباس قال : لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام ، فصلّى به الظهر حين مالت الشمس ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ، ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ، ثم جاءه فصلّى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ، ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ، ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ، ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ، ثم صلى به الصبح مُسَفَرًا غير مشرق ، ثم قال : يا محمد ، الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس (١)

ذكر أن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ذكر اسلم

قال ابن إسحاق : ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، رضوان الله وسلامه عليه ، وهو يومئذ ابن عشرين سنين .

نعمة الله على علي بن أبي طالب : وكما أنعم الله به على علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

سبب هذه النعمة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد بن جبر ابن أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له ، وأراد

== مسنداً إلى زيد بن حارثة يرفعه ، غير أنه يدور أيضاً على ابن طبيعة وقد ضعف فلم يخرج له البخاري ومسلم ، أما مالك فكان يحسن فيه القول . انظر تمام القول في الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(١) هذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع ؛ لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة ، كانت في الغد من ليلة الإسراء ، وذلك بعدما نبي عليه الصلاة والسلام بخمسة أعوام ، وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف ، وقيل : بعام ، فذكره ابن إسحاق في بدء نزول الوحي ، وأول أحوال الصلاة . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٤ .

به من الخير ، أن قرشنا أصابهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم . يا عباس : إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه ، فلنخفف عنه من عياله : آخذ من بنيه رجلا ، وتأخذ أنت رجلا ، فنكلهما عنه ؛ فقال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا له : إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ؛ فقال لهما أبو طالب : إذا تركتهما عقيلا فاصنعا ما شئتما — قال ابن هشام : ويقال : عقيلا وطالبا (١) .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، فضمه إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمه إليه ، فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا ، فاتبه على رضى الله عنه ، وآمن به وصدقه ؛ ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه .

الرسول (ص) وعمل يخرجان إلى الصلاة في شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما :

قال ابن إسحاق : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فكنا كذلك ما شاء الله أن يملكنا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ! ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أى عم ! هذا دين الله ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين أبيينا إبراهيم — أو كما قال صلى الله عليه وسلم — بعثى الله به رسولا إلى العباد ، وأنت أى عم ، أحق من بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى . وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه ، أو كما قال ؛ فقال أبو طالب : أى ابن أخى ! لاني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يخذلنى (٢) إليك بشئ تكرهه ما بقيت .

(١) وكان على أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عتيل بعشر سنين وعتيل أصغر من طالب بعشر سنين ، وكلهم أسلم إلا طالبا الذى يقول عنه السبيلى أنه اختطفته الجن فلم يعلم لإسلامه .

(٢) لا يخاص : لا يوصل .

وذكروا أنه قال لعلي : أي بني ! ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت ، آمنت بالله وبرسول الله ، وعندته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه .

إسلام زيد بن حارثة ثانيا

قال ابن إسحاق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن شُرَحْبِيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس السكبي ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول ذكر أسلم ، وصلى بعد علي ابن أبي طالب .

نسب زيد : قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى ابن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة . وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة^(١) وصيف . فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : اختارى يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيدا فأخذته ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها ، فاسترهبه منها ، فوهبته له ، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه ، وذلك قبل أن يوحى إليه .

شعر حارثة أبي زيد عندما فقده : وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا ، وبكى عليه حين فقده ، فقال :

أحى قـيرجـى أم أتى دونه الأجل	بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل	فوالله ما أدرى ولانى لسائل
لحسبى من الدنيا رجوعك لي بحمل ^(٢) ؟	ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة

(١) لأن أم زيد : سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طيء ، وكانت قد خرجت بزید لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القين بن جسر ، فباعوه بسوق حباشة ، وهو من أسواق العرب ، وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ، ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحاق .

(٢) حمل : حسم

تذكرني الشمس عند طلوعها وتعرض ذكرها إذا غربها أفل
 وإن هبت الأرواح هييجن ذكره فيأطول ما حزني عليه وما وجل^(١)
 سأعمل نص العيس في الأرض جاهداً ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل^(٢)
 حياتي أو تأتي على منيتي فكل امرئ فان وإن غره الأمل^(٣)

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن شئت فأقم عندي ، وإن شئت فانطلق مع أهلك ، فقال : بل أقيم عندك . فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم ، وصلى معه ؛ فلما أنزل الله عز وجل : « ادعهم لأبائهم » . قال : أنا زيد بن حارثة .

إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه وشأنه

نسبه : قال ابن إسحاق : ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

اسمه ولقبه : قال ابن هشام : واسم أبي بكر : عبد الله ، وعتيق : لقب لحسن وجهه وعتقه .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه : أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله .

(١) الأرواح : جمع ريح . (٢) النص : السير السريع .

(٣) زاد السميلى بعد هذا البيت قوله :

سأوصي به قيساً وعمراً كليهما وأوصي يزيداً ثم أوصي به جبل
 ولما بلغ زيداً قول أبيه قال بحيث يسمعه الركبان :

أحن إلى أهلى وإن كنت نائياً بأنى قعيد البيت عند الشاعر
 فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم ولا تعملوا فى الأرض نص الأباغر
 فإني بحمد الله فى خير أسرة كرام معد كابرأ بعد كابر

انظر تمام الموضوع فى الروض الألف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

إيلافي قریش له ودعوتہ الاسلام . وكان أبو بكر^(١) رجلاً مألفاً لقومه ، حياً سهلاً ، وكان أنسب قریش لقریش ، وأعلم قریش بها ، وبما كان فيها من خير وشر ؛ وكان رجلاً تاجراً ، ذا خلق ومعرفة ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر : لعله وتجارته وحسن مجالسته ، لجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ، ممن يغشاه ويجلس إليه .

ذكر من أسلم من الصحابة بدعوة أبي بكر رضي الله عنه

عثمان قال فأسلم بدعائه — فيما بلغني — عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب .

الزبير : والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي .

عبد الرحمن بن عوف : وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

سعد بن أبي وقاص : وسعد بن أبي وقاص ، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن مرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي .

طلحة : وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي ، لجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فيما بلغني : ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبرة^(٢) ، ونظار وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ما عم عنه حين ذكره له ، وما تردد فيه .

(١) ويسمى أيضاً عتيقاً لعناقه وجهه وهو الحسن . وكان يسمى عبد الكعبة حتى أسلم وأمه أم الخير بنت محضر بن عمرو بنت عم أبي قحافة ، وأما أم أبيه قيلة بنت أذاه بن رياح بن عبد الله ، وامرأته قتلة بنت عبد العزى .

(٢) الكبرة : التأخر وعدم الإجابة .

قال ابن هشام : قوله : « بدعائه » عن غير ابن إسحاق .
قال ابن هشام : قوله : عكم : تلبث . قال ربيعة بن العجاج :

وانصاع وئاب بها وما عكم^(١)

قال ابن إسحاق : فكان هؤلاء نفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله .

إسلام أبي عبيدة : ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح ، واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح
ابن هلال بن أمية بن ضبة بن الحارث بن فهر .

إسلام أبي سادة : وأبو سادة ، واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام الأرقم : والأرقم بن أبي الأرقم . واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد — وكان
أسد يكنى أبا جندب — بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام عثمان بن مظعون وأخويه : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن
جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون .
ابن حبيب .

إسلام عبيدة بن الحارث : وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب .
ابن مرة بن كعب بن لؤى .

إسلام سعيد بن زيد وامرأته : وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله
ابن قُـرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ؛ وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل
ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُـرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، أخت عمر
ابن الخطاب .

(١) انصاع : ذهب .

إسلام أسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الأرت : وأسماء بنت أبي بكر . وعائشة بنت أبي بكر ، وهي يومئذ صغيرة . وخباب بن الأرت ، حليف بني زهرة .

قال ابن هشام . خباب بن الأرت من بني تميم ، ويقال : هو من خزاعة .

إسلام عمير وابن مسعود وابن الفجاري : قال ابن إسحاق : وعمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص . وعبد الله بن مسعود بن الحارث بن شمة بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن مهنذيل . ومسعود بن القاري ، وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن كحالة بن غالب بن محمّل بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة .

قال ابن هشام : والقارة . لقب ، ولهم يقال :

قد أنصف القارة من رامها .

وكانوا قوما رماة^(١) .

إسلام سليط وأخيه ، وعياش وامرأته ، وخنيس ، وعامر : قال ابن إسحاق : وسليط ابن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر ، وأخوه حاطب بن عمرو وعياش بن ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن

(١) وسمى بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب :

دعونا قارة لاتدعرونا فتجفل مثل إجفال الظليم

هكذا أنشده أبو عبيد في كتاب الأنساب ، وأنشده قاسم في الدلائل :

دعونا قارة لاتدعرونا فتنبئك القرابة والذمام

وكانوا رماة الحدق ، فن رامهم فقد أنصفهم ، والقارة . أرض كثيرة الحجارة ، وجمعها قور ، فكان معنى المثل عندهم . أن القارة لاتنفذ حجارتها إذ رمى بها ، فن رامها فقد أنصف .

بقطة بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وامراته أسماء بنت سلامة بن مخزبة التميمية . وخنيس بن حذافة بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وعامر بن ربيعة ، من عنز بن وائل ، حليف آل الخطّاب بن ذؤنيل بن عبد العزّى .

قال ابن هشام : عنز بن وائل أخو بكر بن وائل ، من ربيعة بن نزار .

إسلام ابنى جحش ، وجعفر وامراته ، وحاطب وأخوته ونسائهم ، والسائب ، والمطلب وامراته : قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جحش بن رثاب بن يعضر بن صبرة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمية . وأخوه أبو أحمد بن جحش ، حليفنا بنى أمية بن عبد شمس . وجعفر بن أبي طالب ؛ وامراته أسماء بنت عمر بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة ، من نخشم . وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن مجع بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى ، وامراته قاطمة بنت الجاهل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نعيم بن مالك بن حسيل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر وأخوه حطّاب بن الحارث ؛ وامراته فكيهة بنت يسار . ومعمر بن الحارث بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جحش بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب . والمطلب بن أزهري بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وامراته : رمة بنت أبي عوف بن مصيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى .

إسلام نعيم : والنحام ، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسد ، خو بنى كعب بن لؤى .

نسب نعيم : قال ابن هشام : هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى ، وإنما سمي النحام ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : لقد سمعت نحمه فى الجنة .

قال ابن هشام نحمه : صوته . أو حبه .

إسلام عامر بن فهيرة : قال ابن إسحاق : وعامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

نسبه : قال ابن هشام : عامر بن فُييرة مولد من موالدي الاسند ، أسود اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم .

اسلام خالد بن سعيد ونسبه واسلام امرأته : قال ابن اسحاق : وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وامراته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جُحَشمة بن سعد بن مُلَيْيح بن عمرو ، من خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال : هُمَيينة بنت خلف .

اسلام حاطب وأبي حذيفة : قال ابن اسحاق : وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأبو حذيفة ، واسمه مهشم — فيما قال ابن هشام — بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى .

اسلام واقد وشيء من خبره : وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، حليف بنى عدى بن كعب .

قال ابن هشام : جاءت به باهلة ، فباعوه من الخطاب بن نفيل ، فقتناه ، فلما أنزل الله تعالى : « ادعهم لأبائهم » قال : أنا واقد بن عبد الله ، فيما قال أبو عمرو المدنى .

اسلام بنى البكير : قال ابن اسحاق : وخالد وعامر وعافل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة خلفاء بنى عدى ابن كعب .

اسلام عمار : بن ياسر ، حليف بنى مخزوم بن يقظة .

قال ابن هشام : عمار بن ياسر عنى من مذحج .

اسلام صهيب : قال ابن اسحاق : صهيب بن سنان ، أحد النمر بن قاسط ، حليف بنى تميم بن مرة .

نسب صهيب : قال ابن هشام : النمر بن قاسط بن هُذَيب بن أُنْصَى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار ، ويقال : أنصى بن دعى بن جديلة بن أسد ؛ ويقال : صهيب : مولى عبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم .

ويقال : إنه روى . فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط ، إنما كان أسيراً في

أرض الروم ، فاشتري منهم . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « صيب سابق الروم » (١) .

مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، وما كان منهم

أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمباداة قومه : قال ابن اسحاق : ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث به . ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ييادي الناس بأمره ، وأن يدعو إليه ، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بالغنى - من مبعثه : ثم قال الله تعالى له : « فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين » (٢) . وقال تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفـضـ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، وقل إني أنا النذير المبين » .

معنى « اصدع بما تؤمر » : قال ابن هشام : اصدع : افرق بين الحق والباطل . قال أبو ذؤيب الهذلي ، واسمه خويلد بن خالد ، يصف أتن (٣) وحش وخلفا :

وكانهن ربابة وكانه يسسر يفيض على التداح ويصدع (٤)
أى يفرق على التداح ويبين أنصباها . وهذا البيت في قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :
أنت الحليم والأمير المنتقم تصدع بالحق وتنير من ظلم

(١) انظر زيادة في نسب هؤلاء وأبحاثنا كثيرة عنهم في الروض الأنف بتحقيقنا ج ١ ص ٢٨٦ : ٢٩٤ .

(٢) المعنى : اصدع بالذى تؤمر به ، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها ههنا أحسن من ذكرها ؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذى وقولهم : (ما) مع الفعل بتأويل المصدر ، راجع إلى معنى الذى إذا تأملته ، وذلك أن (الذى) تصلح في كل موضع تصلح فيه (ما) المصدرية نحو قول الشاعر :

عسى الأيام أن يرجع ن يوماً كالذى كانوا

انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٢ ص ٦ .

(٣) الأتن مفردا أتان وهى أنثى الحمر .

(٤) الربابة : جلدة تلف فيها قدام الميسر ، واليسر الذى يدخل في الميسر . والتداح مفردا

تدح وهو السهم .

وهذان اليتان في أرجوزة له .

خروج الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه للصلاة في الشعب : قال ابن إسحاق :
وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ، ذهبوا في الشعب ، فاستخفوا بصلاتهم
من قومهم ، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شعب من شعاب مكة ، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم ، وعابوا عليهم
ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير (١)
فشججه ، فكان أول دم هريق في الإسلام .

عداوة قومه وهساندة أبي طالب له : قال ابن إسحاق : فلما بادی رسول الله صلى الله
عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ، لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه - فيما بلغني -
حتى ذكر آلهتهم وعابها ؛ فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه ، وأجمعوا خلافته وعداوته ،
إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحذب (٢) على رسول الله صلى
الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، ومنعه وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أمر الله ، مظهرًا لأمره ، لا يردده عنه شيء . فلما رأت قريش ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يعتبهم (٣) من شيء أنكروه عليه ، من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد
حذب عليه ، وقام دونه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب ، عتبة
وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب . وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر .

قال ابن هشام : واسم أبي سفيان صخر .

(١) لحى البعير : العظم الذي على نخذه

(٢) أصل الحذب : انحناء في الظهر ، ثم استعير ليعين عطف على غيره ، ورق له كما
قال النابغة :

حذبت على بطون ضبة كلها إن ظالما فيهم ، وإن مظلوما
روض ج ٢ ص ٧ .

(٣) لا يعتبهم : لا يرضيهم .

قال ابن إسحاق : وأبو البختري ، واسمه العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى .
ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى .

قال ابن هشام : أبو البختري : العاص بن هاشم (١) .

قال ابن إسحاق : والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي من كلاب بن مرة .
ابن كعب بن لؤى . وأبو جهل - واسمه عمرو ، وكان يكنى أبا الحكم - بن هشام بن المغيرة
ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . والوليد بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . وزبويه ومنبه ابن الحجاج بن
عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . والعاص بن وائل .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن
كعب بن لؤى .

وفد قريش يعاتب أبا طالب : قال ابن إسحاق : أو من مشى منهم . فقالوا : يا أبا طالب ،
إن ابن أخيك قد سب آل هتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضال آباءنا ؛ فإما أن تكفه
عنا ، وإما أن تجلّ بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيك فقال لهم
أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه .

الرسول (ص) يستمر في دعوته : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه
يظهر دين الله ، ويدعو إليه ، ثم شرى (٢) الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا (٣) ،
وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، فتذا مروا فيه ، وحض بعضهم
بعضاً عليه (٤) .

(١) الذى قاله ابن إسحاق هو قول ابن الكلبي ، والذى قال ابن هشام هو قول الزبير بن
أبي بكر وقول مصعب وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر ، مفيان بن العاصي .
انظر الروض ج ٢ ص ١٠ .

(٢) شرى : اشتد . (٣) تضاغنوا : تعادوا .

(٤) تذا مروا حض بعضهم بعضاً والعطف للتفسير .

رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانية : ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب ، إن لك سنا ومرفا ومنزلة فينا ، وإننا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا ، وإننا والله لانصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو تنازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد الفريقين - أو كما قالوا له - ثم انصرفوا عنه ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه .

ما دار بين الرسول (ص) وأبي طالب : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث : أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قريمتك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، للذي كانوا قالوا له ، فابتغى علي وعلى نفسك ، ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق ؛ قال : فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء (١) أنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والتيام معه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والتمر في يساري (٢) على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته . قال : ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ؛ فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخي ؛ قال : فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

قريش تعرض عمارة بن الوليد لـ أبي طالب : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبي خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه ، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوا إليه بعمار بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له - فيما بلغني - يا أبا طالب ، هذا عمار بن الوليد ، أنهد (٣) فتى في قريش وأجمله ، نخذه فلك عقله ونصره ، واتخذناه ولداً

(١) أي ظهر له رأى ، فسمى الرأى بداء ، لأنه شيء يبدو بعد ما خفي ، والمصدر البدء والبدو ، والاسم ، البداء ، لا يقال في المصدر ، بدا له بدو ، كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع ، لأن الذي يظهر ، ويبدو عائدنا هو الاسم ، نحر البداء وأنشد أبو علي :

لعلك والمرعود حق وفاؤه بدا لك في تلك التلوص بداء

(٢) خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة ، وخص التمر باليسار لأنها الآية المحسوسة

(٣) أنهد : أشد

فبذلك ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا ، الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فمقتله ، فإنما هو رجل برجل ؛ فقال : والله لبئس ما تسوموننى ، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكُم ابنى تقتلونه ١٩ هذا والله مالا يكون أبدا . قال : فقال المعلم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص مما تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا ؛ فقال أبو طالب للمعلم : والله ما أنصفونى ، ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة التزيم على ، فاصنع ما بدا لك ، أو كما قال . لحقب الأمر (١) ، وحيت الحرب ، وتنابد التزيم ؛ وبأذى بعضهم بعضا .

شعر أبى طالب فى المطعم ومن خذله : فقال أبو طالب عند ذلك ، يعرض بالمطعم بن عدى ، ويعم من خذله من بنى عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سأله ، وما تباعد من أمرهم :

ألا قل لعمرو والوليد ومعلم	ألا ليت حظى من حياطتكم بكر (٢)
من الخور حجاب كثير رغاؤه	يرش على الساقين من بوله قطر (٣)
تخلف خلف الورد ليس بلاحق	إذا ما علا التيفاء قيل له وبر (٤)
أرى أخويننا من أبنينا وأمننا	إذا سئلا قالوا إلى غيرنا الأمر
بلى لهما أمر ولكن تهرجما	كما جهرجت من رأس ذى عاق صخر (٥)
أخص خصوصا عبدا شمس ونوفلا	هما نبذانا مثل ما ينبذ البحر
هما أغمزا للقوم فى أخويهما	فقد أصبحا منهم أكفهما صفر (٦)

(١) حقب : اشتد

(٢) يريد أن يقول إن بكرا من الإبل أنفع لى منكم ، قليته لى بدلا من حياطتكم . وذلك كما قال طرفه فى عمرو بن هند :

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئا حول قبتنا نخور

(٣) الخور : الضعاف . والحجاب : الصغير

(٤) الورد : دويبة صغيرة تشبه الهرة شبه بها لصغره .

(٥) تهرجم : انحدر ، وذو عاق : جبل فى ديار بنى أسد .

(٦) أغمزا : استضعف . والصفر : الخالى

هما أشركا في المجد من لا أبا له من الناس إلا أن مِرْس له ذكر (١)
وتيم ومخزوم وزهرة منهم وكانوا لنا مولى إذا بُغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة ولا منهم ما كان من نسانا شفر (٢)
فقد أسفحت أحلامهم وعقولهم وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

قال ابن هشام : تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

قريش تظهر عداوتها للمسلمين : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذا مروا بينهم على من
في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه ، فوثبت كل قبيلة
على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ، ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله صلى الله عليه
وسلم منهم بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب ، حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني
هاشم وبني المطلب ، ندعاهم إلى ما هو عليه ، من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام
دونه ؛ فاجتمعوا إليه ، وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب ، عدو
الله الملعون .

شعر أبي طالب في مدح قومه ونصرته : فلما رأى أبو طالب من قومه ماسره في جهدهم
معه ، وحَدَّ بهم عليه ، جعل يدحهم ويدكر قديهم ، ويدكر فضل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيهم ، ومكانه منهم ، ليشد لهم رأيهم ، وليحبوا معه على أمره ، فقال :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها (٣)
وإن حصّلت أشراف عبد منافها فني هاشم أشرافها وقديمها
وإن نفرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش خشها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

(١) يرس : يذكر

(٢) شفر : أحد

(٣) سرها : وسطها ، وسر الوادي وسرارته وسطه وذلك مدح في موضعين في وصف
الشهود وفي النسب .

وكنا قديما لانيرة ظلامه اذا ما شئنا صمر الحدود نقيما (١)
ونحمي حماها كل يوم كريمة ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء ولاننا بأكتافنا تندى وتنى أرومها (٢)

الوليد بن المغيرة : كيده للرسول ، وموقفه من القرآن

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم : يا معشر قريش ، إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا ؛ قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأيا نقول به ؛ قال : بل أتم فتولوا أسمع ؛ قالوا : نقول كاهن ؛ قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزومة (٣) الكاهن ولا يجمعه ؛ قالوا : فنقول : مجنون ؛ قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقة ، ولا تخالجه ، ولا وسوسته ؛ قالوا : فنقول : شاعر ؛ قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كاهن رجزه وهرجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ؛ قالوا : فنقول : ساحر ؛ قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرم ، فما هو بنفثهم ولا غشهم (٤) ؛ قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لملأوه ، وإن أصله لعنق ، وإن فرعه لجناة — قال ابن هشام : ويقال لعنق (٥) — وما أتم بقائلين من هذا شيئا

(١) شئنا : خطفوا . وصمر صده : أماله إلى جهة مثل فعل المتكبر

(٢) الذواء : الذي جفت رطوبته ، الأروم : مفردة أرومة وهي الأصل .

(٣) زومة الكاهن : كلامه الخفى .

(٤) العنق والنفث : هو أن يعقد الساحر خيطا وينفث فيه بغمه .

(٥) قول الوليد : إن أصله لعنق ، وإن فرعه لجناة . استعارة من النخلة التي ثبت أصلها ، وقوى وطاب فرعها إذا جنى ، والنخلة هي : العنق بفتح الدين ، ورواية ابن إسحاق أنصح من رواية ابن هشام ، لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ، ورواية ابن هشام : إن أصله لعنق ، وهو الماء الكثير ، ومنه يقال : غيدق الرجل إذا كثرت بصاقه . وأحد أعمام النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يسمى : الغيداق لكثرة عطائه — والغيدق أيضا ولد الضب ، هو أكبر من الحسل قاله قتارب في كتاب الأنعام والأسماء له .

إلا عُرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته . فنفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبيل الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره . فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله : « ذرني ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدوداً وبنيين شهوداً ، ومُدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً » : أى خصيماً .

قال ابن هشام : عنيد : معاند مخالف . قال رؤبة بن العجاج :

ونحن ضرابون رأس المـ

وهذا البيت في أرجوزة له .

« سأرهقه صعوداً ، إنه فكر وقدر ، فـُتـُـتـُـل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم فطر ، ثم عبس وبسر » .

قال ابن هشام : بسر : كره وجهه . قال العجاج :

مُضْطَرِّبُ اللَّحْمِينَ بَسْرًا مِنْهَا^(١)

يصف كراهية وجهه . وهذا البيت في أرجوزة له .

« ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر مبين ، إن هذا إلا قول البشر » .

رد القرآن على صاحب الوليد : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصفقون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الله تعالى : « كما أنزلنا على المقتسمين . الذين جعلوا القرآن عضين . فوربك لننسأنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون » .

قال ابن هشام : واحدة العضين : عضة ، يقول : عضه : فرقه . قال رؤبة بن العجاج :

وليس دين الله بالمعضي

وهذا البيت في أرجوزة له

(١) المضرب : الشديد . واللحيان عظامان في الوجه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .

قال ابن إسحاق : فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانشر ذكره في بلاد العرب كلها .

شعر أبي طالب في معاداة خصومه : فلما خشي أبو طالب دهاء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها ، وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركة لشيء أبداً حتى يهلك دونه ، فقال :

ولما رأيت القوم لا مود فيهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى وقد طاعروا أمر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة يعضون غيظا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة وأبيض غضب من تراث المقاتل^(١)
وأحصرت عند البيت رهطى وإخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصلات^(٢)
قياما معا مستقبلين رتاجه لدى حيث يقضى تحلفه كل نازل^(٣)
وحيث ينسج الأشعرون ركايبهم بمنفضى السيول من إساف ونائل
موسمة الأعضاء أو قَصَراتها مخيصة بين السديس وبازل^(٤)

(١) أراد بالمقاتل : آباءه ، شبههم بالملوك ، ولم يكونوا ملوكا ، ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث أبي سفيان حين قال له هرقل : هل كان في آباءه من ملك ؟ فقال : لا . ويحتمل أن يكون هذا السيف الذى ذكر أبو طالب من هبات الملوك لأبيه ، فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش ، يهنتونه بظفره بالخبشة ، وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم — بعامين . روض ٢٢/٢

(٢) الوصائل : ثياب مخططة حمراء ، كان يكسى بها البيت الحرام .

(٣) النافل : المتبرى .

(٤) موسمة : معلقة ، ويقال للموسم الذى فى الأعضاء : السطاع والرقعة ، وللذى فى الفخذ : الخياط ، وفى الكشح : الكشاح ، والذى فى قصرة العنق : العلاط ، والتقصرات : أصول الأعناق ، والمخيصة : المذلة ، والسديس الذى دخل فى السنة السادسة . والبازل الذى بلغ التاسعة بفرج نابه .

ترى الودع فتها والرخام وزينة بأعناقها معقودة كالعناكل^(١)
أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح يبطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعية ومن ملحق في الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراق ليرقى في حراء ونازل^(٢)
وبالبيت، حق البيت، من بطن مكة وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه إذا اكتفروه بالضحي والأصائل
وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل^(٣)
وأشواط بين المروتين إلى الصفا وما فيهما من صورة وتماثل^(٤)
ومن حج بيت الله من كل راكب ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
والمشعر الأقصى إذا عمدوا له لإلال إلى مفضى الشراج القوابل^(٥)
وتوقفهم فوق الجبال عشية يقيمون بالأيدى صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل^(٦)

(١) الودع : خرزات يتحلى بها الصبيان . والعناكل الأغصان .

(٢) ثور وثبير وحراء : جبال بمكة

(٣) موطىء إبراهيم في الصخر رطبة . يعنى موضع قدميه حين غسلت كتمته (زوج ابنته) رأسه ، وهو راكب ، فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل ، وكانت سارة قد أخذت عليه عهدا حين استأذنها في أن يطالع تركته بمكة ، فحلف لها أنه لا ينزل عن دابته ، ولا يزيد على السلام ، واستطلاع الحال غيره من سارة عليه من هاجر ، فحين اعتمد على الصخرة أبقي الله فيها أثر قدمه آية . قال الله سبحانه : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم » .

(٤) الأشواط : جمع شوط الجرى من البداية إلى الغاية مرة واحدة والمروتين الصفا والمروة فهو من باب التغليب كالأبوين . والتماثل التماثل أسقط ياءها ضرورة .

(٥) المشعر : عرفة . الإلال : جبل بعرفات . والشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء . والقوابل : المقابلة .

(٦) جمع : المزدلفة .

وجمع إذا ما المقربات أجزئه سراعا كما يخرجن من وقع وابل (١)
وبالجرة الكبرى إذا صمدوا لها يؤمون قدقا رأسها بالجنادل
وكندة إذ هم بالحصاب عشية تميز بهم حجاج بكر بن وائل (٢)
حليفان شداً عقد ما احتلفا له وردا عليه عاطفات الوسائل
وحظهم سمر الرماح وسرحه وشبرقه وخد النعام الجوافل (٣)
فهل بعد هذا من معاذ لعائد وهل من معيد يتق الله عاذل
يطاع بنا أمر العدى ود أتنا تسد بنا أبواب ترك وكابل (٤)
كذبتم وبيت الله نترك مكة ونظعن إلا أمرهم في بلابل (٥)
كذبتم وبيت الله نبزى محمداً ولما نظاعن دونه وتناضل (٦)
ونؤسله حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل (٧)
وحق ترى ذا الضغن يركب رده من الطعن فعل الانكسب المتحامل (٨)
ولما لعمر الله إن جد ما أرى لتلبس أسيفنا بالأمائل
بكفى ففى مثل الشهاب سميدع أخى ثقة حامى الحقيقة باسل (٩)

-
- (١) المقربات : الخيل الكريمة التى تقرب مرابطها من البيوت . الوابل : المطر الشديد .
(٢) الحصاب : مكان رمى الجمار .
(٣) الحطام الكسر : والسمر : من شجر الطلح . والسرح : الشجر العظيم ، والشبرق :
نبات . والوخد : السريع . والجوافل : المسرعة .
(٤) ترك وكابل : جيلان من الناس .
(٥) البلابل : وسوس الهموم .
(٦) نبزى : نسلب ونغلب .
(٧) الروايا : الإبل تحمل الماء . والصلاصل : المزدادات يسمع لها صلصلة .
(٨) الضغن : العداوة وبركب رده : يخرج على وجهه صريعاً والانكسب : المائل .
(٩) السميدع : السيد من الرجال .

شهوراً وأياماً وحولاً مجرماً علينا وتأتى حجة بعد قابل (١)
وما ترك قوم، لا أبالك، سيداً يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٢)
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه همال اليتامى عصمة للأرامل (٣)
يلوذ به الهولاف من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواصل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره إلى بغضنا وجزأنا لآكل
وعثمان لم يربع علينا وقفذ ولكن أطاعا أمر تلك القبائل (٤)
أطاعا أيما وابن عبد يغوثهم ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سبيع ونوفل وكل تولى معرضاً لم يجمال
فإن يلقيا أو يمكن الله منهما نسل لهما صاعاً بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبي غير بغضنا ليطغنا في أهل شاء وجمال (٥)
يناجى بنا في كل مسمى ومصبح فجاج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويؤلى لنا بالله ما إن يغشينا بلى قد نراه جهرة غير حائل (٦)
أضاق عليه بغضنا كل تلة من الأرض بين أخشب فجادل (٧)
وسائل أبا الوليد ماذا جوتنا بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
وكت امرأ ممن يعاش برأيه ورحمته فينا ولست بجمال

(١) المحرم : الكامل .

(٢) الذمار : الحى . والذرب : الفاحش المنطق . المواكل : من يكل أمره إلى غيره .

(٣) همال اليتامى : من يتولى أمرهم ويقوم بهم .

(٤) لم يربع : لم يقيم (٥) الجامل : جماعة الجمال

(٦) يؤلى : يقسم .

(٧) التلة : ما شرف من الأرض . والأخشب : أراد الأخشاب وهى جبال مكة وجاء به على أخشب لأنه فى معنى أجبل ، مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد ويصغر كذلك ، والمجادل : التصور والخصون فى رؤوس الجبال . كأنه يريد ما بين جبال مكة فتصور الشام والمراق ، والفاء فى مجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو كقوله : بين الدخول فحول .

فمتبة لا تسمع بنا قول كاشح حسود كذوب مبغض ذى دغاؤل (١)
 ومرّ أبو سفيان عنى معرضا كما مرّ قتيل من عظام المقاول
 يفر إلى نجد وبرد مياهه ويزعم أنى لست عنكم بغافل
 ويخبرنا فعل المناصح أنه شقيق ويخفى عارمات الدواخل (٢)
 أمطعم لم أخذك في يوم نجدة ولا معظم عند الأمور الجلائل
 ولا يوم خصم إذا أتوك ألدّة أولى جدل من الخصوم المساجل (٣)
 أمطعم إن القوم ساموك خطة وإنى متى أوكل فلست بوائل (٤)
 جرى الله عنا عهد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل
 بميزان قسط لا يمحس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل (٥)
 لقد سفتت أحلام قوم تبدلوا بنى تخلف قيضا بنا والغياطل (٦)
 ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصى في الخطوب الأوائل
 وسهم ونحزوم تمالوا وألبوا علينا العيدا من كل طمل وخامل (٧)
 فبعد مناف أنتم خير قومكم فلا تشرکوا فى أمرکم کل وائل (٨)
 لعمرى لقد وهنتم وعجزتم وجثتم بأمر غطىء للمفاصل (٩)

(١) الدغاؤل : الغوائل . (٢) العارمات : الشديديات والدواخل التمام

(٣) المساجل : من يعارض فى الخصومة

(٤) سامه خطة : كافه بها . والوائل : الناجى .

(٥) العائل : الحائر .

(٦) القيض : العوض والغياطل : بنو سهم ، لأن أمهم الغيطة ، وقيل : إن بنى سهم سموا بالغياطل ، لأن رجلا منهم قتل جائئا ، طاف بالبيت سبعا ، ثم خرج من المسجد فقتله ، فأظلمت مكة ، حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابهم . والغيطة : الظلمة الشديدة ، والغيطة أيضا : الشجر المتلف ، والغيطة : اختلاط الأصوات ، والغيطة : البقرة الوحشية ، والغيطة : غلبة الناس .

(٧) الطمل : الفاحش (٨) الوائل : المهاجم على القوم فى شراهم ولم ويدع .

(٩) غطىء للمفاصل : بعيد عن الصواب .

موكنتم حديثا حطب قدر وأنتم الآن سحاب أقدر ومراجبل
 ليهنى" بنى عبد مناف عقوقنا وخذلانا وتركنا فى المعازل
 فإن نك قوما نتثر ما صنعتم وتحتابوها لقحة غير باهل (١)
 وسائط كانت فى لوى بن غالب نفاهم إلينا كل صقر محلاهل (٢)
 ورهط نفيل شر من وطى الحصى والأم حافر من معد وناعل
 فأبلغ قصيا أن سينشر أمرنا وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
 ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة إذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
 ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم لكننا أسي عند النساء المطاقل (٣)
 فكل صديق وابن أخت نعهده لعمرى وجدنا غـبه غير طائل
 سوى أن رهطا من كلاب بن مرة براء إلينا من معقة خاذل (٤)
 وهما لهم حتى تبدد جمعهم ويحسب عنا كل باغ وجاهل
 وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الكدى من غالب والكواهل (٥)
 شباب من المطييين وهاشم كبيض السيوف بين أيدي الصياقل

(١) نتثر : تأخذ بثأرنا والقحة : الناقة ذات اللبن والباهل الناقة المباحة للحلب .

(٢) الحلاهل : السيد الشجاع .

(٣) الأسي : جمع أسوة ، والمطاقل : ذوات الأطفال .

(٤) يقال قوم براء بالفتح : وبراء بالكسر ، فأما براء بالكسر فجمع برىء ، مثل كريم
 وكرام ، وأما براء فصدر ، مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ، ويقال : رجل
 براء ورجلان براء ، وإذا كسرتها أو ضممتها لم يجر إلا فى الجمع ، وأما براء بضم الباء : فالأصل
 فيه براء مثل كرماء فاستثاقوا اجتباع الهمزتين ، فحذفوا الأولى ، وكان وزنه فعلاء ، فلما حذفوا
 التى هم ، لام للفعل صار وزنه فعاء ، وانصرف لأنه أشبه فعلا ، والنسب إليه إذا سميت به ،
 براوى ، والنسب الى الآخرين برائى وبرائى ، وزعم بعضهم إلى أن براء بضم أوله من الجمع
 الذى جاء على فعال ، ومثل فرير وفرار وعرن وعران .

(٥) الكدى : جمع كدية ، وهى الصخرة العظيمة والكواهل جمع كاهل : وهو سند القوم .

لنا أدركوا كذحلا ولا سفكروا دما
بضرب ترى الفتیان فيه كآتهم
بنی أمة محبوبة هندكية
ولكننا نسل كرام لسادة
ونعم ابن أخت القوم غیر مكذب
أشم من الشُّم البهاليل يلتقى
لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد
فلا زال فى الدنيا نجالا لأهاها
فن مثله فى الناس أى مؤمل
حليم رشيد عادل غیر طائش
فوالله لولا أن أجيء بمسبة
لكننا اتبعناه على كل حالة
لقد علموا أن ابننا لا مكذب
فأصبح فينا أحمد فى أرومة
حديث بنفسى دونه وحيمته
فأيده رب العباد بنصره
رجال كرام غیر ميل نمام
فإن تك كعب من لوى صقعية
ولا حالفوا إلا شرار القبائل
ضواری أسود فوق لحم خردال^(١)
بنی جمع مُعید قيس بن عاقل^(٢)
بهم تُسمى الأقوام عند البواطل
زهير حساما مفرداً من حمائل
إلى حسب فى سحومة المجد فاضل
ولأخوته دأب الحب المواصل
وزينا لمن والاه ربُّ المشاكل
إذا قاسه الحكم عند التفاضل
يوالى إلهاً ليس عنه بغافل
تجر على أشياخنا فى المحافل
من الدهر جدا غير قول التهازل
لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل
تقصير عنه سورة المتناول^(٣)
ودافعت عنه بالذرا والسكلاكل^(٤)
وأظهر دينا حقه غير باطل
إلى الخير آباء كرام المحاصل^(٥)
فلا بد يوماً مرة من تزايل^(٦)

(١) الخردال : القطع العظيمة .

(٢) الهندكى : منسوب الى الهند .

(٣) السورة : الشدة والبطش (٤) حديث : عطفت . والذرا جمع ذبوة أعلى ظهر البعير ، والسكلاكل عظام الصدور

(٥) الميل : جمع أميل وهو الذى لا يحسن الركوب .

(٦) صقعية : قريية .

قال ابن هشام : هذا ما صح لي من هذه القصيدة ، وبعض أدل العلم بالشعر ينكر أكثرها .
الرسول عليه السلام يستقي لأهل المدينة وود لو أن أبا طالب حي يرى ذلك :
قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، قال : أقحط أهل المدينة ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشكروا ذلك إليه ، نصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستقى^(١) فالبث أن جاء من المطر ما أتاه أدل الضواحي^(٢) يشكون منه الغرق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم حوالينا ولا علينا^(٣) ، فأنجاب السحاب عن المدينة نصار حوالها كالإكيل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره ، فقال له بعض أصحابه : كأنك يا رسول الله أردت قوله :

وأبيض يستقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال : أجل .

قال ابن هشام : وقوله « وشبرقه » عن غير ابن إسحاق .

ذكر الأسماء التي وردت في قصيدة أبي طالب : قال ابن إسحاق : والغياطل : من بني سهم بن عمرو بن هصيص ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية . ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف . وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أمه عاتكة بنت عبد المطلب . قال ابن إسحاق : وأسيد ، وبكره : عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي . وعثمان بن عبيد الله ، أخو طلحة بن عبيد الله التيمي . وقنفذ بن معمر بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . وأبو الوليد عتبة بن ربيعة . وأبي الأخنس بن شريق الثقفي ، حليف بني زهرة بن كلاب .

(١) حديث الاستسقاء بالمدينة حديث مروي من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة .
(٢) الضواحي : جمع ضاحية ، وهي الأرض البراز التي ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول . وقيل : ضاحية كل بلد خارجه .

(٣) وقوله عليه السلام ، اللهم حوالينا ، ولا علينا ، كقوله في حديث آخر ، اللهم منابت الشجر وباطون الأودية ، وظهور الآكام ، فلم يقل ، اللهم ارفعه عنا - هو من حسن الأدب في الدعاء ، لأنها رحمة الله ، ونعمته المطلوبة منه ، فكيف يطلب منه رفع نعمته ، وكشف رحمته ، وإنما يسئل سبحانه كشف البلاء ، والمزيد من النعماء ، ففيه تعليم كيفية الاستسقاء .

قال ابن هشام : ولما سمي الاخنس . لانه خفس بالقوم يوم بدر ، ولما اسمه أبي ، وهو من بني علاج ، وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقبة . والاسود بن عبد يغوث بن وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب . وسيسع بن خالد ، أخو بلحارث بن فهر . ونوفل بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو ابن العدوية . وكان من شياطين قريش ، وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في جبل حين أسلما ، فبذلك كانا سميان القرينين ؛ قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر . وأبو عمرو قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف . « وقوم علينا أظننة » : بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، ف هؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب .

انتشار ذكر الرسول خارج مكة : فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب ، وبلغ البلدان ، ذكر بالمدينة ، ولم يكن حتى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر ، وقبل أن يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج ، وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود ، وكانوا لهم حلفاء ، ومعهم في بلادهم . فلما وقع ذكره بالمدينة ، وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف . قال أبو قيس بن الأسلت (١) . أخو بني واقف .

نسب ابن الأسلت : قال ابن هشام : نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا هاهنا إلى بني واقف ونسبه في حديث الفيل إلى سخطمة ، لأن العرب قد تنسب الرجل إلى أخى جده الذى هو أشهر منه .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نعلية أخى غفار . وهو غفار بن مليل ، ونعلية بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة ، وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى ، وهو من ولد مازن بن منصور وسليم بن منصور .

قال ابن هشام : فأبو قيس بن الأسلت : من بني وائل ؛ ووائل ، وواقف ، وخطمة لأخوة من الأوس .

شعر ابن الأسلت في الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : فقال أبو قيس بن الأسلت — وكان يحب قريشا ، وكان لهم صبرا ، كانت عنده أرنب بنت

(١) واسم الأسلت عامر ، والأسلت شديد فطس الأنف .

أسد بن عبد العزى بن قصى ، وكان يقيم عندهم السنين بأمراته — قصيدة يعظم فيها الحرمة ، وينهى قريشا فيها عن الحرب ، ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ، ويذكر فضلهم وأحلامهم ، ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويذكرهم بلاء الله عندهم ، ودنعه عنهم القيل وكيده عنهم ، فقال :

يا راكبا لما عرضت فبلغن ملغلة عني لوى بن غالب^(١)
رسول امرئ قد راعه ذات بينكم على التأى محزون بذلك ناصب^(٢)
وقد كان عندي للهيموم ومرس نلم أنض منها حاجتى وما ربي^(٣)
نبتيتكم شرجهين كل قبيلة لها أزمل من بين مئذك وحاطب^(٤)
أعيذك بالله من شر مضعكم وشر تباغيكم ودس العقارب
ولظهار أخلاق ونجوى سقيمة كوخز الأشافي وقعا حق صائب^(٥)
فذكرهم بالله أول وهلة وإحلال أحرام الظباء الشواذب^(٦)
وقل لهم والله يحكم حكمه ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب^(٧)
مق تبعثوها تبعثوها ذميمة هى الغول للأقسين أو للأقارب^(٨)
تقطع أرحاما وتهلك أمة وتبرى السديف من سنام وغارب^(٩)

(١) المغلة : الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها . يرادها الرسالة (٢) الناصب : المعيد
(٣) أصل المعرس : المكان الذى ينزل فيه المسافرين ليلا للاستراحة
(٤) شرجين : فريقين مختلفين والأزمل الصوت والمذكى موقد النار ، والحاطب الذى يحطب لها ، ضرب مثلا لنار الحرب كما قال الشاعر
أرى خال الرهاد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن النار بالعودين . وتذكى وإن الحرب أولها الكلام
(٥) الآشافي : الخارز (٦) أحرام الظباء : التى يحرم صيدها فى الحرام ، والشواذب ضامرة البطن .

(٧) المراحب : الأماكن المتسعة : (٨) الغول : الهلاك .
(٩) تبرى : تقطع . السديف . لحم السنام ، الغارب : أعلى الظهر .

وتستبدلوا بالاتحمية بعدها
وبالمسك والكافور مغبراً سرايغا
فإياكم والحرب لاتعلقنكم
تزين للأقوام ثم يرونها
تحرق لاتشوى ضعيفا وتلتحى
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس
وكم قد أصابت من شريف مسود
عظيم رمادى النازع يحمد أمره
وماء هريق فى الضلال كأنما
يخبركم عنها امرؤ حق عالم
فيعموا الحراب والمحارب واذكروا
ولى أمرى فاختار دينا فلا يكن
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
وأنتم، إذا ما حصل الناس، جوهر
تصونون أجساداً كراما حقيقة

شليلا وأصداء ثياب المحارب (١)
كان قتيورها عيون الجنادب (٢)
وحوضاً وخيم الماء مر المشارب
بعاقبة إذ بينت، أم صاحب (٣)
ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب (٤)
فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب
طويل العماد ضيفه غير خائب
وذى شيمة محض كريم المضارب (٥)
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
بأيامها والعلم علم التجارب
حسابكم والله خير محاسب
عليكم رقيباً غير رب الثواقب (٦)
لنا غاية قد يهتدى بالذوائب (٧)
تؤمنون، والأحلام غير عواذب (٨)
لكم سريرة البطحاء شم الأرانب (٩)
مهذبة الأنساب غير أشائب (١٠)

-
- (١) الاتحمية : ثياب فاخرة تصنع بالين . والشليل : الدرع التصيرة ، والأصداء : الحديد .
(٢) القتيير : حلق الدرع .
(٣) بينت : اتضحت . وأم صاحب : أى عجوزا كأم صاحب لك إذ لا يصحب الرجل دة إلا من كان فى سنه .
(٤) لاتشوى : لاتخطيء . وتلتحى : تقصد .
(٥) المضارب : يقصد مضارب سيوفه . (٦) الثواقب : النجوم .
(٧) الذوائب : الأعلى (٨) الأحلام : العقول ، والعواذب : البعيدة .
(٩) السرة : العلو ، والشم المرتفعة .
(١٠) الأشائب : المختلطة ، ويريد بغير الأشائب أن نسبهم خالص لا عيب فيه .

تري طالب الحاجات نحو بيوتكم عصاب هلكت تهتدى بعصاب
لقد علم الأقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباب^(١)
وأفضله رأيا وأعلاه سنة وأقوله للحق وسط المواكب
فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخاب^(٢)
فعندكم منه بلاء ومصديق غداة أبي يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسمل تسمى ورجله على القاذفات في رموس المناقب^(٣)
فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم جنود المليك بين ساف وحاصب^(٤)
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب إلى أهله مانح^(٥) عصاب
فإن تهلكوا نهلك وتهلك مواسم يعاش بها . قول امرئ غير كاذب
قال ابن هشام : أنشدني بيته ، « وماء هريق » ، وبيته : « فيبعوا الخراب » ، وقوله :
« ولي امرئ فاختار » ، وقوله :

على القاذفات في رموس المناقب

أبو زيد الأنصارى وغيره .

حرب داحس والغبراء : قال ابن هشام : وأما قوله :

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس

فحدثني أبو عبيدة النحوى : أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة
ابن ربيعة بن الحارث بن مازن بن قطيعة بن علب بن بغيض بن ريث بن غطفان ؛ أجراه
مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤبة بن لؤذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة
ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ، يقال لها : الغبراء . ففسد حذيفة قوما وأمرهم أن
بضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقا ، فجاء داحس سابقا فبضربوا وجهه ، وجاءت

(١) الجبابج : المنازل في منى . (٢) الأخاب : جبال مكة .

(٣) القاذفات : قمم الجبال والمناقب الطرق التي فيها

(٤) السافي من يثير الغبار ، والحاصب الذي يثير الحصباء .

الغبراء . فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام حمل بن بدر فلطم مالكا . ثم إن أبا الجندب العباسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ، ثم لقي رجلا من بني فزارة مالكا فقتله ، فقال حمل بن بدر أخو حذيفة بن بدر :

قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا فإن تطلبوا منا سرى الحق تندموا
وهذا البيت في أبيات له . وقال الربيع بن زياد العبسي :

أبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطمار
وهذا البيت في قصيدة له .

فوقعت الحرب بين عباس وفزارة ، فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر ، فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثي حذيفة ، وجزع عليه :

كم فارس يدعى وليس بفارس وعلى الهباء فارس ذو مصدق (١)
فابكوا حذيفة لن ترموا مثله حتى تبيد قبائل لم تطلق
وهذان البيتان في أبيات له . وقال قيس بن زهير :

على أن التقي حمل بن بدر بغى والظلم مرتعه وخيم
وهذا البيت في أبيات له . وقال الحارث بن زهير أخو قيس بن زهير :

تركت على الهباء غبر غفر حذيفة عنده قصد العوالي (٢)
وهذا البيت في أبيات له :

قال ابن هشام : ويقال : أرسل قيس داحسا والغبراء ، وأرسل حذيفة الخطار والخفاء ، والاول أصح الحديثين . وهو حديث طويل معنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حرب عاظم : قال ابن هشام : وأما قوله : « حرب عاظم » . فيعني حاطب بن الحارث بن قيس بن كهلانة بن الحارث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس ، كان قتل يهوديا جاراً للخزرج ، فخرج إليه يزيد بن الحارث ابن قيس بن مالك بن أحمز بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج -

(١) الهباء : مكان في بلاد غطفان (٢) التصد : التقطع المنكسرة والعوالي : الرماح .

وهو الذى يقال له : ابن نُسَحم ، وفسحَم أمه ، وهى امرأة من التَّيْن بن جسر — ليلا فى نفر من بنى الحارث بن الخزرج فقتلوه ، ف وقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكان الظفر للخزرج على الأوس ، وقتل يومئذ سريد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوْط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، قتله المجنذ بن زياد البلوى ، واسمه عبد الله ، حليف بنى عوف بن الخزرج . فلما كان يوم أحد خرج المجنذ بن زياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج معه الحارث بن سريد بن صامت ، فوجد الحارث ابن سويد غرة من المجنذ فقتله بأبيه . وسأذكر حديثه فى موضعه إن شاء الله تعالى . ثم كانت بينهم حروب منعى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حديث حرب داخس .

شعر حكيم بن أمية فى نهى قومه عن عداوة الرسول : قال ابن إسحاق : وقال حكيم ابن أمية بن حارثة بن الأوقص السَّيلَمي ، حليف بنى أمية وقد أسلم ، يورع (١) قومه عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فيهم شريفا مطاعا :

هل قاتل قولا من الحق قاعد عليه وهل غضبان للرشد سامع
وهل سيد ترجو العشيرة نفعه لأقصى الموالى والأقارب جامع
تبرأت إلا وجه من يملك الصَّبا وأهجركم ما دام المدلِّ ونازع (٢)
وأُسلم وجهى للإله ومنطقى ولو راعى من الصديق روائع

ذكر مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه

سُفهاء قريش يأذونه : قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى أصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم منهم ، فأغرموا برسول الله صلى الله عليه وسلم : سفهاءهم ، فكذبوه وأذوه ، ورموه بالشعر والسحر والسفاهة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفى به ، مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم ، واعتزال أوثانهم ، وفراقه إياهم على كفرهم .

(١) يورع : يصرف

(٢) المدل : المرسل للدلو فى البئر ، والنازع : الجاذب لها .

أشد ما أودى به الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : لحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهر من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع أشرفهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط ، سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا : فينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غزوه ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غزوه بمثلها ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما مر بهم الثالثة فغزوه بمثلها ، فوقف ثم قال : أسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذبح ^(١) . قال : فأخذت القوم كلمة حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفوه ^(٢) بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، فوالله ما كنت جهولاً . قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكركم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه . فبينما هم في ذلك طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به ، يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم : أنا الذي أقول ذلك . قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه . قال : فتام : أبو بكر رضي الله عنه دونه ، وهو يبكي ويقول : أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط .

قال ابن إسحاق ، وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر ، أنها قالت : رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه ، مما جبدوه بلحيته وكان رجلاً كثير الشعر .

(١) يعرض صلى الله عليه وسلم بهلاكهم . (٢) رفاه : هداه .

قال ابن هشام : حدثني بهمن أهل العلم : أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لآخر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : « يا أيها المدثر ، قم فأنذر » . (١)

إسلام حمزة رضي الله عنه

سبب إسلامه : قال ابن اسحاق : حدثني رجل من أسلم ، كان واعية : أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه ، والتضعيف لأمره ؛ فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاة لعبد الله بن جدعان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمد إلى ناد (٢) من قريش عند الكعبة ، فجلس معهم . فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحاً قوسه ، راجعاً من قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز فتى في قريش ، وأشد شكيمه . فلما مر بالمؤلاة ، وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، قالت له : يا أبا سفيان ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي الحكم بن هشام : وجدته هاهنا جالسا فأذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم .

فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد ، مُعدياً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ؛ فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضر به بها فشجه شجة منكرة ، ثم قال : أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول ؟ فرد ذلك على إن استطعت . فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا

(١) قال السهيلي في الروض : في تسميته إياه بالمدثر : في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها : كقوله عليه السلام لحذيفة : قم يا نرمان ، وقوله لعلي بن أبي طالب — وقد ترب جنبه : قم أبا تراب .
(٢) أي أهل ناد .

أباجمل ؛ فقال أبوجمل : دعوا أبا صمارة ، فإنني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا ، وتم حزة رضى الله عنه على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله . فلما أسلم حزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتتع ، وأن حزة سيدنمه ، فكفروا عن بعض ما كانوا ينالون منه .

عتبة بن ربيعة يفاوض الرسول

صلى الله عليه وسلم

قال ابن اسحاق : وحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : مُحدث أن عتبة بن ربيعة ، وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادى قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ، ألا أقوم الى محمد فأكله وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها نفعاً ليهيئها شاء ، وكيف عنا ؟ وذلك حين أسلم حزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ؛ فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه ؛ فقام إليه عتبة حتى جالس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بن أخى ، إنك منا حيث قد علمت من السطة^(١) في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد ، أسمع ، قال : يا بن أخى ، إن كنت لنا تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سوى ذلك علينا ، حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيساً^(٢) ، تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الباب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه ، قال : أقدرت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ؛ قال : فاسمع مني ؛ قال : أذعن ؛ فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كذات فصاحت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه » ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه . فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خاف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك .

(٢) الرئي : ما يظهر للناس من الجن .

(١) السطة : الشرف .

رأى عتبة : نقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نخاف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به . فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورأى أنى قات سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها نى ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فلكم ماosكم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ؛ قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأى فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

قريش تفانوا مع أسامة بن زيد : قال ابن اسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفتشو بهكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قد ت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم إن أشرف قريش من كل قبيلة ، كما حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير ، وعن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال :

زعماء قريش تفاوض الرسول (ص) اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشذبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، أخو بنى عبد الدار ، وأبو البختري بن هشام والأسود بن المطالب بن أسد ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية ، والعاص بن وائل ، ونسيه ونسيه ابنا الحجاج السهميان ، وأمية بن خلف ، أو من اجتمع منهم . قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فأتهم ؛ فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصا يجب رشدهم ، ويعز عليه عنهم ، حتى جلس إليهم ؛ فقالوا له : يا محمد ، إنما قد بعثنا إليك لتكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جثته فيما بيننا وبينك — أو كما قالوا له — فإن كنت إنما جثت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به ملكا ملئناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثيا تراه قد غلب عليك — وكانوا يسمون التابع من الجن رثيا — فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى تبرئك منه ، أو نهـذر فيك ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بى ما تقولون ، ما جثت بما جثتكم به أطلب

أموالكم ، ولا الثمر فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتابا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن قبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم . قالوا : يا محمد ، فإن كنت غير قابل ، فما شئنا بما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلدآ ، ولا أقل ماء ، ولا أشد حيشا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليسط لنا بلادنا ، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضي من آباءنا ، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ، فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقتك ، وعرفنا به منزلتك من الله ، وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما بهذا بعث إليكم من الله ، إنما جئتكم من الله بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله تعالى ، حتى يحكم الله بيني وبينكم ؛ قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا ، نخذ لنفسك ، سل ربك بأن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما تراك تبغى ، فإنك تقوم بالأسواق كما تقوم ، وتلتمس المعاش كما تلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم ؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا ، وما بعث إليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا — أو كما قال — فإن قبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا : فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ، فإذا لا تؤمن لك إلا أن تفعل ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله ، إن شاء أن يفعله بكم فعل ؛ قالوا : يا محمد ، أفأعلم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ، ونطالب منك ما نطالب ، فيتقدم فيعطينك ما نتراجعنا به ، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا ، إذ لم تقبل منك ما جئتنا به إلا أنه قد بلغنا أنك إنما يعطيك هذا رجل بالهامة يقال له : الرحمن ، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرتنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك ، أو تهلكنا . وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة ، وهي بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قام عنهم ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية

ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن غزوم — وهو ابن عمته ، فهو لعائتك بنت عبد المطلب — فقال له : يا محمد . عرض عليك قومك ماعرضوا ولم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ، ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرضون به فضلك عليهم ، ومنزلتك من الله ، فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما يخوفهم به من العذاب ، فلم تفعل — أو كما قال له — نواله لا أو من بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ، ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله ، لو فعلت ذلك ما ظنيت أني أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا آسفا لما فاتته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم إياه .

أبو جهل يتوعد الرسول (ص) فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إن محمداً قد أتى إلا ما ترون من عيب ديننا ، وشم آباءنا ، وتسفيه أعلامنا ، وشم آلهتنا ، وإني أعاهد الله لأجعلن له ذئبا يحجر ما أطيق حمله — أو كما قال — فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه ، فأسلوني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً ، فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل ، أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وشذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام ، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وقد غدت قريش لجلسوا في أندية يتنظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ، ثم أقبل نحوه ، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقما لونه مرعوبا قد يابست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه ليل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته ، ولا مثل قصرته (١) ولا أنياه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني .

قال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لأخذه .

النضر بن الحارث ينصح قريشا : فلما قال لهم ذلك أبو جهل ، قام النضر بن الحارث ابن كلفة بن عاتمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي .

قال هشام : ويقال النضر بن الحارث بن عاتمة بن كلفة بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : فقال : يا معشر قريش ، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد ، قد كان محمد فيكم ذلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدثيه الشيب ، وجاءكم بما جاءكم به ، قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم ، وقلتم كاذن ، لا والله ما هو بكاذن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا بجمعهم ، وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر ، وسمعنا أصنائه كلها : مزجه ورجزه ، وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون ذا هو بختقه ، ولا وسوسته ، ولا تخليطه ، يا معشر قريش ، ناظروا في شأنكم ، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم .

أذى النضر الرسول (ص) وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش ، ومن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسفنديار ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله ، وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم قال : أنا والله يا معشر قريش ، أحسن حديثا منه ، فلم إلى ، فأنا أحسنكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار ، ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا مني ؟ .

قال ابن هشام : وهو الذي قال فيما بلغني : سأنزل مثل ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ، فيما بلغني : نزل فيه ثمان آيات من القرآن : قول الله عز وجل : « إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين » . وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن .

قريش أسأل أخبار اليهود في شأنه عليه الصلاة والسلام : فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة ، وقالوا لهما : سلامهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله ، فإنهم أدل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس

عندنا من علم الأنبياء، فخرجنا حتى قدما المدينة، فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالوا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؛ فقالت لهما أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فَرَوَا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؛ فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي حتى قدما مكة على قريش، فقالوا: يا معشر قريش، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم.

قريش تسأل والرسول يجيب: فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ قال: فقال لهم رسول الله صلى الله وسلم: أخبركم بما سألتهم عنه ذنبا، ولم يستثن، فأنصرفوا عنه. فكث رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما يذكر — خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبريل، حتى أوجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد ذنبا، واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا نخبرنا شيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحى عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة: ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته لإياه على حزنه عليهم، وخبر ما سأله عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف والروح.

الرد على قريش فيما سألوهم: قال ابن إسحاق: فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عنى يا جبريل حتى 'سؤت' ظنا؛ فقال له جبريل: «وما تنزل إلا بأمر ربك، له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك، وما كان ربك نسيا». فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله، لما أنكروه عليه من ذلك، فقال: «الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب، يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم، لأنك رسول منى: أى تحقيق لما سأله عنه من نبؤك». ولم يجعل له حوجا قويا: أى معتدلا، لا اختلاف

فيه . « لينذر بأساً شديداً من لدنه » : أى عاجل عقوبته في الدنيا . وعذاباً أليماً في الآخرة : أى من عند ربك الذى بعث رسولا . « ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ما كثر فيه أبداً » أى دار الخلد . لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم : وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال . « وتذذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً » يعنى قريشاً في قولهم : « لانا نعبد الملائكة » وهى بنات الله . « ما لهم به من علم ولا آياتهم » الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم . « كبرت كلمة تخرج من أفواههم » : أى لقولهم : « إن الملائكة بنات الله » إن يقولون إلا كذباً . فلعلك باخع نفسك « يا محمد » على آثامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » : أى لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم ، أى لا تفعل .

قال ابن هشام : باخع نفسك : أى هلك نفسك : فيما حدثنى أبو عبيدة . قال ذو الرمة :
ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحتته عن يديه المقادر
وجعه : باخعون وبخعة . وهذا البيت في قصيدة له . وتقول العرب : قد بخعت له نصحى ونفسى : أى جهدت له . « لانا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً » .

قال ابن إسحاق : أى أيهم أتبع لأمرى ، وأعمل بطاعتي . و « لانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا » : أى الأرض ، وإن ما عليها لفان وزائر ، وإن المرجع لى ، فأجزى كلامه ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها .

قال ابن هشام : الصعيد : الأرض ، وجعه : صعد . قال ذو الرمة يصف ظيب صغيراً :

كأنه بالصنمى . ترمى الصعيد به دبابة فى عظام الرأس خرطوم (١)

وهذا البيت في قصيدة له . والصعيد : الطارق . وقد جاء في الحديث : إياكم والقعود على الصعدات ، يريد الطارق . والجرز : الأرض التى لا تنبت شيئاً ، وجعها : أجزا . ويقال : سنة جرز ، وسنون أجزا ، وهى التى لا يكون فيها مطر ، وتكون فيها جدوبة وليس وشدة . قال ذو الرمة يصف لبلاً :

طوى النحر والأجزاء ما فى بطونها فما بقيت إلا الضلوع الجراشع (٢)

(٢) الجراشع المتفتحة .

(١) الدبابة والخرطوم : الحمار .

وهذا البيت في قصيدة له .

أهل الكهف : قال ابن إسحاق : ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية ، فقال : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، : أى قد كان من آياتنا فيما وضعت على العباد من رحججى ما هو أعجب من ذلك .

قال ابن هشام : والرقيم : الكتاب الذى رقم فيه بخبرهم ، وجمعه : رُقم . قال العجاج :

ومستقر المصحف المرقم

وهذا البيت في أرجوزة له :

قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا . فضررنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا . » ثم قال تعالى : « نحن نقص عليك نبأهم بالحق ، : أى اصدق الخبر عنهم » منهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم ددى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها ، لقد قلنا إذا شططا ، : أى لم يشركوا بى كما أشركتم بى ما ليس لكم به علم .

قال ابن هشام : والشعط : الغلو ومجاوزة الحق . قال أعرشى بن قيس بن معلقة :

لا يمتنون ولا ينهى ذوى شطط كالطعن ينهب فيه الزيت والنفل

وهذا البيت في قصيدة له .

« هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، .

قال ابن إسحاق : أى بحجة بالغة .

« فن أظلم من افترى على الله كذبا . وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينذر لكم ربكم من رحمته ، ويهيئ لكم من أمركم مرفقا . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم فى فجوة منه ، .

قال ابن هشام : تزاور : تميل ، وهو من الزور . وقال امرؤ القيس بن حجر :

ولاني زعيم إن رجعت مملكا بسئير ترى منه الفراق أزورا

وهذا البيت في قصيدة له . وقال أبو الزحف الكلبي يصف بلداً :

جأب المندي عن هوانا أزور ينضى المطايا خمسة العَشَنَزُر^(١)

وهذان البيتان (٢) في أرجوزة له . وقد تقرضهم ذات الشمال : تجاوزهم وتركهم عن شمالها . قال ذو الرمة :

إلى مظن يقرض أقواز مُشرف ، شمالاً وعن أيمان الفوارس^(٣)

وهذا البيت في قصيدة له والفجوة : السعة ، وجمعها : الفيحاء . قال الشاعر :

ألبيت قومك مخزاة ومنقصة حتى أيجوا وخلوا لجوة الدار

« ذلك من آيات الله » أى في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب من أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم : « من يهد الله فهو المهتد ، ومن مضل فلن تجد له وليا مرشداً . وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، وتملهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد » .

قال ابن هشام : الوصيد . الباب : قال العباسي ، واسمه عبيد بن وهب :

بأرض فلاة لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر

وهذا البيت في أبيات له . والوصيد (أيضاً) الفناء ، وجمعه : وصائد ، ووُصِد ، ووَصَدان وأَصْد ، وأَصْدان .

(١) الجأب الغليظ ، وينضى يهزل ، والعشَنَزُر المتين الخلق .

(٢) اعتبر الشطوتين بيتين من مشطور الرجز .

(٣) الأقواز ما استدار من الرمل .

« لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، ولملت منهم رعباً . » إلى قوله : « قال الذين غلبوا على أمرهم ، أهل السلطان والملك منهم : « لتتخذن عليهم مسجداً ، سيقولون ، يعنى أحبار يهود الذين أمرهم بالمسألة عنهم : « ثلاثة رابعهم كلهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلهم ، رجماً بالغيب » : أى لا علم لهم . « ويقولون سبعة وثامنهم كلهم ، قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً » : أى لا تكابرهم . « ولا تستفت فيهم منهم أحداً » ، فإنهم لا علم لهم بهم . « ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً » : أى ولا تقولن لشيء سألوكم عنه كما قلت في هذا : إني مخبركم غداً . واستثن مشيئة الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتوني عنه رشداً فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك . « وليشوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا » : أى سيقولون ذلك . « قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ، ولا يشرك في حكمه أحداً » ، أى لم يخف عليه شيء مما سألوكم عنه .

ذو القرنين : وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف : « ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سبباً ، حتى انتهى إلى آخر قصة خبره .

وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى مالم يؤت أحد غيره ، فحدث له الأسباب حتى انتهى من البلاد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، لا يطاء أرضاً إلا سُلط على أهلها ، حتى انتهى من المشرق والمغرب إلى ما ليس وراءه شىء من الخلق .

قال ابن إسحاق : لحدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علمه : أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر . اسمه مرزبان بن مرثبة اليرباني ، من ولد يونان بن يافث ابن نوح .

قال ابن هشام : واسمه الإسكندر ، وهو الذى بنى الإسكندرية فنسبت إليه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى ، وكان رجلاً قد أدرك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال : ملك مسح الأرض بن تحتها بالأسباب .

وقال خالد : سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يقول : يا ذا القرنين ، فقال عمر :
٣٠ غفراً ، وأما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتهم بالملائكة .

قال ابن إسحاق : الله أعلم أى ذلك كان ، أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم
لا ؟ فإن كان قاله ، فالحق ما قال .

أمر الروح : وقال تعالى فيما سأله عنه من الروح : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح
من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً : قال ابن إسحاق : وحدثت عن ابن عباس ، أنه قال : لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، قالت أحبار يهود : يا محمد ، أرأيت قولك : « وما
أوتيتم من العلم إلا قليلاً ، إيانا تريد ، أم قومك ؟ قال . كلاً ؛ قالوا : فإنك تلو فيها جاءك :
أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنها فى علم الله
قليل ، وعندكم فى ذلك ما يكفيكم لو أقتموه . قال : فأُنزل الله تعالى عليه فيما سأله عنه من ذلك
« ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، ما نفدت كلمات الله
إن الله عزيز حكيم » : أى أن التوراة فى هذا من علم الله قليل .

تسيير الجبال وبعث الموتى : قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير
الجبال ، وفتح طبع الأرض ، وبعث من مضى من آباؤهم من الموتى : « ولو أن قرآنًا سُيرت به
الجبال ، أو قُطِعت به الأرض ، أو كُلِّمَ به الموتى ، بل الله الأمر جميعاً » : أى لا أصنع من ذلك
إلا ما شئت .

خول أنفسهم : وأنزل عليه فى قرطهم : خذ لنفسك ، ما سأله أن يأخذ لنفسه ، أن يجعل له
جناناً وقصوراً وكنوزاً ، ويبعث معه ملكاً يصدق به ما يقول ، ويرد عنه : « وقالوا مال هذا
الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيسكون معه فذيراً ، أو يلقى
إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً . انظر
كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سديلاً ، تبارك الذى إن شاء جعل لك خيراً من
ذلك » : أى من أن تمشى فى الأسواق وتلتبس المعاش « جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل
لك قصوراً » .

وأنزل عليه فى ذلك من قولهم « وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون
الطعام ، ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضهم لبعض فتنة ، أتصبرون وكان ربك بصيراً ،
أى جعلت بعضهم لبعض بلائاً لتصبروا ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لنعمات

القرآن يرد على ابن أبي أمية : وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية : د وقالوا
لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الأنهار خلالها تفجيراً . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً .
أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ،
قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً .

قال ابن هشام : ينبوع : ما ينبع من الماء من الأرض وغيرها ، وجمعه ينابيع . قال ابن
هرمة ، واسمه إبراهيم بن علي الفهري :

ولذا هرقت بكل دار محبرة تُزف الشئون ودمعك ينبوع^(١)

وهذا البيت في قصيدة له . والكسف : القطع من العذاب ، وواحدته : كسفة ، مثل سدره
وسدر . وهي أيضاً : واحدة الكسف . والقبيل : يكون مقابلة ومعاينة ، وهو كقوله تعالى :
« أو يأتيهم العذاب قبلاً » : أي عياناً . وأنشدني أبو عبيدة لأعشى بن قيس بن ثعلبة :

أصالحكم حتى تبرءوا بمثلها كصرخة مجلى يسررتها قبلاً

يعنى القابلة ، لأنها تقابلها وتقبل ولدها . وهذا البيت في قصيدة له . ويقال : القبيل جمعه
قبيل ، وهي الجماعات ، وفي كتاب الله تعالى : « وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً » فتبيل : جمع قبيل
مثل سبل : جمع سبيل ، وسرر : جمع سرير ، وقص : جمع قبص . والقبيل أيضاً : في مثل من
الأمثال ، وهو قولهم : ما يعرف قبلاً من دبير : أي لا يعرف ما أقبل بما أدبر ، قال الكمي
ابن زيد .

تفرقت الأمور بوجهتهم فاعرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : لما أريد بهذا القبيل : القتل ، فافعل إلى الذراع فهو
القبيل ، وما قتل إلى أطراف الأصابع فهو الدبير ، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت .
ويقال : قتل المغزل . فإذا قتل المغزل إلى الركبة فهو القبيل ، وإذا قتل إلى الورك فهو

(١) الشئون : مجارى الدمع .

الدبير . والتقبيل أيضاً : قروم الرجل . والزخرف : الذهب . والمزخرف : المزين بالذهب .
قال المعجاج .

من طلل أمسى تحفال المسحفا رسومه والمذهب المزخرفا
وهذان الببتان في أرجوزة له ، ويقال أيضاً لكل مزين : مزخرف .

قضى القرآن أن رجلاً من اليمامة يعلمه : قال ابن إسحاق : وأنزل عليه في قولهم : إنا
قد بلغنا أنك إنما يعلمك رجل باليمامة ، يقال له الرحمن ، وإن تؤمن به أبداً : كذلك أرسلناك
في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن ، قل هو ربى
لا إله إلا هو عليه توكلت ، وإليه متاب .

ما نزل في أبي جهل : وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام ، وما هم به وأرايت الذى
ينهى عبداً إذا صلى ، أرايت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ، أرايت إن كذب وتولى ،
ألم يعلم بأن الله يرى ، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ،
سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب .

قال ابن هشام : لنسفعا : لنجذبنا ولناخذن . قال الشاعر :

قوم إذا سمعوا الصراخ رأيتهم من بين ملجم مره أو سافع
والنادى : المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم ، وفي كتاب الله تعالى :
« وتأتون في ناديكم المنكر » وهو الندى . قال عبيد بن الأبرص :

اذهب إليك فإني من بنى أسد أهل الندى وأهل الجود والنادى
وفي كتاب الله تعالى : « وأحسن ندياً » وجمعه : أندية . فليدع أهل نأديه . كما قال تعالى :
« واسئل القرية » يريد أهل القرية . قال سلامة بن جندل ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم :

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب^(١)

(١) التأويب : السير كل النهار .

وهذا البيت في قصيدة له . وقال الكميت بن زيد :

لا مهادير في الندى مكاثية ر ولا مصمتين بالإخام

وهذا البيت في قصيدة له . ويقال النادى : المجلساء . والزبانية : الغلاظ الشداد ، وهم في هذا الموضع خزنة النار . والزبانية أيضاً في الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد : زبينة . قال ابن الزبعرى في ذلك :

مطاعم في المقرى مطاعين في الوغى زبانية مُغلب عظام حلومها

يقول : شداد . وهذا البيت في أبيات له . وقال صخر بن عبد الله الهذلي ، وهو صخر الغي :

ومن كبير نفره زبانية

وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا عليه من أموالهم : « قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شيء شهيد » .

استبصار قریش عن الايمان بالرسول (ص) ثلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرفوا صدقه فيما حدث ، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوهم عما سألوهم عنه ، حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه : فعتوا على الله وتركوا أمره عياناً ، ولجوا فيما هم عليه من الكفر ، فقال قائلهم « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أى أجعلوه لغوا وباطلاً ، واتخذوه هزوا لعلكم تغلبونه بذلك . فإنكم إن ناظرتموه أو خاصتموه يوماً غلبكم » .

فقال أبو جبريل يوماً يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق : يا معشر قریش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأتم أكثر الناس عدداً ، وكثرة ، أفيعجز كل منة رجل منكم عن رجل منهم ؟ أنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، إلى آخر القصة ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض ، جعلوا إذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالقرآن وهو يصلى ، يتفرون عنه ، ويأبون أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذ أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلى ، استرق السمع دونهم فرقا منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية آذاهم فلم يستمع ، وإن خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذى يستمع أنهم لا يستمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه .

قال ابن إسحاق : حدثنى داود بن الحصين ، مولى عمر بن عثمان ، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حدثهم : إنما أنزلت هذه الآية : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً » من أجل أولئك النفر يقول : لا تجهر بصلاتك فيتفروا عنك ، ولا تخافت بها فلا يسمعون من يجب أن يسمعون من يسترق ذلك دونهم لعله يرعى إلى بعض ما يسمع فيتفجع به .

اول من جهر بالقرآن

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فنرجل يسمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه : قال دعونى فإن الله سيمعنى . قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أنديةها ، حتى قايم عند المقام ثم قرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، رافعاً بها صوته « الرحمن علم القرآن » قال : ثم استقبلها يقرأها . قال : فتأملوه ، فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال : ثم قالوا : إنه لينلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثأروا فى وجهه ، فقالوا له : هذا الذى خشينا عليك : فقال : ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمنلأ ، قالوا لا ، حسبك ، قد أسمعتم ما يكرهون .

قصة استماع قريش إلى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث : أن أبا سفيان

ابن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، حليف بني زُهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا لجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلورأكم بعض سفهاكم لأوقعتم في أنفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، لجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، لجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى تعاهد ألا نعود على ذلك ثم تفرقوا .

الأخنس يستغفرونهم عما صنعهم : فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها ؛ قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا حملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ؛ فتي ندرك مثل هذه ، والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال : فقام عنه الأخنس وتركه .

تعنت قريش عند سماعهم القرآن وما نزل فيهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله : قالوا يهزمون به : « قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ، لا نفقه ما تقول » وفي آذاننا وقر ، لا نسمع ما تقول « ومن بيننا وبينك حجاب » قد حال بيننا وبينك « فاعمل ، بما أنت عليه » « لنا عاملون ، بما نحن عليه ، إنا لا نفقه عنك شيئا ، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا . . . إلى قوله » « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » : أي كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جمعت على قلوبهم أكنة ، وفي

آذانهم وقرأ ، وبينك وبينهم حجابا برعهم ؛ أى لاقى لم أفعل ذلك . « نحن أعلم بما يستمعون إليك ، ولإذ هم نجوى ، إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلّا رجلا مسحورا » : أى ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثك به إليهم . « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا » : أى أخطئوا المثل الذى ضربوا لك ، فلا يصيبون به هدى ، ولا يعدل لهم فيه قول « وقالوا إإذا كنا عظاما ورناتنا أتتنا المبعوثون خلقا جديدا » : أى قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إإذا كنا عظاما ورناتنا ، وذلك ما لا يكون . « قل كونوا حجارة أو حديدا ، أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا ، قل الذى نظركم أول مرة » : أى الذى خلقكم كما تعرفون ، فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : سأله عن قول الله تعالى : « أو خلقا مما يكبر فى صدوركم » ما الذى أراد به الله ؟ فقال : الموت .

ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن إسحاق : ثم لأنهم عدوا على من أسلم ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش ، وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذى يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ، ويعصمه الله منهم .

ماتت به بلال وتخايص أبى بكر له : وكان بلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، لبعض بنى جمح ، مولدا من مولديهم ، وهو بلال بن رباح ، وكان اسم أمه حمامة ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن وهب بن حذافة بن جمح يخرج به إذا حمت الظهيرة ، فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت ، أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ؛ فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، قال : كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك ، وهو يقول : أحد أحد ؛ فيقول : أحد أحد والله يا بلال ، ثم يقبل على أمية ابن خلف ، ومن يصنع ذلك به من بنى جمح ، فيقول أحلف بالله لئن قتلتهم على هذا

لأخذه حنانا (١) ، حتى مر به أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة رضى الله عنه يوما ، وهم يصنعون ذلك به ، وكانت دار أبي بكر في بني جمح ، فقال لامية بن خلف : ألا تتق الله في هذا المسكين ؟ حتى متى ؟ قال : أنت الذى أفسدته فأنتقه بما ترى ؛ فقال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى ، على دينك ، أعطيك به ؛ قال : قد قبلت فقال : هولاك . فأعطاه أبو بكر الصديق رضى الله عنه غلامه ذلك ، وأخذه فأعتقه .

من أعتقهم أبو بكر : ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب ، بلال سابعهم . عامر بن فهيرة ، شهد بدرأ وأحدا ، وقتل يوم بدر معروثة شهيداً ؛ وأم عبيس وز نيرة ، وأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ؛ فقالت : كذبوا وبیت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان ، فرد الله بصرها .

واعتق النهدية وبنتها ، وكانت لامرأة من بنى عبد الدار ، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها ، وهى تقول : والله لا أعتقهما أبداً ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : حل (٢) يا أم فلان ؛ فقالت : حل ، أنت أفسدتهم فأعتقتهما ؛ قال : فيكم هما ؟ قالت بكذا وكذا ؛ قال : قد أخذتهما وهما حرتان ، أرجعا إليهما طحينهما ، قالتا : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليهما ؟ قال : وذلك إن شئتما .

ومر بجارية بنى مؤهل ، حى من بنى كعب ، وكانت مسلمة ، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام ، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها ، حتى إذا مل قال : لانى أعتذر إليك ، لانى لم أتركك إلا ملالة ؛ فتقول : كذلك فعل الله بك . فأبتاعها أبو بكر ، فأعتقها .

أبو قحافة يلووم أبا بكر : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض أهله ، قال :

قال أبو قحافة لأبى بكر : يا بنى ، لانى أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذا ما فعلت أعتقت رجلاً مجلداً ينعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت ، لانى

(١) حنانا : أى إذا مات أجعل قبره متبركاً به .

(٢) أى تحلى من يمينك .

لأنما أريد ما أريد الله عز وجل . قال : فيحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه ، وفيما قال له أبوه : « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » . . . إلى قوله تعالى : « وما لاحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى » .

تعذيب آل ياسر : قال ابن إسحاق : وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، ولأبيه وأمه ، وكانوا أهل بيت لإسلام ، إذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء ^(١) مكة ، فيدبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ، فيما بلغنى صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة . فأما أمه فقتلوا ، وهى تأبى إلا الإسلام .

وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش ، إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة ، أنه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفن حملك ، ولنصفين ^(٢) لك رأيتك ، ولنضعن شرفك ؛ وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به .

ذمة المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذبون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويبيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوى جالساً من شدة الضر الذى نزل به ، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : ألات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، حتى إن جعل لير بهم ، فيقولون له : أهذا جعل إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، افتداه منهم بما يبلغون من جهده .

هشام يرفض تسليم الوليد إلى قريش : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزبير بن عكاشة ابن أبى أحمد أنه يحدث أن رجلاً من بنى مخزوم مشوا إلى هشام بن الوليد ، حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد ، وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا ، منهم : سلمة ابن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة . قال : فقالوا له وخشوا شرمهم : إنا قد أردنا أن نعائب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذى أحدثوا ، فإننا نأمن بذلك فى غيرهم . قال : هذا ، فعليكم به ، فعاتبوه ولأياكم ونفسه ، وأنشأ يقول :

ألا لا يقتان أخى حيش فيبقى بيتنا أبداً تلاحى

(٢) لنفيلان : لنقبجن .

(١) الرمضاء : الرمال شديدة الحرارة .

احذروا على نفسه ، فأقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أثرنكم رجلا . قال : فقالوا : اللهم العنه ، من يغرر بهذا الحديث ، فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أثرننا رجلا . قال ، فتركوه ونزعوا عنه . قال : وكان ذلك مما دفع الله به عنهم .

ذكر الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة

قال ابن إسحاق : فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم ؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام .

أوائل المهاجرين إلى الحبشة : وكان أول من خرج من المسلمين من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر : عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، معه امرأته : سهلة بنت سهيل بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤي ، ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة . ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد . ومن بنى عبد الدار ابن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . ومن بنى زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . ومن بنى مخزوم ابن يقظة ابن مرة : أبو سلة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، معه امرأته أم سلة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . ومن بنى جمح بن عمرو بن هيصم ابن كعب : عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . ومن بنى عدي بن كعب : عامر بن ربيعة ، خليف آل الخطاب ، من عنز بن وائل — معه امرأته ليلى بنت أبي حشمة ابن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب . ومن بنى

عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك
ابن حنبل بن عامر ، ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك
ابن حنبل بن عامر ، ويقال : هو أول من قدمها . ومن بنى الحارث بن فهر : سبيل بن بيضاء ،
وهو سبيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، فكان هؤلاء العشرة
أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة ، فيما بلغنى .

قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا
بأرض الحبشة ، فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه .

المهاجرون من بنى هاشم : ومن بنى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤى بن غالب بن فهر : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، معه امرأته
أسماء بنت عيسى بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ، ولدت له بأرض الحبشة
عبد الله بن جعفر ، رجل .

المهاجرون من بنى أمية : ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان
ابن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرز
ابن شق بن ربيعة بن عذج الكنانى ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، معه امرأته أمينة
بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سليع بن جعشم بن سعد بن مليح بن عمرو ، من
خزاعة .

قال ابن هشام : ويقال همينة بنت خلف .

قال ابن إسحاق : ولدت له بأرض الحبشة سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، فتزوج أمة
بعد ذلك الزبير بن العوام ، فولدت له عمرو بن الزبير ، وخالد بن الزبير .

المهاجرون من بنى أسد : ومن حلفائهم ، من بنى أسد بن خزيمه : عبد الله بن جحش
ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد ؛ وأخوه عبيد الله
ابن جحش ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية ؛ وقيس بن عبد الله ،
رجل من بنى أسد بن خزيمه ، معه امرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان بن حرب بن

أمية ؛ ومعقيب بن أبي فاطمة . وهؤلاء آل سعيد بن العاص ، سبعة نفر . قال ابن هشام :
معقيب من دوس .

المهاجرون من بني عبد شمس : قال ابن إسحاق : ومن بني عبد شمس بن عبد مناف ، أبو حذيفة
ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ وأبو موسى الأشعري ، واسمه عبد الله بن قيس ، حليف
آل عتبة بن ربيعة ، رجлан .

المهاجرون من بني نوفل : ومن بني نوفل بن عبد مناف : عتبة بن غزوان بن جابر بن
وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، بن قيس بن عيلان ،
حليف لهم ، رجل .

المهاجرون من بني أسد : ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام بن خويلد
ابن أسد ، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد ، وي زيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن
أسد . وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، أربعة نفر .

المهاجرون من بني عبد بن قصي : ومن بني عبد بن قصي : طليب بن عمير بن وهب بن
أبي كبير بن عبد بن قصي ، رجل .

المهاجرون من بني عبد الدار بن قصي : ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير بن
هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وسويبط بن حرمة بن مالك بن عيلة بن السباق بن عبد الدار ،
وجهم بن قيس بن عبد شرجيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، معه امرأته أم حرمة
بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سليح بن جعثمة بن سعد بن
مليح بن عمرو ، من خزاعة ؛ وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم . وأبو الروم بن عمير بن
هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن
عبد مناف بن عبد الدار ، خمسة نفر .

المهاجرون من بني زهرة : ومن بني زهرة بن كلاب : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف
ابن عبد بن الحارث بن زهرة ؛ وعامر بن أبي وقاص وأبو وقاص ، مالك بن أهيب بن
عبد مناف بن زهرة ؛ والمطلب بن أضر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه
امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، ولدت له بأرض الحبشة
عبد الله بن المطلب .

المهاجرون من بني هذيل : ومن حلفائهم من هذيل : عبد الله بن مسعود بن الحارث بن شميخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل . وأخوه : عتبة ابن مسعود .

المهاجرون من بهراء : ومن بهراء : المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن لؤى بن ثعلبة بن مالك بن الأثرين بن أبي أهوز بن أبي فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .

قال ابن هشام : ويقال هزل بن فاس بن ذر ، ودهير بن ثور .

قال ابن إسحاق : وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وذلك أنه تنبأ في الجاهلية وحالفه ، ستة نفر .

المهاجرون من بني تميم : ومن بني تميم بن مرة : الحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، معه امرأته ربيعة بنت الحارث بن جبلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم ، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث وعائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث وفاطمة بنت الحارث ، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، رجلاً .

المهاجرون من بني مخزوم : ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة : أبو سلبة بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ومعه امرأته أم سلبة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلبة ، واسم أبي سلبة عبد الله ، واسم أم سلبة هند : وشماس بن عثمان بن الأثرين بن سويد بن هرم بن مخزوم .

خبر الشماس : قال ابن هشام : واسم شماس : عثمان ، وإنما سمي شماساً ، لأن شماساً من الشامسة ، قدم مكة في الجاهلية ، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله ، فقال عتبة بن ربيعة ، وكان خال شماس : أنا آتيكم بشماس أحسن منه ، فجاء بأبن أخته عثمان بن عثمان ، فسمى شماساً فيما ذكر ابن شهاب وغيره .

قال ابن إسحاق : وهبار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأخوه عبد الله بن سفيان ؛ وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ؛ وسلبة بن

هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

المهاجرون من حلفاء بني مخزوم ؛ ومن حلفائهم ، معتب بن عوف بن عامر بن الفضل ابن عفيف بن كليب بن حاشية بن سلول بن كعب بن عمرو ، من خزاعة ، وهو الذي يقال له : عيشامة ، ثمانية نفر .

قال ابن هشام : ويقال لحاشية بن سلول ، وهو الذي يقال له معتب بن حمراء .

المهاجرون من بني جمح : ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب ، عثمان بن مظعون ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ؛ وابنه السائب بن عثمان ؛ وأخواه قدامة بن مظعون ، وعبد الله بن مظعون ؛ وحاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وابناه : محمد بن حاطب ، والحارث بن حاطب ، وهما لبنت المجلل ؛ وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فـكـكية بنت يسار ؛ وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، معه ابنه جابر بن سفيان ، وجنادة بن سفيان ، ومعه امرأته حسنة ، وهى أمهما ، وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة ، أحد الغوث .

قال ابن هشام : شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر ، أخى تميم بن مر .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح ، أحد عشر رجلا .

المهاجرون من بني سهم ؛ ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وهشام بن العاص بن وائل بن سعد بن سهم .

قال ابن هشام : العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم .

قال ابن إسحاق : وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ والحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى

ابن سعد بن سهم ؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له : سعيد بن عمرو ؛ وسعيد بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ والسائب بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وعمير بن رثاب بن حذيفة بن مسم بن سعد بن سهم . ونحشمية بن الجزاء ، حليف لهم ، من بني زيد ، أربعة عشر رجلا .

المهاجرون من بني عدى : ومن بني عدى بن كعب : معمر بن عبد الله بن فضالة بن عبد العزى بن حرثان بن عرف بن عبيد بن عويج بن عدى ؛ وعروة بن عبد العزى بن حرثان بن عرف بن عبيد بن عويج بن عدى ؛ وابنه النعمان بن عدى ؛ وعامر بن ربيعة ، حليف لآل الخطاب ، من عنز بن وائل ، معه امرأته ليل بنت أبي حثمة بن غانم . خمسة نفر .

المهاجرون من بني عامر : ومن بني عامر بن لؤى : أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته أم كلثوم بنت سبيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وعبد الله بن مخزومة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وعبد الله بن سبيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وأخوه السكران بن عمرو ، معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ ومالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، معه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ؛ وسعد بن خولة ، حليف لهم . ثمانية نفر .

قال ابن هشام . سعد بن خولة من الين .

المهاجرون من بني الحارث : قال ابن اسحاق : ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة ابن الجراح ، وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وسبيل بن بيضاء ، وهو سبيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ولكن أمه غلبت على نسبه ، فهو ينسب إليها ، وهي دعد بنت جحدم بن أبة من ظرب بن الحارث بن فهر ، وكانت تدعى بيضاء ؛ وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن

هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث ؛ وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال
ابن أهيب بن ضبة بن الحارث ، ويقال : بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة ؛ وعمر بن
الحارث ابن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن مالك بن ضبة بن الحارث ، وعثمان بن عبد غنم بن
زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحارث وسعد بن عبد قيس بن لقيط
ابن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث ، والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن
ظرب بن الحارث بن فهر . ثمانية نفر .

عدد مهاجري الحبشة : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة ، وهاجر إليها من المسلمين ،
سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان عمار
ابن ياسر فيهم ، وهو يشك فيه .

شعر عبد الله بن الحارث في هجرة الحبشة : وكان ما قيل من الشعر في الحبشة أن عبد الله
ابن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، حين أمنوا بأرض الحبشة ، وحدوا جوار
التجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً ، وقد أحسن التجاشي جوارهم حين نزلوا
به ، قال :

يا راكباً بلغن عنى مغلة	من كان يرجو بلاغ الله والدين ^(١)
كل امرئ من عباد الله مضطهد	يظن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة	تنجى من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز	فى الملمات وعيب غير مأمون
لما تبعنا رسول الله واطرحوا	قول النبي وعالوا فى الموازين ^(٢)
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا	وعائد بك أن يغفلوا فيطغونى

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً ، يذكر نفي قريش إليهم من بلادهم ، ويعاتب بعض قومه
فى ذلك :

(١) المغلة : الرسالة

(٢) عالوا : خانوا .

أبت كبدى، لا أكذبك، قتالهم على وتأباه على أناملى
وكيف قتال معشراً أدبوكم على الحق أن لا تأشبهه بباطل (١)
نفتهم عباد الجن من حر أرضهم فأضحوا على أمر شديد البلابل (٢)
فإن تك كانت فى عدى أمانة عدى بن سعد عن متقى أو تواصل
فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم محمد الذى لا يطبى بالجمائل (٣)
وبدلت شبلا شبيل كل خبيثة بنى لجراً مأوى الضعاف الأراملى (٤)

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً :

وتلك قريش تيجد الله حقه كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنى من الأرض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الإله محمد أرين ما فى النفس إذ بلغ النقر (٥)

فسمى عبد الله بن الحارث — يرحه الله — ليته الذى قال : « المبرق » .

وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو ابن عمه .
وكان يؤذيه فى إسلامه ، وكان أمية شريفاً فى قومه فى زمانه ذلك :

أتم بن عمرو للذى جاء بغضه ومن دونه الشمرمان والبرك أكتع (٦)
أخرجتنى من بطن مكة آمنا وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع (٧)

(١) تأشبهه : تخططوه .

(٢) البلابل : وساوس الأحزان .

(٣) لا يطبى بالجمائل : لا يستمال بالرشوة

(٤) الفجر : العطاء

(٥) النقر : البحث .

(٦) الشمرمان : ثنية شرم وهو لجة البحر ، والبرك : الإبل الباركة .

(٧) صرح بيضاء : مدينة الحبشة . وتقذع : تكره .

تريش نبالا لا يواتيك ريشها وتبرى نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة وأهلكت أقواما بهم كمت تفزع
ستعلم إن نابتك يوما ملة وأسلبك الأوباش ما كنت تصنع (١)

وتيم بن عمرو ، الذى يدعو عثمان ، جمع ، كان اسمه تيم .

إرسال قريش إلى الحبشة فى طلب المهاجرين إليها

قال ابن إسحاق : فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ، اتتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين إلى النجاشى ، فيردهم عليهم ، ليفتنوهم فى دينهم ، ويخرجوهم من دارهم ، التى اطمأنوا بها وأمنوا فيها ؛ فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة ، وعمرو بن العاص بن وائل ، وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقه (٢) ، ثم بعثوهما إليه فيهم .

شهر أبى طالب للنجاشى : فقال أبو طالب ، حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوهما فيه ،
أيانا للنجاشى يحضنه على حسن جوارهم والدفع عنهم :

ألا ليت شعرى كفى فى النأى جعفر وعمرو وأعداء العدو الأقارب (٣)
وهل نالت أفعال النجاشى جعفرأ وأصحابه أو عاق ذلك شاعب
تعلّم ، أبيت اللعن ، أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب (٤)
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب (٥)
وأنت فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعداى نفعا والأقارب

(١) الأوباش : الضعفاء .

(٢) قواده . (٣) النأى : البعد

(٤) المجانب : الداخل فى الحى . (٥) لازب : لاصق

حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي : قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ، عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمرنا على ديننا ، وعبدا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ، اتهموا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلا من جنسهم . رأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الآدم^(١) ، فجمعوا له أدما كثيرا ، ولم يتركوا من بطارقتة بطريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمرؤهما بأمرهم ، وقالوا لها : ادفعنا إلى كل بطريق هديته قبل أن تسلكا النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليك قبل أن يكلمهم . قلت : فخرجنا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار ، فلم يبق من بطارقتة بطريق إلا دفعنا إليه هديته قبل أن يسلكا النجاشي ، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد ضوى^(٢) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلنا الملك فيهم ، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلى بهم عينا^(٣) ، وأعلم بما عابوا عليهم ؛ فقالوا لها : نعم . ثم لهنما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلباه فقالا له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرتهم لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبرهم فيه . قالت : ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي . قالت : فقالت بطارقتة حوله : صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليردها إلى بلادهم وقومهم قالت : فغضب النجاشي ، ثم قال : لاها الله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قرم جاوروني ، ونزلوا بلادى ، واختاروني على من سواى ، حتى أدعهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ،

(١) الآدم : الجلود .

(٢) ضوى : لجأ .

(٣) أى أبصر بهم من غيرهم .

فلما كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم منها ، وأحسن جوارهم ما جاوروني .

الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي : قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ندعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جتمعوه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كأننا في ذلك ما هو كائن . فلما جاءوا ، وقد دعا النجاشي أساقفته ، نذثروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ قالت : نكان الذي كله جعفر بن أبي طالب ، فقال له : أيها الملك ، كنما قوما أهل جاملية ، نعبد الإصنام ، ونأكل الميتة ، ونأثي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، ذكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفائه ، ندعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحرم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام — قالت : نعدد عليه أمور الإسلام — فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئا ، وحرمتنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، أبردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل من الحباث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ؛ ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال له النجاشي : دل ملك ما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت : فقال له جعفر : نعم ؛ فقال له النجاشي : ناقرأه على ؛ قالت : فقرأ عليه صدراً من : « كيعص » . قالت : فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ؛ ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يكادون .

رأى المهاجرين في عيسى أمام النجاشي : قالت : فلما خرجنا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لآتيه خدأ عنهم ؛ يا أسأصل به خضرأهم . قالت : فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : وكان أتى الرجاين فينا لا نفعل فإن لهم أرحاما ، وإن كانوا قد خالفونا ؛ قال : والله لا أخبرنه

أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد . قالت : ثم غدا عليه من الغد فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم نسلمهم عما يقولون فيه . قالت : فأرسل إليهم ليسألمهم عنه . قالت : ولم ينزل بنا مثلاً قط . فاجتمع القوم ، ثم قال بعضهم لبعض : ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا كأننا في ذلك ما هو كائن . قالت : فلما دخلوا عليه ، قال لهم : ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت : فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلته ألقاها إلى مريم العذراء البتول قالت : نضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود . قالت : فتناخرت بطارفته حوله حين قال ما قال ؛ فقال : ولئن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي — والشيوم^(١) : الآمنون — من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم . ما أحب أن لي دبراً من ذهب ، وأني أذيت رجلاً منكم — قال ابن هشام : ويقال دبري من ذهب ، ويقال : فأنتم شيوم والدبر . بلسان الحبشة : الجبل — ردوا عليهما هداياهما ، فلا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطلع الناس في فإطيعهم فيه . قالت : فخرجنا من عنده مقبورين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده بخير دار ، مع خير جار .

الهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي : قالت فوالله لنا على ذلك ، إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه . قالت : فوالله ما علمتُنا حزننا حزننا قط كان أشد علينا من حزن حزننا . عند ذلك ، تخوفوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه . قالت : وسار إليه النجاشي ، وبينهما عرض النيل ، قالت : فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من رجل يخرج حتى يحضر وبيعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ قالت : فقال الزبير بن العوام . أنا قالوا : نأنت . وكان من أحدث القوم سنأ . قالت : فنفخوا له قرية فجعلها في صدره ، ثم سبّح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ماتى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم . قالت : فنددونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في

(١) يقول السهيلي في الروص الانف : يحتمل أن تكون لفظة حبشية خير مشتقة أو تكون

مشتقة من شمت السيف إذا أغمدته ؛ لأن الآمن مغمّد عنه السيف ج ٢ ص ٩٢ .

بلاده . قالت : فوالله إنا لعل ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسمى ، فلمع شوبه وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ويمكن له في بلاده . قالت : فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلاً قالت : ورجع النجاشي ، وقد أهلك الله عدوه ، ويمكن له في بلاده ، واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل ، حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قصة تملك النجاشي على الحبشة

قضى أمي النجاشي وتملك عمه : قال ابن إسحاق : قال الزهري : حدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تدري ما قوله : ما أخذ الله مني الرشوة حين رد على ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فإطيع الناس فيه ؟ قال : قلت : لا ، قال : فإن عائشة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه ، ولم يكن له ولد إلا النجاشي ، وكان للنجاشي عم ، له من صلبه اثنا عشر رجلاً ، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة ، فقالت الحبشة بينها : لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكننا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام ، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً ، فتوارثوا ملكه من بعده ، بقيت الحبشة بعده دهرأ ، فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه ، وملكوا أخاه ، فمكثوا على ذلك حيناً .

الحبشة تبغ النجاشي : ونشأ النجاشي مع عمه ، وكان لبيبا حازماً من الرجال ، فغلب على أمر عمه ، ونزل منه بكل منزلة ، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها : والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه ، ولما لتتخوف أن يملكه علينا ، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين ، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه . فمشوا إلى عمه فقالوا : إما أن تقتل هذا الفتى ، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا ، فإننا قد خفناه على أنفسنا ؛ قال : ويلكم ! قتلت أباه بالأمس ، وأقتله اليوم ! بل أخرجته من بلادكم . قالت : فخرجوا به إلى السوق ، فباعوه من رجل من التجار بست مئة درهم ؛ فقتلوه في سفينة فانطلق به ، حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم ، هاجت سحابة من صحائب الحريف فخرج عمه يستمطر تحتها ، فأصابته صاعقة فقتلته . قالت : ففرغت الحبشة إلى ولده ، فلما هو محقق ، ليس في ولده خير ، فرج على الحبشة أمرهم (١) .

تولية النجاشي الملك : فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك ، قال بعضهم لبعض : تعلبوا (١) مرج الأمر : اختلط .

والله أن ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم شدوة ، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه الآن قالت : فخرجوا فى طلبه ، وطالب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه ، فأخذوه منه ؛ ثم جاءوا به ف عقدوا عليه التاج ، وأقعدوه على سرير الملك ، فلكوه .

حديث التاجر الذى اشتراه : فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه ، فقال : إما أن تعطوني مالى ، وإما أن أكله فى ذلك ؟ قالوا : لا نعطيك شيئاً ، قال : إذن والله أكله ؛ قالوا : فدونك وإياه . قالت : فجاءه مجلس بين يديه ، فقال : أيها الملك ، ابتعت غلاماً من قوم بالسوق بست مئة درهم ، فأسلبوا إلى غلامى وأخذوا دراهمى ، حتى إذا سرت بغلامى أدركونى ، فأخذوا غلامى ، ومنعوني دراهمى . قالت : فقال لهم النجاشى : لتعطينه دراهمه ، أو ليضعن غلامه يده فى يده ، فليذهبن به حيث شاء ؛ قالوا : بل نعطينه دراهمه . قالت : فلذلك يقول : ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه . قالت : وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه ، وعدله فى حكمه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما مات النجاشى ، كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور .

إسلام النجاشى والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه

قال ابن إسحاق : وحدثني جعفر بن محمد ، عن أبيه ، قال : اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى : إنك قد فارقت ديننا ، وخرجوا عليه . فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، فهاهم لهم سفناً ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هم زمت فامضوا حتى تلتحقوا بحيث شئتم ، وإن ظفرت فائتوا . ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلته ألقاها إلى مريم ؛ ثم جعله فى قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الحبشة ، وصفوا له ، فقال : يا معشر الحبشة ، ألسن أحق الناس بكم ؟ قالوا . بلى ؛ قال . فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا . خير سيرة ؛ قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت أن عيسى عبد ؛ قال : فما تقولون أنتم فى عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله ؛ فقال النجاشى ، ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم ، لم يزد على هذا شيئاً ، وإنما يعنى ما كتب ، فبرضوا وانصرفوا^(١) . فبلغ ذلك النبي صلى الله

(١) وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صراحاً ، ولا أن يعطى باسائه الكفر وإن أكره ، ما أمكنته الحيلة ، وفى المعارض مندوحة عن الكذب .

عليه وسلم : فلما مات النجاشي صلى عليه ، واستغفر له (١) .

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قریش ، ولم يدركوا حاطلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزدتهما النجاشي بما يكرهون ، وأسلم عمر بن الخطاب ، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره ، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجمزة حتى عازوا (٢) قریشا ، وكان عبد الله بن مسعود يقول : ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قریشا حتى صلى عند الكعبة ، ووصلينا معه ، وكان لإسلام عمر بعد خروج من أخرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة .

قال البكائي ، قال : حدثني مسعر بن كدام ، عن سعد بن إبراهيم ، قال : قال عبد الله بن مسعود : إن لإسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصراً ، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا مانصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قریشا حتى صلى عند الكعبة ، ووصلينا معه .

حديث أم عبد الله بذت أبي حثمة عن إسلام عمر : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الرحمن ابن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة ، قالت :

والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة ، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا ، إذا أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليّ وهو على شركه — قالت : وكنا ناتي منه البلاء أذى لنا وشدة علينا — قالت : فقال : إنه للانطلاق يا أم عبد الله . قالت : فقلت : نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ،

(١) وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ، ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه ، وصلى عليه بالبقيع ، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة ، فصلى عليه .

(٢) عازوا : غلبوا .

آذيتونا وقبرتمونا ، حتى يحمل الله مخرجنا . قالت : فقال : صحبكم الله ، ورأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا . قالت : لجاء عامر بحاجته تلك ، فقلت له : يا أبا عبد الله ، لو رأيت عمر آتفا ورقته وحزنه علينا . قال : أطمعت في إسلامه ؟ قالت : قلت : نعم ؛ قال : فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب ؛ قالت : يأسا منه ، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام .

سبب إلام عمر : قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد ، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة ، رجل من قومه ، من بني عدى بن كعب قد أسلم ، وكان أيضا يستخفي بإسلامه فرقا من قومه ، وكان خباب بن الارت (١) يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلى بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ، فلقبه نعيم بن عبد الله ، فقال له : أين تريد يا عمر ؟ فقال : أريد محمدا هذا الصابي ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأقتله ؛ فقال له نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بيتي ؟ قال : خنتك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أسلمنا ، وتابعا محمدا على دينه ، فعليك بهما ؛ قال : فرجع عمر عامدا إلى أخته وخخته ، وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة ، فيها : « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خباب

(١) وكان خباب تيمميا بالنسب ، كما كان خزاعيا بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعى ، وكان قد وقع عليه سباء ، فاشترته وأعتقته ، فولأوه لها . وكان أبوها حليفا لعوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زهرة ، فهو زهرى بالحلف . وهو ابن الارت بن جندلة بن سعد ابن خزيمه بن كعب بن زيد مناة بن تميم ، كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٢ ص ٩٨

في مخدع لهم ، أو في بعض البيوت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذهما ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينة (١) التي سمعت ؟ قالوا له : ما سمعت شيئا ؛ قال : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه ، وبطش بختنه سعيد بن زيد ؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتسكفه عن زوجها ، فضربها فحسبها ؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختته : نعم قد أسلبننا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدا لك . فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع ، فارعوى ، وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذي جاء به محمد ، وكان عمر كاتباً ؛ فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ؛ قال : لا تخافي ، وحاف لها بألته ليردنها إذا قرأها لهما ؛ فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له : يا أخى ، إنك نجس ، على شركك ، وإنه لا يمسها إلا الطاهر (٢) ، فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة ، وفيها : « طه » . فقرأها ؛ فلما قرأ منها صدراً ، قال : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ؛ فلما سمع ذلك خباب خرج إليه ، فقال له : يا عمر ، والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب ، فأنه الله يا عمر . فقال له عند ذلك عمر : نداني يا خباب على محمد حتى آتيه ؛ فأسلم ؛ فقال له خباب : هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه ، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ؛ فلما سمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنظر من خال الباب فرآه متوشحاً بالسيف ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف ؛ فقال حمزة ابن عبد المطلب : فأذن له ، فإن كان يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له ، فأذن له الرجل ، ونهض إليه

(١) الهينة : صوت الكلام الذي لا يفهم .

(٢) قال السهيلي عند الكلام على تطهير عمر ليس القرآن وقول أخته له : « لا يمسها إلا المطهرون » ، والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة ، وهو قول مالك في الموطأ ، واحتج بالآية الأخرى التي في سورة عبس ولكنهم وإن كانوا الملائكة ، ففي وصفهم بالطهارة مقروننا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسها إلا طاهر ، اقتداء بالملائكة المطهرين ، فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ، ولكنه حكم متدوب إليه ، وليس محمولا على الفرض وإن كان الفرض فيه أبين لأنه جاء بلفظ انتهى عن مسه على غير طهارة - راجع الروض ج ٢ ص ٩٨ - ٩٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه في الحجرة ، فأخذ حجزته ^(١) ، أو بجمع رداؤه ، ثم جبذه به جبذة شديدة ، وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ، فقال عمر : يا رسول الله ، جئتك لا ومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله ؛ قال : فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم .

فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم ، وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتنصفون بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم .

هنا رواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه : عطاء ، ومجاهد ، أو عن روى ذلك : أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه ، أنه كان يقول : كنت للإسلام مباحداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية ، أحبها وأسرّها ، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة ، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران الخزومي ، قال : فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك ، قال : فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحداً فقلت : لو أني جئت نلانا الخمار ، وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلّي أجد عنده خمرأ فأشرب منها . قال : فخرجت لجئته فلم أجدّه . قال : فقلت : فلو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال : فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ، وكان إذا صلى استقبل الشام ، وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، وكان مصلاه بين الركنين : الركن الأسود ، والركن اليماني . قال : فقلت حين رأيته ، والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت : لئن دنوت منه أستمع منه لأروعه ؛ فجئت من قبل الحجر ، فدخلت تحت ثيابه ، فجعلت أمشي وريداً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي يقرأ القرآن ، حتى قمت في قبلته مستقبلاًه ، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة . قال : فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام ، فلم أزل قائماً في مكاني ذلك ، حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ، ثم انصرف ، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين ، وكانت طريقه ، حتى يخرج ^(٢) المسمى ، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب ، وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف

(١) موضع شد الإزار .

(٢) يخرج : يقطع .

الزهرى ، ثم على دار الأخنس بن شريق ، حتى يدخل بيته . وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم في الدار الرقطاء^(١) ، التي كانت بيدى معاوية بن أبي سفيان . قال عمر رضى الله عنه : فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ، ودار ابن أزهر ، أدركته ؛ فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حصى عرقي ، نظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أني إنما تتبعته لأوذيته فنهمني^(٢) ثم قال : ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة ؟ قال : قلت : لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله قال : الحمد لله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : قد هداك الله يا عمر ، ثم مسح صدرى ، وردعالي بالثياب ، ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

قال ابن إسحاق ، والله أعلم أى ذلك كان .

ثبات عمر في إسلامه : قال ابن إسحاق : وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن ابن عمر قال : لما أسلم أبي عمر قال : أى قریش أتقتل للحديث ؟ فقبل له : جميل بن معمر^(٣) الجحى . قال : فغدا عليه . قال عبد الله بن عمر : فغدوت أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت ، حتى جاءه ، فقال له : أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يحجر رداءه واتبعه عمر ، واتبعت أبي ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يامعشر قریش ، وهم في أنديتهم حول الكعبة ، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا . قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكني قد أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاثلونه حتى قامت الشمس

(١) الرقطاء : الملونة .

(٢) نهمني : زجرني .

(٣) جميل هذا هو الذى كان يقال له : ذو القلبين ، وفيه نزلت في أحد الأقوال : ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وفيه قيل :

وكيف ثوائى بالمدينة بعد ما قضى وطراً منها جميل بن معمر

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله ، واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب ، فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن : إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم : وقلب المبرد هذا الحديث ، وجعل المنشد عمر ، والمستأذن عبد الرحمن ، ورواه الزبير كما تقدم ، انظر الروض ج ٢ ص ١٠١ .

على رموسهم . قال : وطلح^(١) ، فقعده وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدالكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاث مئة رجل لقد تركناها لكم ، أوتركنموها لنا : قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قریش ، عليه حلة حبرة^(٢) ، وقيص موشى ، حتى وقف عليهم ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ؛ فقال : فمعه ، رجل اختار لنفسه أمراً فإذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلون لكم صاحبهم هكذا اخلوا عن الرجل . قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . قال : فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبت ، من الرجل : الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلست ، وهم يقاتلونك ؟ فقال : ذاك ، أى بنى ، العاص بن وائل السهمى .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أنه قال : يا أبت ، من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم أسلست ، وهم يقاتلونك جزاء الله خيرا قال يابنى ذلك ، العاص بن وائل ، لاجزاء الله خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر ، أو بعض أهله ، قال : قال عمر : لما أسلست تلك الليلة ، تذكرت أى أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتته فأخبره أنى قد أسلست ؛ قال : قلت : أبو جهل — وكان عمر لحنمة بنت هشام بن المغيرة — قال : فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج إلى أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً بابن أختى ، ما جاء بك ؟ قلت : جئت لأخبرك أنى قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ؛ قال : فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحك الله ، وبيع ما جئت به .

بعون الله وحسن وتوفيقه - انتهى الجزء الأول من سيرة ابن هشام ويليه إن شاء الله الجزء الثانى وأوله خبر الصحيفة - أعان الله على تمامه .

فهرست الجزء الأول من سيرة ابن هشام

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٠	تبع يذهب إلى مكة ويطوف بالكعبة	(ح) إهداء	
٢٢	أصل اليهود باليمن	(د) مقدمة	
٢٣	هدم البيت المسمى رثام	(ح) ترجمة ابن إسحاق	
٢٤	ملك حسان بن تبان وقتله على يد أخيه عمرو	(ل) ترجمة ابن هشام	
٢٥	هلاك عمرو وتفرق حمير	(م) ترجمة السهيلي	
	خبر لخنيسة وذى نواس فسوق لخنيسة	(س) مراجع المقدمات	
٢٦	ملك ذى نواس	٣ ذكر سرد النسب الذكى	
	سبب وجود النصرانية بنجران	٦ منهج ابن هشام فى عرض السيرة	
	حديث فيميون	٧ سياقة النسب من ولد إسماعيل	
٢٨	خبر عبد الله بن التامر	أولاد إسماعيل	
	عبد الله بن التامر والاسم الأعظم	عمر إسماعيل وموطن أمه ووفاته	
٢٩	عبد الله بن التامر يدعو إلى التوحيد	حديث الوصاة بأهل مصر	
٣٠	ذو نواس يدعو إلى اليهودية	٨ أصل العرب	
	تفسير الأخدود	١٠ ذكر نسب الأنصار	
	نهاية عبد الله بن التامر	قنص بن معد ونسب النعمان	
٣١	فرار دوس ذى ثعلبان من ذى نواس واستجاده بقيصر النجاشي ينصر دوسا	١١ لحم بن عدى	
	نهاية ذى نواس	١٢ أمر عمرو بن عامر وقصة سد مأرب	
		١٣ حديث ربيعة بن نصر	
		١٤ نسب بجيلة	
		١٦ استيلاء أبى بكر تبان على ملك اليمن وغزوه إلى يثرب	
		١٧ تبان يغضب على أهل المدينة عمرو بن طلة ونسبه	
		١٨ قصة مقاتلة تبان لأهل المدينة	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٤٤	الوفد المرافق لعبد المطلب	٣٣	قول ذي جـدن الحميرى فى هذه القصة
٤٥	قرش تستصر الله على أبرهة	٣٤	قول ربيعة بن الذئبة فى هذه القصة
٤٦	عكرمة بن عامر يدعو على الأسود أبرهة يهاجم الكعبة	٣٥	قول عمرو بن معدى كرب فى هذه القصة
٤٧	عقاب الله لأبرهة وجنده		نسب زبيد ومراد
٤٨	الله جل جلاله يذكر حادثة الفيل ويمتن على قرش		لماذا قال عمرو هذا الشعر
	تفسير مفردات سورتي الفيل وقرش	٣٦	تصديق قول شق وسطيح
٥٠	مصير قائد الفيل وسائسه		الزراع على الين بين أبرهة وأرياط
	ما قيل فى قصة الفيل من الشعر		غضب النجاشى على أبرهة
	شعر عبد الله بن الزبمرى	٣٧	(القليس) أو كنيسة أبرهة النساء
٥١	شعر ابن الأسلت	٣٨	أول من ابتدع النسب
٥٢	شعر طالب بن أبى طالب	٤٠	الكنانى يحدث فى القليس
٥٣	شعر أبى الصلت الثقفى		خروج أبرهة لهدم الكعبة
	شعر الفرزدق		أشراف الين يدا فمون عن البيت
٥٤	شعر ابن قيس الرقيات	٤١	خشم تهاهد أبرهة
	ولدا أبرهة		نسب ثقيف
٥٥	خروج سيف بن ذى يزن وملك وهرز على الين	٤٢	ثقيف تهاذن أبرهة
	سيف يشكو لقيصر		اللات
	الثمان يتشفع لسيف عند كسرى		أبو رغال ورجم قبره
٥٦	معاونة كسرى لسيف	٤٣	الأسود بن مقصود يهاجم مكة
	انتصار سيف		رسول أبرهة إلى مكة
٥٧	شعر سيف فى هذه القصة		أنيس يشفع لعبد المطلب
٥٨	شعر أبى الصلت	٤٤	الإبل لى والبيت له رب يحميه

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٠	شعر عدى بن زيد	٧٤	عبادة يغرث
٦٢	ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس بالبين	٧٥	عباد يعوق
	مدة مكث الحبشة بالبين		عباد نسر
	أمراء الفرس بالبين		عباد عميانس
	الرسول صلى الله عليه وسلم يتنبأ بموت كسرى	٧٦	عباد سعد
٦٣	إسلام باذان		دوس وصنمهم
٦٤	كتاب الحجر الذي بالبين	٧٧	عباد هبل
	الأعشى يذكر نبوة شق وسطيح		إساف ونائلة
٦٥	قصة ملك الحضرة		حديث عائشة عنهما
	سابور يستولى على الحضرة	٧٨	فعل العرب مع أصنامهم
٦٦	قول أعشى قيس في قصة الحضرة		الطواغيت
٦٧	قول عدى بن زيد		الغزى وسدنتها وحجابها
٦٨	ذكر ولد نزار بن معد	٧٩	اللات وسدنتها
	أولاد أنار		مناة وسدنتها
٧٠	ولدا مضر		هدم مناة
	أولاد الياس		ذو الخلصة وعباده وهدمه
٧١	حديث عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب	٨٠	فلس وعباده وهدمه
	عمرو يجر قصبه في النار		رثام — رضاء وعباده
٧٢	أصل عبادة الأصنام في أرض العرب	٨١	عمر المستوغر
	سبب عبادة الأصنام		ذوالكعبات وعباده
٧٣	أصنام قوم نوح	٨٢	البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى
٧٤	القبائل العربية وأصنامها		رأى ابن إسحاق فيها
		٨٣	ابن هشام يخالف ابن إسحاق
		٨٤	البحيرة والوصيلة والحامى لغة
			عود إلى النسب
			نسب خزاعة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٠	أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهاتها	٨٥	أولاد مدركة وخزيمة
١٠١	حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم	أولاد كنانة وأمهاتهم	
١٠٢	أمر جرهم ودفن زمزم	٨٦	من يطلب عليه لقب قرشي
١٠٣	ولادة البيت من ولد إسماعيل	٨٧	أولاد النضر وأمهاتهم
١٠٤	انتشار ولد إسماعيل	٨٨	أولاد مالك وفهظ وأمهاتهم
١٠٥	بغى جرهم ونفهم عن مكة	أولاد غالب وأمهاتهم	
١٠٨	استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت	٨٩	أولاد لؤى وأمهاتهم
١٠٩	تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل	٩٠	أمر سامة بن لؤى
١١٠	مساودة رزاح لقمي في تولي البيت	هروبه من أخيه وموته	
١١١	صوفة وري الجمارة	٩١	أمر عوف بن لؤى ونقلته
١١٢	نسب صفوان بن جناب	سبب انتباهه إلى غطفان	
١١٣	صفران وبنوه وإجازتهم للناس بالحج	مكانة مرة	
١١٤	ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة	نسب مرة	
١١٥	ذوالاصبع يذكر هذه الإفاضة	٩٣	أشراف مرة
		٩٤	أمر البسل
		تعريف البسل	
		٩٥	نسب زهير بن أبي سلى
		أولاد كعب وأمههم	
		أولاد مرة وأمهاتهم	
		٩٦	نسب بارق
		ولدا كلاب وأمهما	
		نسب جعشمه	
		٩٧	نعم بنت كلاب وأمها وولداها
		أولاد قمي وأمههم	
		أولاد بني عبد مناف وأمهاتهم	
		٩٨	أولاد هاشم وأمهاتهم
		٩٩	أولاد عبد المطلب بن هاشم وأمهاتهم

ص	الموضوع
١٢٥	هاشم يتولى الرفادة والسقاية
	أفضال هاشم على قومه
١٢٦	المطلب يلي الرفادة والسقاية
	زواج هاشم بن عبد مناف
١٢٧	سبب تسمية عبد المطلب باسمه
	وفاة المطلب
	مطروود يبكى المطلب
١٢٨	اسم عبد مناف وترتيب أولاده موتا
	شعر آخر لمطروود
١٣١	عبد المطلب يلي السقاية والرفادة
	حفر زمزم وما جرى من الحلف فيها
	سبب حفر زمزم
١٣٣	قرش تنازع عبد المطلب في زمزم
	التحاكم في بئر زمزم
١٣٥	عبد المطلب يحفر زمزم
١٣٦	ذكر بئر قبائل قرش
	عبد شمس يحفر الطوى
	هاشم يحفر بذر
١٣٧	سجدة والاختلاف فيمن حفرها
	أمية بن عبد شمس يحفر الحفر
	بنو أسد تحفر سقية
	بنو عبد الدار تحفر أم أحراد
١٣٨	بنو جمح تحفر السنبلة
	بنو سهم تحفر الغمر
	أصحاب رم وخم والحفرة
١٣٩	فضل زمزم على سائر المياه

ص	الموضوع
١١٣	أبو سيارة يفيض بالناس
	أمر عامر بن ظرب
	ابن الظرب حاكم العرب
١١٤	غلب قصي على أمر مكة وجمعه
	أمر قرش
	قصي يتغلب على صوفة
	قصي يقاتل خزاعة وبنى بكر
	قصي يتولى أمر مكة
١١٧	شعر رزاح بن ربيعة في هذه القصة
١١٨	شعر ثعلبة التضاغى
	شعر قصي
١١٩	قصي يفضل ولده عبد الدار
١٢٠	الرفادة
	اختلاف قرش بعد قصي وحلف
	المطبين
	الزراع بين بني عبد الدار وبني أعمامهم
١٢١	حلفاء بني عبد الدار وحلفاء
	بني أعمامهم
	تقسيم القبائل في هذه الحرب
١٢٢	تصالح القبائل
	حلف الفضول
	سبب تسميته
١٢٣	حديث رسول الله صلى الله عليه
	وسلم فيه
١٢٤	الحسين يهدد الوليد بالدعوة
	إلى إحياء الحلف
	خروج بني عبد شمس ونوفل
	من الحلف

الموضوع	ص	الموضوع	ص
الخير الذى أصاب حليلة	١٥١	١٣٩ بنو عبد مناف يفتخرون بزم	
رجوع حليلة إلى مكة أول مرة	١٥٢	١٤٠ ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده	
حديث الملكين اللذين شقا بطنه		قداح هبل السبعة	
حليلة ترده عليه السلام		١٤١ عبد المطلب يحتكم إلى القداح	
الرسول يسأل عن نفسه	١٥٣	خروج القداح على عبد الله	
ولجأته		عبد المطلب يحاول ذبح ابنه	
رعيه للغنم وافتخاره بقرشيت	١٥٤	ومنع قریش له	
افتقاد حليلة له		١٤٢ ما أشارت به عرافة الحجاز	
سبب آخر لرجوع حليلة به		تنفيذ وصية العرافة ونجاة عبد الله	
وفاة آمنة	١٥٥	١٤٣ ذكرى المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله	
عمره حين وفاة أمه		عبد الله يرفضها	
إجلال عبد المطلب له	١٥٦	١٤٤ عبد الله يتزوج آمنة	
وفاة عبد المطلب		أمهات آمنة	
عبد المطلب يطلب من بناته أن يرثينه		زهد المرأة المتعرضة لعبد الله فيه	
رثاء صفية لآبيها		١٤٥ قصة حمل آمنة	
رثاء برة	١٥٧	ما قيل لآمنة عند حملها	
رثاء عائكة وأم حكيم	١٥٨	رؤيا آمنة	
رثاء أميمة وأروى	١٥٩	١٤٦ وفاة عبد الله	
إعجاب عبد المطلب بالرثاء	١٦٠	ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم	
نسب المسيب بن حزن		ابن إسماعيل يحدد الميلاد	
رثاء حذيفة بن غاتم		١٤٧ لإعلام جده بولادته وما فعله	
رثاء مطرود الخزاعي	١٦٣	١٤٨ مرضعته حليلة	
كفالة أنى طالب له عليه السلام	١٦٤	نسب مرضعته	
اللبى العائف		١٤٩ زوج حليلة ونسبه	
		أولاد حليلة	
		١٥٠ حديث حليلة	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٧٤	صداق خديجة	١٦٥	قصة بحيرى
	أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة		خروجه عليه السلام مع عمه إلى الشام
١٧٥	ترتيب ولادتهم		بحيرى يحتفى بتجار قريش
	إبراهيم وأمه	١٦٦	بحيرى يتثبت منه عليه الصلاة والسلام
	ورقة يتأله (ص) بالنبوة	١٦٧	بحيرى يوصى أبا طالب
	شعر لورقة		بعض من أهل الكتاب يريدون
١٧٨	حديث بنيان الكعبة وحكم		الثربه عليه السلام
	رسول الله صلى الله عليه وسلم بين		محمد عليه السلام يشب على مكارم
	قريش في وضع الحجر الأسود		الأخلاق
	سبب هذا البنيان		محمد عليه السلام يحدث عن حفظ الله له
١٧٩	أبو وهب وما حدث عند	١٦٨	حرب الفجار
	بناء الكعبة	١٦٩	سببها
١٨٠	شعر في أبي وهب	١٧٠	قتال هوازن لقريش
	الوليد بن المغيرة يبدأ بهدم الكعبة		الرسول عليه السلام يشهد القتال
١٨١	امتناع قريش عن هدم الأساس		سنه في هذه الحرب
	الكتاب الذى وجد في الركن		سبب تسميتها بحرب الفجار
	الكتاب الذى وجد في المقام		قائد قريش وكنانة
١٨٢	حجر الكعبة المكتوب عليه	١٧١	حديث تزويج الرسول عليه
	الغظة		السلام بخديجة رضى الله عنها
	الاختلاف بين قريش في وضع الحجر		خروجه مع تجارة خديجة
	لعقة الدم	١٧٢	حديثه مع الراهب
	أبو أمية يهدد حلا		خديجة ترضى في الزواج منه
	الرسول (ص) يضع الحجر	١٧٣	نسب خديجة رضى الله عنها
١٨٣	شعر الزبير في الحية التي كانت	١٧٤	زواجه عليه السلام بعد
	تمنع قريش من بنيان الكعبة		استشارة أعمامه
١٨٤	حديث الحس		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٨٤	قريش تبتدع المحس	١٩٦	ابن الهيثبان اليهودى يتسبب في
١٨٥	القبائل التى آمنت بالمحس		إسلام بعض الصحابة
	يوم جيلة	١٩٨	حديث إسلام سلمان
١٨٦	يوم ذى نجب		سلمان يتشوف إلى النصرانية
	مازادته قريش في المحس		سلمان يهرب إلى الشام
١٨٧	اللقى عند المحس	١٩٩	سلمان مع الأسقف السيء
١٨٨	الإسلام يبطل عادات المحس		سلمان مع الأسقف الصالح
	الرسول عليه السلام يخالف		سلمان يلحق بأسقف الموصل
	المحس قبل الرسالة	٢٠٠	سلمان يلحق بأسقف نصيبين
١٨٩	إخبار الكهان من العرب		سلمان يلحق بصاحب عمورية
	والأخبار من يهود والرهبان		سلمان يذهب إلى وادى القرى
	من النصارى بمبعثه		سلمان يذهب إلى المدينة
	قذف الجن بالشهب	٢٠١	سلمان يسمع بهجرته عليه السلام
١٩١	ثقيف أول من فوجت برى		نسب قبيلة
	الجن		سلمان يستوثق من رسالته عليه السلام
	الرسول يسأل الأنصار عن رجم الجن	٢٠٢	سلمان يفتك نفسه من الرق
١٩٢	الغيطة وصاحبها	٢٠٣	حديث سلمان مع الرجل الذى
١٩٣	نسب الغيطة		بعمورية
	كاهن جنس يذكر خبره عليه السلام	٢٠٤	ذكر ورقة بن نوفل وعبيد الله
١٩٤	سواد بن قارب يحدث عمر عن		ابن جحش وعثمان بن الحويرث
	صاحبه من الجن		وزيد بن عمرو بن نفيل
١٩٥	إنذار يهود برسول الله صلى		تشككهم في الوثنية
	الله عليه وسلم	٢٠٥	تنصر ورقة وابن جحش
	اليهود يعرفونه ويكفرون به		ابن جحش يفرى مهاجرى الحبشة
١٩٦	سلمة يذكر حديث اليهودى الذى		على النصير
	أخبره بالرسول		

الموضوع	ص	الموضوع	ص
٢٢٣ ثبت خديجة من الوحي		٢٠٦ رسول الله يخاف على زوجة	
٢٢٤ ابتداء تنزيل القرآن		ابن جحش بعد وفاته	
متى نزل القرآن		تدبر ابن الحويرث وقدمه على	
تاريخ وقعة بدر		قيصر	
إسلام خديجة		زيد يتوقف عن جميع الأديان	
وقوفها بجانبه		٢٠٨ شعر زيد في فراق الوثنية	
٢٢٥ تبشير خديجة ببيت من قصب		٢١١ نسب الحضرمي	
جبريل يقرئ خديجة السلام		٢١٢ زيد يعاتب زوجته لمنعها له عن	
من ربها		البحث في الخيفية	
فترة الوحي ونزول سورة الضحى		٢١٣ قول زيد حين يستقبل الكعبة	
تفسير مفردات سورة الضحى		الخطاب يؤذى زيدا ويحاصره	
٢٢٧ فرض الصلاة وأوقاتها		٢١٤ زيد يرسل إلى الشام وموته	
افترضت الصلاة ركعتين ثم زيدت		ورقة يرى زيدا	
جبريل يعلم الرسول الوضوء والصلاة		٢١٥ صفته صلى الله عليه وسلم	
الرسول يعلم خديجة الوضوء والصلاة		من الإنجيل	
٢٢٨ جبريل يعين للرسول أوقات		يخفى الحوارى يثبت بعثته من	
الصلاة		الإنجيل	
على أول ذكر أسلم		مبعث النبي صلى الله عليه وعلى آله	
نعمة الله عليه بنشأته في كنف الرسول		وسلم تسليما	
سبب هذه النشأة		أخذ الميثاق على الرسول بالإيمان به	
٢٢٩ خروج الرسول وعلى إلى الصلاة		٢١٦ الرؤيا الصادقة أول ما بدى به	
في شعب مكة		سلام الحجر والشجر عليه	
٢٣٠ إسلام زيد بن حارثة		٢١٨ نزول جبريل عليه	
نسبه		التحذ والتخف	
شعر حارثة عندما فقد أباه		٢٢١ الرسول يخبر خديجة بنزول	
٢٣١ أي بكر: نسبه واسمه وإسلامه		جبريل عليه	
		٢٢٢ خديجة تخبر ورقة بن نوفل	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٣٧	عداوة قومه ومساندة أبي طالب	٢٣٢	إيلاف قريش له
٢٣٩	وفد قريش يعاتب أبا طالب		من أسلم بدعوته
	الرسول يستمر في دعوته		عثمان - الزبير - عبد الرحمن بن عرف
٢٤٠	رجوع الوفد إلى أبي طالب		سعد بن أبي وقاص - طلحة
	مرة ثانية	٢٣٣	إسلام أبي عبيدة - وأبي سلمة -
	مادار بينه وبين الرسول		والأرقم - وعثمان بن مظعون -
	قريش تعرض عمارة بن الوليد		وعبيدة بن الحارث وسعيد بن
	على أبي طالب		زيد وامراته
٢٤١	شعر أبي طالب في المطعم	٢٣٤	إسلام عائشة وأسماء وخباب
	ومن خذله		ابن الأرت وعير وابن مسعود
٢٤٢	قريش تظهر عداوتها للرسول		وابن القاري وسليط وأخيه -
	شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته		وعياش وامراته وخنيس وعامر
٢٤٣	الوليد وموقفه من القرآن	٢٣٥	إسلام ابن جحش - وجعفر
٢٤٥	شعر أبي طالب في معاداة		وامراته - وحاطب ولاخوته
	خصومه		ونسائهم - والسائب
٢٥٢	الرسول يستسقى لاهل المدينة		نسب نعيم
	ذكر الأسماء التي وردت في		إسلام عامر بن فهيرة
	قصيدة أبي طالب	٢٣٦	نسبه
٢٥٣	انتشار ذكر الرسول خارج مكة		إسلام خالد بن سعيد ونسبه
	نسب ابن الأسلت		ولإسلام امراته
	شعره في الدفاع عن الرسول		إسلام واقد وشيء من خبره
٢٥٦	حرب داحس والغبراء		إسلام بنى البكير وصيب ونسبه
٢٥٧	حرب حاطب	٢٣٧	مباداة الرسول قومه
٢٥٨	شعر حكيم بن أمية في نهى قومه		معنى د اصدع بما تؤمر
	عن معاداة الرسول	٢٣٨	خروج الرسول بأصحابه إلى
	ذكر مالتى الرسول من قومه		الشعب

الموضوع	ص	الموضوع	ص
استماع قريش إلى القرآن	٢٧٥	سفهاء قريش بأذونه	٢٥٨
الاخضس يستقيم عما سمعه	٢٧٦	أشتر ما أودى به الرسول	٢٥٩
تعنت قريش عند سماعهم القرآن		إسلام حمزة وسببه	٢٦٠
عدوان المشركين على المستضعفين	٢٧٧	عتبة يفاوض الرسول	٢٦١
مالقيه بلال		رأى عتبة	٢٦٢
من أعيقهم أبو بكر	٢٧٨	قريش تفتن المسلمين	
أبو قحافة يلوم ابنه		زعماء قريش تفاوض الرسول	
تعذيب آل ياسر	٢٧٩	أبو جهل يتوعد الرسول	٢٦٤
فتنة المسلمين		النضر بن الحارث ينصح قريشا	٢٦٥
هشام يرفض الوليد إلى قريش		أذى النضر للرسول	
الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة	٢٨٠	قريش تسأل أجار يهود عن شأنه	
أوائل المهاجرين		قريش تسأل الرسول	٢٦٦
المهاجرون من بنى هاشم - من	٢٨١	الرد على قريش فيما سألوه	
بني أمية - من بني أسد		أدل الكهف	٢٦٨
المهاجرون من بني عبد شمس -	٢٨٢	ذو القرنين	٢٧٠
من بني نوفل - من بني أسد -		أمر الروح	٢٧١
من بني عبد بن قصي - من بني		ما أوتيتم من العلم إلا قليلا	
عبد الدار بن قصي - من بني		تسيير الجبال وبعث الموتى	
زهرة		خذ لنفسك	
المهاجرون من بني هذيل - من	٢٨٣	القرآن يرد على ابن أبي أمية	٢٧٢
بهاء - من بني تيم - من بني		القرآن ينفي أن رجلا من	٢٧٣
مخزوم		النيامة يعلمه	
خبر الشماس		مانزل في أبي جهل	
المهاجرون من خلفاء بني مخزوم	٢٨٤	استكبار قريش عن الإيمان	٢٧٤
من بني جمح - من بني عظم		أولاه من يجهل بالقرآن	٢٧٥

الموضوع	ص	الموضوع	ص
المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي	٢٩١	المهاجرون من بني عدى - من بني عامر - من بني الحارث	٢٨٥
قصة تملك النجاشي على الحبشة	٢٩٢	عدد مهاجري الحبشة	٢٨٦
قتل أبي النجاشي وتملك عمه الحبشة تبيع النجاشي		شعر عبد الله بن الحارث في هجرة الحبشة	
حديث التاجر الذي اشتراه إسلام النجاشي والصلاة عليه وخروج الحبشة عليه	٢٩٣	إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين	٢٨٨
إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه	٢٩٤	شعر أبي طالب للنجاشي	
حديث أم عبد الله بنت أبي حشمة عن إسلام عمر		حديث أم سلمة عن الرسولين اللذين أرسلتهما قريش للنجاشي	٢٨٩
سبب إسلام عمر	٢٩٥	الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي	٢٩٠
مارواه عطاء ومجاهد عن إسلام عمر	٢٩٧	رأى المهاجرين في عيسى أمام النجاشي	

